كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث عشر

القسم ٤٩ - ٥٢

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨

كتاب
الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثالث عشر

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثالث عشر
من كتاب الاغاني

أخبار أبي الطمحان القيني

اسمه ونسبه :

أبو الطَّمحان اسمه حنظلة بن الشَّرقيّ ، أحد بني القَين بن جَسر بن شَيع الله ، من قُضاعةَ . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والاسلام :

وكان أبو الطَّمحان شاعراً فارساً خارباً[1] صُعلوكاً . وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فكان خبيث الدّين فيهما كما يُذكر . وكان تِرباً للزّبير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له . أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عُبَيدة .

ومما يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبيّ عن أبيه قال :

---

(١) الخارب : سارق الإبل خاصة، ثم نقل إلى غيره اتساعاً . قال، وخرب فلان : صار لصاً .

خرج قَيسبة بن كلثوم السَّكوني، وكان ملكاً، يريد الحج – وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرِض بعضها لبعض – فمرّ ببني عامر بن عُقَيل، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه، وألقوه في القِدّ[١]، فمكث فيه ثلاث سنين، وشاع باليمن أن الجنّ استطارته[٢]. فبينا هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها: أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرّق[٣] عليها فقد أضرّ بي القُرّ[٤]؟ فقالت له نعم. وكانت عليه جُبة له حِبَرَة لم يُترك عليه غيرُها، فتمشّى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة، ثم أقبل يضرب ببصره نحوَ اليمن، وتغشاه عَبرة فبكى، ثم رفع طرفه الى السماء وقال: اللهم ساكن السماء فرّج لي مما أصبحت فيه. فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار اليه أن أقبِلْ، فأقبل الراكب، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمن. قال: ومن أنت؟ قال أنا أبو الطمحان القَيني، فاستعبر باكياً. فقال له أبو الطمحان: من أنت؟ فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك، وأنت بدارٍ ليس فيها مالك. قال: أنا قَيسبة بن كلثوم السَّكوني، خرجتُ عام كذا وكذا أريد الحج، فوثب عليّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى، وكشف عن أغلاله وقيوده؛ فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني الى ذلك! قال: فأنِخ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سكّين؟ قال نعم. قال: ارفع لي عن رَحلك، فرفع له عن رَحله حتى بدت خشبةُ مؤخره، فكتب عليها قيسبة بالمُسند[٥]، وليس يكتب به غير أهل اليمن:

---

(١) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ، فتشدّ به الأقتاب والمحامل، ويتخذ منه السوط.

(٢) استطارته الجنّ: ذهبت به.

(٣) تشرق: جلس بالمشرقة، وهو موضع القعود للشمس، والموضع الذي تشرق عليه الشمس.

(٤) القرّ، بالضم: البرد، أو هو برد الشتاء خاصة؛ سمي بذلك من الاستقرار والسكون كأنه يسكن الحرّ ويطفئه.

(٥) المسند: هو خط حمير وهو مخالف لخطنا.

بلّغا كنـدة[1] الملوك جميعاً حيث سارت بالأكرمين الجمال
أن رِدوا العين بالخميس[2] عِجالاً وأصدروا عنه والروايا[3] ثِقال
هزئت جارتي وقالت عجيباً إذ رأتني في جيديَ الأغلال
إن ترَيني عاري العظام اسيراً قد براني تضعضع واختلال
فلقد أقـدُم الكتيبة بالسيـف علي السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر الى أخيه أن يدفع الى أبي الطمحان مائة ناقةٍ . ثم قال له : أقرىء هذا قومي ؛ فإنهم سيعطونك مائة ناقةٍ حمراء . فخرج تسير به ناقته ، حتى أتى حضرموت ، فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه . ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه اَلجون بن كلثوم ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له : يا هذا ، إني أدلُّك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل . قال له : فهي لك . فكشف عن الرحل ، فلما قرأه اَلجون أمر له بمائة ناقةٍ ، ثم أتى قيس بن مَعد يكرب الكندي أبا الأشعث ابن قيس ، فقال له : يا هذا ، إن أخي في بني عُقيل أسير ، فسر معي بقومك . فقال له : أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلا فامض راشداً . فقال له اَلجون : مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهونُ عليَّ مما خيّرتَه . وضجت السَّكون[4] ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك من هذا ! هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك ! فأنعم له بذلك[5] . وسار قيس وسار اَلجون معه تحت لوائه ، وكندة والسَّكون

(١) كان قيسبة من قبيلة السكون . والسكون : بطن من كندة . لذلك استنجد بملوكهم .

(٢) الخميس : الجيش الكامل، وهو المؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والقلب، والميمنة، والميسرة والساقة .

(٣) الروايا : جمع راوية وهي هنا المزادة فيها الماء . وتطلق الرواية أيضاً على البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .

(٤) السكون كصبور : بطن من بطون العرب بكندة .

(٥) أنعم له، أي قال له : نعم .

معه ؛ فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس ، وبه أدرك الشرف . فسار حتى أوقع بعامر بن عُقيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة واستنقذ قَيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صُبَيح الكنديّ :

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ألفَيْ كُميتٍ كلّها سَلهبة[1]
نحن أبلنا[2] الخيل في أرضكم حتى ثأرنا منكم قَيسبه
واعترضتْ من دونهم مَذحِجٌ فصادفوا من خيلنا مَشغبة[3]

حدثنا ابراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدثنا عبد الله بن مُسلم قال :

اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه :

بلغني أنّ أبا الطمحان القيني قيل له ، وكان فاسقاً خارباً ، ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدَّير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدَيرانيّةٍ فأكلتُ عندها طَفَيشَلاً[4] بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها[5] ، ثم انصرفتُ عنها .

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الخزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال :

---

(١) الكميت : الذي خالط حمرته سواد . السلهب : الطويل من الخيل والناس ؛ يقال فرس سلهب وسلهبة إذا عظم وطال وطالت عظامه . وفرس مسلهبّ: ماض .

(٢) أبال الخيل واستبالها : وقفها للبول ؛ يقال : لنبيلن الخيل في عرصاتكم .

(٣) مشغبة : من الشغب بسكون الغين، وهو هيجاء القتال .

(٤) الطفيشل كسميدع : نوع من المرق .

(٥) كساء هنا : جمع كسوة مثل كُسى كما ورد في القاموس .

التجاؤه الى بني فزارة من جناية جناها :

جنى أبو الطمحان القيني جنايةً وطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ الى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له : مالك بن سعد أحد بني شَمخ ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخلطه بنفسه . فأقام مدّة ، ثم تشوّق يوماً الى أهله وقد شرِب شراباً ثمل منه ، فقال لمالك : لولا أن يدي تقصر عن دِية جنايتي لعدت الى أهلي . فقال له : هذه إبلي فخذ منها دية جنايتك وآردد[1] ما شئت . فلمّا أصبح ندِم على ما قاله وكرِه مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالكاً فأنشده :

سأمدح مالكاً في كلّ ركبٍ ... لقيتهم وأتركُ كل رَذلِ
فما أنا والبكارة أو مَخاضٌ ... عِظامٌ جِلّة سُدُسٌ وبُزلِ[2]
وقد عرفتْ كلابكم ثيابي ... كأني منكم ونسيتُ أهلي
نمتْ بك من بني شَمخٍ زِنادٌ[3] ... لها ما شئت من فرعٍ وأصل

قال فقال مالك : مرحباً ! فإنك حبيب آزداد حبّاً ، إنما اشتقتَ الى أهلك وذكرتَ أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقلٍ[4] أو دِيةٍ ، فبذلتُ لك ما بذلتُ ، وهو لك على كل حال ، فأقم في الرّحب والسّعة . فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم .

---

(١) وآردد : لعلها « وآزدد » .

(٢) البكارة : جمع بكر . والبكر بالفتح : الفتيّ من الإبل بمنزلة الغلام من الناس ، والأنثى بكرة . والمخاض : الحوامل من النوق . وجلة الإبل : مسانّها ، وهو جمع جليل مثل صبي وصبية . والسدس : جمع سديس كرغيف ورغف ، وهي من الإبل ما دخل في السنة الثامنة ، وذلك إذا ألقى السن التي بعد الرباعية . والبزل : جمع بازل ، وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه . وفي قافية البيت إقواء .

(٣) ووري الزناد يضرب مثلاً للظفر والنجاح أي هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك .

(٤) العقل هو الدية ، وهي ما يدفع فدية للقتيل .

قال أبو عمرو في هذه الرواية : وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحوي صِهر المبرّد ، قال حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال :

اعتذاره لامرأته من ركوبه الاهوال :

عاتبت أبا الطمحان القيني امرأته في غاراتــه ومخاطرته بنفسه ، وكان لصاً خارباً خبيثاً ، وأكثرت لومه على ركوب الاهوال ومخاطرته بنفسه في مذاهبه ، فقال لها :

لو كنتُ في رَيمانَ[1] تحرس بابه أراجيل أحبوشٍ وأغضفُ آلفُ
إذاً لأتتـني حيثُ كنتُ منيّتي يخبُّ بهـا هادٍ بأمريَ قائف[2]
فمن رَهبـةٍ آتي المتالفَ سادراً وأيّةُ أرض ليس فيهـا متالف[3]

شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر .

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنّ فيه لعريب صنعةً وهو :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوُههمْ

فإنه من قصيدة له مدح بها بُجير بن أوس بن حارثة بن لَأمٍ الطائي، وكان أسيراً في يده، فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد . وأوّل هذه الأبيات :

---

(١) ريمان بفتح الراء موضعان : أحدهما حصن باليمن وهو المقصود هنا، وقصر باليمن وأراجيل : جمع أرجال، وأرجال : جمع راجل كصاحب وأصحاب ، وهو خلاف الفارس . والأحبوش : جماعة الحبش، أو الجماعة أيًّا كانوا ؛ لأنهم اذا تجمعوا اسودّوا . وجمعه أحابيش . والأغضف : المسترخي الأذن من الكلاب . والآلف : المستأنس بمن يحرسهم، من الإلف بكسر الهمزة .

(٢) يخب بها : يسير بها خبباً ، وهو ضرب من العدو السريع . والهادي بالأمر : العارف به ، المهتدي . والقائف : متتبع الآثار العارف بها .

(٣) السادر : الذي لا يهتمّ بشيء، ولا يبالي ما صنع . والمتالف : المهالك .

إذا قيل أيُّ الناس خيرٌ قبيلةً(١) وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبُهْ
فإنَّ بني لَأْم بن عَمرو أُرومةٌ عَلتْ فوق صَعبٍ لا تُنال مَراقبه(٢)
أَضاءت لهم أَحسابهم ووجوهُهم دُجى الليل حتى نظَّم الجزع(٣) ثاقبه
لهم مجلسٌ لا يحصرون(٤) عن الندى إذا مطلبُ المعروف أجدب راكبه

وأمّا خبر أسره والوقعة التي أُسِر فيها فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن احمد بن يحيي ثعلب عن ابن الاعرابي قال :

حرب جديلة والغوث الطائيين :

كان أبو الطمحان القيني مجاوراً في جديلة من طيّيء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها «حرب الفسادْ»(٥) وتحزّبت حزبين : حزب جديلة وحزب الغوث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ

(١) «قبيلة» منصوبة على التمييز، وكذلك «يوماً». ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وقوله لا توارى كواكبه، أي لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. ويروى : لا تواري كواكبه، أي لا تستر.

(٢) الأرومة : الأصل : والمراقب : جمع مرقبة، وهيَ المنظرة في رأس جبل او حصن. وروي في الكامل للمبرد هذا البيت ضمن أبيات في هذه القصيدة لم يذكرها المؤلف، وها هي ذي :

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كانوا مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

(٣) الجزع اليماني : الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض. وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام

(٤) لا يحصرون عن الندى : لا يبخلون. وفعله من باب فرح.

(٥) حرب الفساد من أيام العرب كانت كما قال المؤلف بين الغوث وجديلة من طيىء، سميت بذلك لما حدث فيها من الفظائع والاهوال.

لجديلة . فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو « يوم ناصفة » . وأمّا الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها « يوم قارات حُوق[١] » و « يوم البيضة[٢] » و « يوم عِرنان[٣] » وهو آخرُها وأشدُّها وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمةً قبيحة ، وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة . وأُسر أبو الطمحان في هذه الحرب : أسره رجلان من طيّئ واشتركا فيه ، فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لمّا بلغه قوله :

أرِقتُ وآبتـني الهمومُ الطَّوارقُ ... ولم يلقَ ما لاقيتُ قبلي عاشقُ
اليكم بني لأمٍ تخبُّ هِجانُها ... بكلّ طريق صادفتـه شبارق[٤]
لكم نائـلٌ غمرٌ وأحلام سادةٍ ... وألسنةٌ يوم الخطـاب مَسالق[٥]
ولم يَدْعُ داعٍ مثلكم لعظيمةٍ ... اذا وَزَمتْ بالساعـدين السوارق[٦]

السوارق : الجوامع[٧] ، واحدتها سارقة .

قال فابتاعه بُجير من الطائيَّين بحكمهما ، فجزّ ناصيته وأعتقه .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أبو أيّوب المديني قال : حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال :

---

(١) حوق بالضمّ : موضع . وهذا اليوم هو المعروف أيضاً بيوم اليحامم . قارات جمع قارة وهي أصاغر الجبال والآكام .

(٢) البيضة : عين ماء لبني دارم .

(٣) عرنان : جبل بين تيماء وجبلي طيّئ .

(٤) تخب : تسير الخبب ، وهو العدو السريع . والهجان : كرام الإبل . والشبارق : جمع شبرق بكسر الشين والراء ، وهو شجر منبته نجد وتهامة ، وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان ، وإذا يبس فهو الضريع .

(٥) مسالق : ذَرِبة حادة .

(٦) وزمت : عضت . والأزم : العض كالوزم .

(٧) الجوامع : القيود التي تشد بها سواعد الأسرى والمحبوسين .

كان أبو الطمحان القيني[٢] مجاوراً لبطن من طيّئ يقال لهم بنو جديلة ، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله ، فتعلّقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدّى[١] ديته مائة من الإبل . وجاءهم نزيله ، وكان يدعى هشاماً ، ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله ؛ فقال له أبو الطمحان :

أتاني هشامٌ يدفع الضّيمَ جاهداً يقول ألا مـاذا ترى وتقولُ
فقلت له قُمْ يا لكَ الخـيرُ أدّها مُذلّلةً إنّ العزيزَ ذليـل
فإن يكُ دون القَين أغبرُ شامخٌ فليس الى القَـين الغداة سبيل

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله ابن مالك ، عن اسحاق قال :

انتعاش المأمون ببيتين لأبي الطمحان :

دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكّراً غير نشيط ، فأخذتُ أحدّثه بمُلَح الأحاديث وطُرَفها ، أستميله لأنْ يضحك أو يَنشط ، فلم يفعل . وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما ، وهما :

ألا علّلاني قبـل نَوح النوائح وقبل نُشوز[٣] النفس بين الجوانحِ
وقبل غدٍ ، يا لهفَ نفسي على غدٍ اذا راح أصحـابي ولستُ برائح[٤]

---

(١) لعلّها يؤدي .

(٢) القين : قبيلة أبي الطمحان منسوبة إلى جدّه القين بن جسر .

(٣) النشوز : ارتفاع الشيء عن موضعه، ونشوز النفس بين الجوانح : خروجها منها عند الموت. وفي الحماسة : «وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح» . والجوانح ضلوع الصدر . وارتقاء النفس فوقها : بلوغها التراقي .

(٤) راح اصحابي : رجعوا في العشية إلى منازلهم وبقيت في قبري منفرداً .

فتنبّه كالمتفزّع ثم قال : من يقول هذا وَيحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينيُ يا أمير المؤمنين . قال : صدق والله ، أعِدهما عليّ . فأعدتهما عليه حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب ، وأمر لي بعشرين ألف درهم .

اخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال : حدثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدثني المدائني قال :

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له :

عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه الى الخروج معهم على عبد الملك ، فجعل يعتذر اليه ويحلف له . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، ألا تقبل عذر ابن عمك وتُزيل عن قلبك ما قد أشربته إيّاه ؟ أما سمعتَ قول أبي الطمحان القيني :

اذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ فلا تستثِرْها سوف يَبدو دَفينُها
وإنْ حَمأةُ[1] المعروف أعطاك صفوَها فخُذ عفوَه لا يلتبس بك طينها

قال المدائني : ونزل ابو الطمحان على الزبير بن عبد المطّلب بن هاشم ، وكانت العرب تنزل عليه ، فطال مُقامه لدَيه ، واستأذنه في الرجوع الى اهله وشكا اليه شوقاً[2] اليهم ، فلم يأذن له . وسأله المُقام ، فأقام عنده مدّة ، ثم أتاه فقال له :

ألا حَنّتِ المِرقالُ وائتبّ[3] ربُّها تذكَّرُ أوطاناً وأذكُرُ معشري

---

(١) الحمأة : الطين الأسود المنتن . والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدرة . وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين .

(٢) أي « شوقه » .

(٣) المرقال : الناقة تسرع في سيرها ، من الإرقال ، وهو ضرب من العدو فوق الخبب . وائتب : تهيأ للذهاب وتجهز ، كأب الثلاثي بابي نصر وضرب .

ولو عرفتْ صَرفَ البُيوع لسَرَّها ... بمكة أن تَبتـاعَ حَمضاً بإذخرِ [١]
أسرَّكِ لو أنّا بجنبيْ عُنَـيزةٍ [٢] ... وحَمضٍ [٣] وضُمران [٤] الجَناب وصَعتر
اذا شاء راعيها أستقى من وَقيعةٍ [٥] ... كعَين الغراب صَفوُها لم يُكَدَّر

فلمَّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف ، وكان نديماً له .

صوت

لا يعتري شَربَنا اللِّحاء وقد ... تُوَهبُ فينـا القِيانُ والحللُ [٦]
وفِتيــةٍ كالسيوف نادمتُهم ... لا حَصَر [٧] فيهمُ ولا بَخَـل

الشعر للأسود بن يَعفر ، والغناء لسُلَيم ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

---

(١) يقول : إن ناقته لو عرفت صرف البيوع ، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لشوقها إلى البادية . والإذخر : حشيش طيب الرائحة .

(٢) عنيزة : قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم .

(٣) حمض بفتح أوله هنا : موضع بالبحرين . وإذخر هنا : مكان بمكة .

(٤) الضمران : موضع . وصعتر بفتح أوله وإسكان ثانيه : موضع .

(٥) الوقيعة : مكان صلب يمسك الماء .

(٦) الشرب (بالفتح) : القوم يجتمعون على الشراب . واللحاء : النزاع . والقيان : جمع قينة ، وهي الأمة المغنية .

(٧) الحصر هنا : البخل .

اخبار الاسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر :

الأسود بن يَعفُر – ويقال يُعفرُ بضم الياء – ابن عبد الأسود بن جَندل ابن نَهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تَميم . وأمُّ الاسود بن يَعفر رُهم بنت العبّاب ، من بني سَهم بن عِجل . شاعر متقدّم فصيح ، من شعراء الجاهلية ، ليس بالمُكثر . وجعله محمد بن سلّام في الطبقة الثامنة مع خِداش بن زُهير ، والمُخبَّل السعدي ، والنَّمر بن تولبٍ العُكلي . وهو من العُشيِ – ويقال العُشوُ بالواو – المعدودين في الشعراء . وقصيدته الداليه المشهورة :

نامَ الخليُّ وما أُحِسُّ رُقادي والهمُّ مُحتضِرٌ لديَّ وِسادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مُفَضَّلية مأثورةٌ .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي وأبو الحسن أحمدُ بن محمد الأسديُّ قالا : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال :

تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم الى سوّار بن عبد الله ليُقيمَ عنده شهادةً ، فصادفه يتمثّل قول الاسود بن يَعفر[1] :

ولقــد علمتُ لوَ أنّ عِلمي نافعي أنّ السبيلَ سبيلُ ذي الاعوادِ[2]

---

(١) من قصيدة له هي إحدى مختارات المفضل الضبي، وهي عنده في ستة وثلاثين بيتاً .

(٢) ذو الأعواد، من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم . وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسنّ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج .

إنّ المنيّةَ والُحتوفَ كلاهما يُوفي المخارم يَرميان سَوادي [١]
ماذا أؤمّل بعد آل مُحرِّق [٢] تركوا مَنازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سِنداد [٣]
نزلوا بأنقرة [٤] يَفيض عليهمُ ماء الفرات يَفيض من أطواد
جَرَتِ الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

ثم أقبل على الدارمي فقال له : أتروي هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرف مَن يقوله ؟ قال : لا . قال : رجلٌ من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه ! يا مُزاحم ، أثبت شهادته عندك ، فإني متوقّف عن قبوله حتى أسأل عنه ، فإني أظنّه ضعيفاً .

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الرياشي عن أبي عُبيدة بمثله .

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السّلولي قال حدثني أبي قال :

وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة « نام الخليّ ... » :

بينا نحن بالرافقة [٥] على باب الرشيد وقوفٌ ، وما أَفقد أحداً من وجوه العرب

---

(١) يوفي : يعلو . والمخارم : أفواه الفجاج والطرق في الجبال ، واحدها مخرم . وسواد الرجل : شخصه .

(٢) آل محرّق هنا : هم ملوك الحيرة من لخم .

(٣) الخورنق كسفرجل : قصر من قصور الحيرة ، والخورنق هو بالفارسية خورنكاه وهو بيت الضيافة . والسدير : قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب . وبارق : ماء بالعراق ، أو هو نهر كما في معجم البلدان بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة .

(٤) أنقرة : عاصمة الدولة التركية اليوم .

(٥) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات ، وهي من أعمال الجزيرة .

من أهل الشام والجزيرة والعراق ، إذ خرج وصيفٌ كأنه دُرّةٌ فقال : يا معشر الصحابة ، إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : مَن كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يَعفُرَ :

نام الخليُّ وما أحسُّ رُقادي والهمُّ مُحتضِرٌ[1] لديَّ وسادي

فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم . فنظر بعضنا الى بعضٍ ، ولم يكن فينا أحدٌ يرويها . قال : فكأنما سقطتْ والله البدرة عن قَرَبوسي[2] . قال الحكم : فأمرني أبي فروَيت شعر الأسود بن يَعفر من أجل هذا الحديث .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريُّ قال : حدثني أبي قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائنيُّ قال : حدثنا أبو أمية بن عمرو بن هشام الحرّانيُّ قال : حدثنا محمد بن يزيد بن سِنان قال : حدثني جدّي سِنان بن يزيد قال :

كنت مع مولاي جرير بن سَهمٍ التميمي وهو يسير أمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول :

يا فرسي سيري وأمِّي الشاما وَخلِّفِي الأخوال والأعماما
وقطِّعي الأجوازَ والأعلاما[3] وقاتلي مَن خالف الإماما
إني لأرجو إن لقينا العاما جَمعَ بني أُميّةَ الطَّغاما
أن نَقتلَ العاصيَ والهُماما وأن نُزيل من رجالٍ هاما

فلما انتهى الى مدائن كسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا ، فتمثّل مولاي قول الأسود بن يَعفُر :

(١) المحتضر : الحاضر .

(٢) القربوس : حنو السرج وهو الجزء المعوج في السرج .

(٣) الأجواز جمع جوز يقصد الجهات . والأعلام : الجبال .

جرتِ الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ

فقال له عليٌّ عليه السلام: فلِمَ لم تقل كما قال الله جلّ وعزّ: (كم تركوا من جنّاتٍ وعيون. وزروعٍ ومقامٍ كريم. ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين). ثم قال: يابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النِقمة، فإيّاكم وكفرَ النعمة فتحِلَّ بكم النقمة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

مرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفنة، وقد خرب، فتمثّل مزاحمٌ بقول الأسود بن يَعفر:

جرتِ الرّياحُ على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ
ولقد غَنوا[1] فيها بأنعم عيشةٍ في ظلّ مُلكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعيمُ وكل ما يُلهى به يوماً يَصير الى بلًى ونفاد

فقال له عمر: هلّا قرأتَ: (كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ)، الى قوله جلّ وعزّ: (كذلك وأورثناها قوماً آخرين).

نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضّل قال:

كان الأسود بن يَعفر مُجاوراً في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مُرّة بن عُبادٍ بالقاعة[2]، فقامرهم فقمروه، حتى حصل عليه تسعة عشر بَكراً، فقالت لهم أمّه وهي رُهم بنت العبّاب: يا قوم، أتسلبون ابن أخيكم ماله؟ قالوا: فماذا نصنع؟

---

(١) غنوا: أقاموا.

(٢) القاعة من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين، وتسمى الاجواف أيضاً.

قالت : أحبسوا قِداحه[١] . فلما راح القوم قالوا له : أمسك . فدخل ليقامرهم فردّوا قداحه . فقال : لا أقيمُ بين قوم لا أضرب فيهم بقِدح ؛ فاحتمل قبل دخول الأشهر الحُرُم ، فأخذت إبله طائفةٌ من بكر بن وائل ؛ فاستسعى الأسود بني مُرّة بن عُباد وذكّرهم الجوار وقال لهم :

يالَ عُبادٍ دعوةً بعد هَجعةٍ   فهل فيكم من قوّة وزماعِ[٢]
فتسعَوْا لجارٍ حلَّ وَسط بيوتكم   غريبٍ وجاراتٍ تُركن جِياع

وهي قصيدةٌ طويلةٌ ، فلم يصنعوا شيئاً . فادّعى جِوار بني مُحلِّم بن ذُهل أبن شيبان ، فقال :

قُلْ لبني محلِّمٍ يسيروا   بذِمّةٍ يسعى بها خفيرُ[٣]
لا قدْحَ[٤] بعد اليوم حتى تُورُوا

ويُروى « إن لم تُورُوا » . فسعَوْا معه حتى استنقذوا إبله ، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها :

أجارَتنا غُضِّي من السيرِ أو قِفي   وإن كنتِ قد أزمعتِ بالبَيْن فاصرِفي[٥]
أسائلكِ أو أُخبرْكِ عن ذي لُبانةٍ   سَقيمِ الفؤاد بالحِسان مُكلَّفِ[٦]

---

(١) القداح جمع قدح : سهام الميسر التي كانوا يتقامرون بها .

(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه .

(٣) الخفير هنا : المانع المجير .

(٤) القدح : طلب الإيراء . وتورون : تستخرجون نار الزند .

(٥) الصرف هنا : رد الشيء عن وجهه . يريد اعدلي عما أزمعته من البين .

(٦) مكلّف : مولع .

يقول فيها :

تداركني أسبـــابُ آلِ محلِّمٍ وقد كدتُ أهوي بين نِقين نَفنفِ[١]
همُ القومُ يُمسي جارهم في غضارةٍ سويّاً سليمَ اللحم لم يُتحوَّف[٢]

فلما بلغتهم أبياتُه ساقوا اليه مثل إبله التي أستنقذوها من أموالهم .

قال المفضَّل : كان رجلٌ من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحةُ ، جاراً لبني ربيعة بن عِجل بن لُجيم ، فأكلوا[٣] إبله ، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يَعفر يسأله أن يُعطيَه ويسعى له في إبله . فقال له الأسود : لست جامعها لك ، ولكن أختَرْ أيّها شئتَ . قال : أختارُ أن تسعى لي بإبلي . فقال الأسود لأخواله من بني عِجلٍ :

يا جار طلحة هل تَرُدُّ لَبونَه فتكون أدنى للوفاء وأكرما
تالله لو جاورتمــوه بأرضه حتى يُفارقكم إذا ما أحرما

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . فبعث أخواله من بني عِجلٍ بإبل طلحة الى الأسود بن يَعفر فقالوا : أمّا إذ كنت شَفيعه فخذها ، وتولَّ ردّها لتُحرز المَكرمة عنده دون غيرك .

النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه :

وقال ابن الأعرابي : قتل رجلان من بني سعد بن عِجلٍ يُقال لهما وائلٌ وسليطٌ أبنا عبد الله ، عمّاً لخالد بن مالك بن رِبعيّ النَّهشلي يقال له عامر بن رِبعي ، وكان

(١) النيق : حرف من حروف الجبل، وأرفع موضع فيه . والنفنف : مهواة ما بين جبلين .

(٢) الغضارة : النعمة والسعة في العيش . ويتحوف : يتنقص .

(٣) يريد أخذوها .

خالدُ بن مالكٍ عند النعمان حينئذٍ ومعه الأسود بن يَعفر . فالتفت النعمان يوماً الى خالد بن مالكٍ فقال له : أيّ فارسين في العرب تعرفُ هما أثقلُ على الأقران وأخفُّ على متون الخيل ؟ فقال له : أبيتَ اللعن ! أنت أعلم . فقال : خالا ابن عمك الأسود بن يَعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي (يعني العِجليَّين وائلاً وسليطاً). فتغيّر لون خالد بن مالكٍ . وإنما أراد النعمان أن يحثّه على الطلب بثأر عمه . فوثب الاسود فقال : أبيتَ اللعن ! عضّ بِهَنِ أمّه مَن رأى حقّ أخواله فوق حقّ أعمامه . ثم التفت الى خالد بن مالكٍ فقال : يابنَ عمِّ ، الخمرُ عليَّ حرامٌ حتى أثأر لك بعمك . قال : وعليّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم ، فجمعا جمعاً من بني نهشل بن دارمٍ فأغار بهم على كاظمة[١] ، وأرسلا رجلاً من بني زيد بن نهشل بن دارمٍ يقال له عبيد يتجسّس لهم الخبر ، فرجع اليهم فقال : جَوف كاظمة ملآن من حُجّاج وتجارٍ ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ مُتساندان[٢] في جيش . فركبت بنو نهشلٍ حتى أتوهم ، فنادَوا : مَن كان حاجاً فليمض لحجه ، ومن كان تاجراً فليمض لتجارته . فلما خلص لهم وائلٌ وسليطٌ في جيشها اقتتلوا ، فقُتِل وائل وسليطٌ ، قتلها هِزّان بن زَهير بن جندل بن نهشل ، عادى[٣] بينها . وادّعى الاسود بن يعفر أنه قتل وائلاً . ثم عاد الى النعمان فلما رآه تبسم وقال : وفي نَذرك يا أسود ؟ قال : نعم أبيت اللعن ! ثم أقام عنده مدّةً يُنادمه ويؤاكله ، ثم مرض مرضاً شديداً ، فبعث النعمان اليه رسولاً يسأله عن خبره وَهول ما به ؛ فقال :

نفعٌ قليل اذا نادَى الصّدى[٤] أُصلاً وحان منه لبِردِ الماء تَغريدُ

---

(١) كاظمة : موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان.

(٢) متساندان : متعاونان يسند كل واحد منهما الآخر ويعضده، وكل منهما تحت راية .

(٣) عادى الفارس بين رجلين، إذا طعنهما طعنتين متواليتين .

(٤) الصدى هنا : الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلي .

وودّعوني فقالوا ساعـةَ انطلقوا أوْدى فأوْدى الندى والحزمُ والجودُ
فما أبالي اذا ما مُتُّ مـا صنعوا كلُّ امرئٍ بسبيل الموت مَرصود

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه ، قال :

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح :

كان أبو جُعَلٍ أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعاً من شُذّاذ أسدٍ وتَميمٍ وغيرهم ، فغزوا بني الحارث بن تَيم الله بن ثعلبة ، فنذِروا[١] بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فضّوا جمعهم . فلحق رجلٌ من بني الحارث بن تَيم الله بن ثعلبة جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جَرّاح بن الأسود بن يَعفر ، والحُرُّ بن شِمْرِ بن هِزّان ابن زهير بن جَندلٍ ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جَندل ، وعمرٌو والحارث ابنا حُرَيٍّ بن سلمى بن جندل ، فقال لهم الحارثيُّ : هلمّ إليَّ طُلَقاء[٢] ؛ فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم ، وأنا خيرٌ لكم من العطش . قالوا نعم . فنزل ليجُزَّ نواصيهم . فنظر الجرّاح بن الاسود الى فرسٍ من خيلهم فإذا هي أجودُ فرسٍ في الأرض ، فوثب فركبها وركضها ونجا عليها . فقال الحارثيُّ للذين بَقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم نحن لك عليه خُفَراء . فلمّا أتى جرّاحٌ أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتَطنها[٣] ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها : العصاء . فلما رجع النَّفرُ النَّهشليُّون الى قومهم قالوا إنّا خُفَراء فارس العصاء ، فوالله لنأخذنّها ، فأوعدوه[٤] . وقال حُرَيٌّ ورافع : نحن الخفيران بها . وكان بنو جَرولٍ حُلَفاء بني سلمى بن جَندل على بني

---

(١) نذر بالشيء وبالعدو نذرا : علمه فحذره .

(٢) طلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير أطلق عنه إساره .

(٣) ابتطنها : نتجها ثلاث مرات .

(٤) أوعدوه : هددوه .

حارثة بن جندل ، فأعانه على ذلك التَّيحان بن بَلج بن جَرول بن نهشل . فقال الاسود بن يَعفر يهجوه :

أتاني ولم أخشَ الذي ابتُعِثا به خفيرًا بني سَلمى حُرَيز ورافعُ
همُ خَيَّبوني يومَ كلَّ غنيمةٍ وأهلكتُهم لو أنَّ ذلك نافع
فلا أنا مُعطيهم عليَّ ظُلامةً ولا الحقَّ معروفاً لهم أنا مانع
وإني لأقري الضيف وصَّى به أبي وجار أبي التَّيحان ظمآن جائع
فقولا لتيحان ابنِ عاقرةٍ أستها أمُجرٍ[1] فلاقي الغَيِّ أم أنت نازع[2]
ولو أنَّ تَيحان بنَ بَلج أطاعني لأرشدتُه وللأمور مَطالع
وإن يكُ مَدلولًا[3] عليَّ فإنني أخو الحرب لا قَحمٌ[4] ولا مُتجاذع[5]
ولكنَّ تَيحان ابنَ عاقرةٍ أستها له ذنبٌ[6] من أمره وتوابع

قال : فلمَّا رأى الاسود أنهم لا يُقلعون عن الفرس أو يردّوها ، أحلفهم عليها لحلفوا أنهم خُفَراء لها ، فردَّ الفرس عليهم وأمسك أمهارها ، فردّوا الفرس الى صاحبها . ثم أظهر الأمهار بعد ذلك ، فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود :

أحقًّا بني أبناء سلمى بن جندلٍ وعيدُكم إيايَ وَسطَ المجالسِ
فهلَّا جعلتم نحوه من وَعيدكم على رَهط قَعقاعٍ ورهطِ ابنِ حابس
همُ مَنعوا منكم تُراثَ أبيكم فصار التُّراثُ للكرام الأكايس

(١) مجر : قاصد إلى الشر .

(٢) النازع من النزوع وهو الكف عن الشيء، والانتهاء عنه .

(٣) مدلولا على : أي اجترأ القوم على .

(٤) القحم : الكبير المسن .

(٥) المتجاذع : الذي يرى أنه صغير السن . والجذع : الصغير السن .

(٦) له ذنب : لأمره عواقب .

هُمُ أوردوكم ضَفَّة البحر طامياً وهُم تركوكم بين خازٍ[1] وناكسِ[2]

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي :

وقال أبو عمرو ، كان مسروق بن المنذر بن سَلمى بن جَندل بن نَهشل سيّداً جَواداً ، وكان مؤثراً للأسود بن يَعفر ، كثيرَ الرِّفد له والبرّ به . فمات مسروق واقتسم أهله ماله ، وبانَ فقده على الاسود بن يَعفر فقال يرثيه :

أقولُ لمَّا أتاني هُلكُ سيّدنا لا يُبعِدِ اللهُ ربُّ الناس مسروقاَ
من لا يشيّعه[3] عجزٌ ولا بخلٌ ولا يبيتُ لديه اللحم مَوشوقا[4]
مِردَى حُروبٍ[5] اذا ما الخيل ضرَّجها[6] نَضخُ الدماء وقد كانت أفاريقا[7]
والطاعنُ الطعنة النَّجلاء تحسبها شَنّاً[8] هَزيماً[9] يَمجُّ الماء مخروقا
وجَفنةٍ[10] كنضيحِ[11] البئرِ مُتأقةٍ[12] ترى جوانبها باللحم مفتوقا[13]

---

(١) الخازي ، من خزي بالكسر يخزى خزياً ، اذا ذل وهان .

(٢) الناكس : المطأطئ رأسه .

(٣) يشيعه : يصحبه ويتبعه .

(٤) الموشوق : المقدد . يقال وشق اللحم يشقه إذا شرحه وقدّده .

(٥) مردى حروب : شجاع صبور عليها ، غالب ؛ وأصل المردى : الحجر الذي تكسر به الصخور ، ويكسر به النوى .

(٦) ضرجها : لطخها .

(٧) الأفاريق : جمع أفراق ، وأفراق جمع فرقة وهي : الطائفة والجماعة .

(٨) الشنّ : القربة القديمة الصغيرة .

(٩) الهزيم : اليابس المتكسر .

(١٠) الجفنة : القصعة .

(١١) نضيح البئر : حوضها .

(١٢) المتأقة : الممتلئة .

(١٣) المفتوق : المشقوق .

يَسَّرْتَهـا ليتامى أو لأرملةٍ وكنت بالبائس المتروك محقوقا[١]
يا لَهفَ أُمي إذ أوْدى وفارقني أودى ابنُ سلمى نقيُّ العِرض مرموقا

ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده :

وقال أبو عمرو : عاتبتْ سلمى بنتُ الأسود بن يَعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة[٢] وما يمنحه فُقراءَهم ويُعين به مُستمنحهم ، فقال لها :

وقالت لا أراك تُليق شيئاً أتُهلك ما جمعتَ وتستفيدُ[٣]
فقلت بحسبها يسرٌ وعـارٍ ومُرتحلٌ اذا رحـلَ الوفود[٤]
فلومي إن بدا لكِ أو أفيقي فقبلك فاتني وهو الحميـد
أبو العوراء لم أكمد عليـه وقيسٌ فاتني وأخي يزيـد
مَضَوْا لسبيلهم وبقيتُ وَحدي وقـد يُغني رِباعته الوحيد[٥]
فلولا الشامتون أخذتُ حقي وإن كانت بمطلبـه كؤود[٦]

ويُروى وإن كانت له عِندي كؤودُ

ما قاله في ابنه جراح وكان ضئيلاً ضعيفاً :

قال أبو عمرو : وكان الجرّاح بن الأسود في صباه ضئيلاً ضعيفاً ، فنظر اليه الأسود وهو يُصارع صبياً من الحيّ — وقد صرعه الصبي[٤] — والصبيان يهزؤون منه ، فقال :

---

(١) المحقوق هنا : الخليق .

(٢) الحمالة : ما يحمله عنهم من مغارم .

(٣) يقال : فلان ما يليق شيئاً أي ما يمسك شيئاً .

(٤) اليسر : القوم المجتمعون على الميسر . والعـاري : الذي يعرو القوم يلتمس معروفهم . والمرتحل : الذي يرتحل البعير ، أي يركبه بالقتب .

(٥) الرباعة ، بالفتح وبالكسر : الشأن والامر وهي القبيلة أيضاً .

(٦) كؤود صفة لموصوف محذوف وهو العقبة التي تعترض من الطريق .

سيجرح جرّاحٌ وأعقِلُ ضيمه اذا كان مَخشيّاً من الضَّلَع المُبدي[١]
فآباء جرّاحٍ ذؤابة دارمٍ وأخوال جرّاحٍ سَراة بني نَهد

قال: وكانت أمّ الجرّاح أخيذةً، أخذها الأسود من بني نَهد في غارةٍ أغارها عليهم.

ما قاله لما أسن وكف بصره:

وقال أبو عمرو: لمّا أسنّ الأسود بن يَعفر كُفّ بصره، فكان يُقاد اذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قد كنتُ أهدي ولا أهدى فعلّمني حُسنُ المَقادة أني أفقد البصرا
أمشي وأتبع جُنّاباً ليهديَني إنّ الجنيبة مما تجشمُ الغَدَرا[٢]

الُجنّاب: الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجنيبة. الجَشمُ: المشي ببطء. والغدر: مكانٌ ليس مستوياً.

شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده:

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن المفضّل: أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطائط بن يَعفر شاعر، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حُطائط الذي قال لأمّها رُهم بنت العبّاب، وعاتبته على جوده فقال:

تقول ابنةُ العبّاب رُهمٌ حَرَبتني حُطائط لم تَترك لنفسك مَقعدا[٣]

(١) أعقل: أحمل عنه. الضلع: الاعوجاج خلقة.

(٢) جناب بضم الجيم لا بالفتح: الذي يسير مع الرجل الى جنبه. والجنيبة: الدابة تقاد. والغدر: ما واراك وسد بصرك.

(٣) حربتني: سلبتني مالي.

اذا ما جمعنا صِرمةً بعد هجمةٍ تكون علينا كابن أُمك أسودا [١]
فقلتُ ولم أعيَ الجوابَ : تأمّلي أكان هُزالًا حتفُ زيدٍ وأربدا
أريني جَواداً مات هُزلًا لعلّني أرى ما ترَين أو بخيلًا مُخلَّدا
ذَريني أكن للمال ربًّا ولا يكن لي المالُ ربًّا تحمدي غِبَّه غدا
ذريني فلا أعيا بما حلَّ ساحتي أسودُ فأُكفى أو أطيع المسوَّدا
ذريني يكن مالي لعِرضي وِقايةً يَقي المالُ عِرضي قبل أن يتبدَّدا
أجارةَ أهلي بالقصيمة لا يكن عليَّ – ولم أظلم – لسانُكِ مِبرَدا [٢]

صوت

أعاذلتي ألا لا تعذُلينا أقِلّي اللوم إن لم تنفعينا
فقد أكثرتِ لو أغنيتِ شيئاً ولستُ بقابلٍ ما تأمُرينا

الشعر لأرطاة بن سُهَيَّة ، والغناء لمحمد بن الأشعث ، خفيف رملٍ بالبنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

---

(١) الصرمة : القطعة من الابل نحو الثلاثين . والهجمة : أربعون من الابل الى سبعين فما دون المائة . فاذا بلغت المائة فهي الهنيدة .

(٢) القصيمة : الرملة التي تنبت الغضى .

اخبار ارطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه :

هو أرطاة بن زُفَر بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقفان بن أبي حارثة ابن مُرّة بن نُشبة بن غَيظ بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان . وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب . وسُهَيَّة أمّه ؛ وهي بنت زامل ابن مَروان بن زهير بن ثعلبة بن حُدَيج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر ابن عوف ، سَبيَّةٌ من كلب ، وكانت لضرار بن الأزوَر ثم صارت الى زُفَر وهي حاملٌ فجاءت بأرطاة من ضِرارٍ على فراش زفر ؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضرارٌ الى الحارث بن عوف فقال له :

يا حارث افكُكْ لي بُنيَّ من زُفَرْ

— ويروى : « يا حارِ أطلق لي » —

في بعض مَن تُطلِقُ من أسرى مُضَرْ
إنّ أباه امرؤٌ سوء إن كُفِرْ[1]

فأعطاه الحارث إيّاه وقال : أنطلق بأبنك ، فأدركه نَهشل بن حَرّي بن غطفان فانتزعه منه وردّه الى زفر . وفي تَصداق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زُفَر :

---

(١) كفر : جحد حقه في أبوّته .

فإذا خَمَصتمُ[1] قلتمُ يا عمّنا   وإذا بَطِنتمُ[2] قلتمُ ابنَ الأزورِ

قال: ولهذا غلبتْ أمه سُهيَّة على نسبه فنسب اليها. وضرار بن الأزوَر هذا قاتل مالك بن نُوَيرة الذي يقول فيه أخوه متمِّم:

نِعمَ القتيل اذا الرياح تناوحت   تحت البيوت، قتلتَ يابنَ الأزورِ

منزلته في الشعر:

وأرطاة شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الاسلام في دولة بني أميَّة لم يسبقها ولم يتأخّر عنها. وكان امرأ صِدقٍ شريفاً في قومه جواداً.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسّان رَفيع بن سلمة الملقّب بدماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة قال:

إنشاده عبد الملك:

دخل أرطاة بن سهيَّة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض[3] به شبيب بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل   جنيباً لآبائي وأنت جنيبُ[4]

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبتَ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً. ثم أنشده:

---

(١) خمصتم: جعتم.

(٢) بطنتم: شبعتم.

(٣) يناقض: يعارض.

(٤) الجنيب: الطائع المنقاد.

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً   برأسك عـادِيُّ النِّجاد رسوبُ (١)

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم :

فقال له عبد الملك : صدقتَ ، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب . فعجب من عبد الملك مَن حضر ومن معرفته مقادير الناس على بُعدهم منه في بواديهم ، وكان الأمر على ما قاله : كان شبيب أشرف أباً من أرطاة ، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودماذُ أبو غسّان ، قالا جميعاً ، قال أبو عبيدة :

ما قاله لعبد الملك وقد أسنّ :

دخل أرطاة بن سهيّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالـك يا أرطاة ؟ — وقد كان أسنّ — فقال : ضعفتْ أوصالي ، وضاع مالي ، وقلّ منّي ما كنت أحبّ كثرته ، وكثر منّي ما كنت أُحبّ قلّته . قال : فكيف أنت في شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضبُ ولا أرغبُ ولا أرهبُ ، وما يكون الشعر إلّا من نتائج هذه الأربع ، وعلى أني القائل :

رأيتُ المرء تأكله الليـالي   كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
وما تبغي المنيّـة حين تأتي   على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلمُ أنهـا ستكُرُّ حتى   تُوَفّي نذرهـا بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل توفّي نذرها بك ويلك ! ما لي ولك ؟ فقال :

---

(١) النجاد : حمائل السيف . وعادي النجاد : سيف قديم ، كأنه لقدمه أدرك زمن عـاد . والرسوب : الماضي الذي يغيب في الضريبة ويرسب .

لا تُرَع يا أمير المؤمنين ، فإنّما عنيتُ نفسي – وكان أرطاة يُكنى أبا الوليد – فسكن عبد الملك ، ثم استعبر باكياً وقال : أما والله على ذلك لتلمن[١] بي .

أخبرني به حبيب بن نصر المهلّبي قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أبو غسّان محمد بن يحيي عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحيل[٢] معنى .

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة :

أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشامي بأنطاكية[٣] قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهيّة دخل على مروان بن الحكم لمّا أجتمع له أمرُ الخلافة ، وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً ، وصمد[٤] لإنفاذ الجيوش الى ابن الزبير لمحاربته ، فهنّاه وكان خاصّاً به وبأخيه يحيي بن الحكم ، ثم أنشده :

تشكّى قَلوصي إليّ الوجى تجرُّ السريح وتُبلي الخداما[٥]
تزورُ كريماً له عندها يدٌ لا تُعدُّ وتهدي السلاما
وقلّ ثواباً له أنّها تُجيد القوافيَ عاماً فعاما
وسادت معدّاً على رغمها قُرَيشٌ وسُدت قريشاً غلاما
جُعِلتَ على الأمر فيه صَغاً[٦] فما زال غمزُك حتى أستقاما

---

(١) لتلمنّ بي : لتنزلن بي .

(٢) أحال الكلام يحيله إحالة : غيره وأفسده .

(٣) أنطاكية : بلد معروف في شمال الساحل الشامي .

(٤) صمد : قصد .

(٥) القلوص : الناقة الشابة . الوجى : الحفا . والسريح : الذي تشدّ به الخدمة فوق الرسغ . والخدام جمع خدمة هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشدّ في رسغ البعير ثم يشدّ اليها سرائح نعلها .

(٦) الصغا : الميل .

لقيتَ الزُّحوفَ فقاتلتها ... تجرَّدتَ فيهنَّ عضباً حُساما
تشقُّ القوانسَ[1] حتى تنا ... لَ ما تحتها ثم تبري العظاما
نزعتَ[2] على مَهَلٍ سابقاً ... فما زادك النَّزع إلا تماما
فزاد لك الله سلطانه ... وزاد لك الخيرَ منه فداما

فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزبيباً وشعيراً.

هجاؤه شبيباً :

قال : وكان أرطاة يُهاجي شبيب بن البرصاء ، ولكلٍّ واحدٍ منهما في صاحبه هجاءٌ كثير ، وكان كلُّ واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، وكانت بنو مُرّة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم . فلما افترقا سبعه[3] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم ؛ فقال أرطاة له :

رَمَتك فلم تُشوِ[4] الفؤاد جنوبُ ... وما كلُّ من يرمي الفؤاد يُصيبُ
وما زوَّدتنا غير أن خلطت لنا ... أحاديث منها صادقٌ وكذوب
ألا مُبلغٌ فِتيان قوميَ أنني ... هجاني ابنُ برصاء اليدين شبيب
وفي آل عوفٍ من يهود قبيلةٌ ... تشابه منها ناشئون وشيب
أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل ... جَنيباً لآبائي وأنت جَنيب[5]
وما زلت خيراً منك مذ عضَّ كارهاً ... برأسك عاديُّ النِّجاد رسوب

(١) القوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة من الحديد .

(٢) نزعت : جريت .

(٣) سبعه : شتمه ووقع فيه بالقول القبيح .

(٤) لم تشو : لم تصب الشوى ، ومشوي . كل ما كان غير مقتل من الاعضاء . وجنوب : اسم امرأة .

(٥) الجنيب : المنقاد .

فـما ذنبنا إن أمُّ حمزة جاوزت بيثرب أتيـاساً لهنّ نبيبُ [١]
وإنّ رجـالًا بين سَلعٍ وواقمٍ [٢] لأيرُ أبيهم في أبيـك نصيب
فلو كنت عوفياً عميتَ وأسهلت كداك ولكنّ المريب مُريب [٣]

حرص العوفيين على العمى عند الكبر :

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبيّ قال : لمّا قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عوفٍ يتمنّى أن يعمى – وكان العمى شائعاً في بني عوف كلما أسنّ منهم رجل عمي – فعمر أرطاة ولم يَعم ، فكان شبيبٌ يعيّره بذلك . ثم مات أرطاة وعمي شبيب ، فكان يقول بعد ذلك : ليتَ أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أنّي عوفيّ .

ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه في يوم قتال :

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال : كان شبيب بن البرصاء يقول : وددت أنّي جمعني وابن الأمة أرطاة بن سهيّة يومُ قتال فأشفي منه غيظي . فبلغ ذلك أرطاة فقال له :

إن تلقني لا ترى غـيري بناظرةٍ [٤] تنسَ السلاح وتعرف جبهة الأسدِ
ماذا تظنُّك تُغني في أخي رَصَد من أسد خفّان جابي العين ذي لبد [٥]

(١) النبيب : صياح التيوس عند هياجها .

(٢) سلع : جبل متصل بالمدينة . وواقم : أطم من آطامها واليه تنسب حرة واقم .

(٣) كدى : جمع كدية والكدية : الارض الغليظة . يريد : لو كنت من بني عوف بن سعد بن ذبيان لعميت مثل كثيرين منهم ولسهلت أرضك الغليظة .

(٤) الناظرة : العين .

(٥) يقال رصده رصداً ورصداً : رقبه ، كرصده . والراصد : الاسد . والرصيد : السبع يرصد الوثوب . وخفان : موضع قرب الكوفة كان مأسدة .

— جاني العين وجائب العين : شديد النظر —

أبي ضراغمةٍ غُبرٍ يعوّدها ... أكلَ الرجال متى يبدأ لها يَعُدِ
يا ايها المتمنّي أن يُلاقيَني ... إن تنأ آتكَ أو إن تبغني تجِد
تَقض اللبانة من مُرٍّ شرائعه ... صعبِ المقادة تخشاه فلا تَعُد[1]
متى تردنيَ لا تصدر لمصدرة ... فيها نجاةٌ وإن أصدِرك لا ترد
لا تحسبنّي كفقع[2] القاع ينقره ... جانٍ[3] باصبعه أو بَيضةِ[4] البلد
أنا ابن عُقفان معروفٌ له نسبي ... إلا بما شاركت أمٌّ على ولد
لاقى الملوك فأثأى[5] في دمائهم ... ثم استقرّ بلا عقل ولا قَوَد[6]
مِن عُصبة يطعنون الخيل ضاحية[7] ... حتى تبدّد كالمزؤودة[8] الشُرُد[9]
ويمنعون نساء الحيّ إن علمت ... ويكشفون قتام[10] الغارة العمد
أنا ابنُ صِرمة إن تسأل خيارهم ... أضرب برجليَ في ساداتهم ويدي[11]
وفي بني مالك أمٌّ وزافرة[12] ... لا يدفع المجد من قيس الى أحد

(١) الشرائع (جمع شريعة) وهي مورد الشاربة .

(٢) فقع القاع : الكمأة .

(٣) الجاني : الذي يجنيها .

(٤) بيضة البلد : الخامل الذي لا يعرف نسبه .

(٥) أثأى : جرح وطعن .

(٦) أي لم يرزأ بدية ولا قصاص .

(٧) الضاحية : البارزة .

(٨) المزؤودة : المذعورة .

(٩) الشرد : النافر .

(١٠) القتام : الغبار .

(١١) صرمة : هو ابن مرة بن عوف بن سعد ، من أسلاف أرطاة .

(١٢) زافرة الرجل : عشيرته وأنصاره .

ضربتُ فيهم بأعراقي كما ضربت ‏ ‏ عُروقُ ناعمةٍ في أبطح ثئد [١]
جَدّي قُضاعة معروف ويعرفني ‏ ‏ جبا رفيدة أهل السَّرو والعدد [٢]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن ابيه قال :

خبر حبه لوجزة :

كان أرطاة بن سهيَّة يتحدّث الى امرأة من غنيّ يقال لها وجزة ، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة ، ثم اجتمعت غنيّ وبنو مُرّة في دار ، فمرّ أرطاة بوجزة وقد هرمت وتغيّرت محاسنها وافتقرت ، فجلس اليها وتحدّث معها وهي تشكو اليه أمرها ، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال :

مررتُ على حِدثي [٣] برمّان [٤] بعد ما ‏ ‏ تقطّع أقرانُ الصِّبا والوسائلُ
فكنت كظبيٍ مفلِتٍ ثمّ لم يزل ‏ ‏ به الحَين [٥] حتى أعاقته الحبائل [٦]

أرطاة ينسب بوجزة :

قال أبو الفرج الأصبهاني : وقد ذكر أرطاة بن سهيَّة وجزة هذه ، ونسب بها في مواضع من شعره ، فقال في قصيدة :

(١) أعراق : أصولي . والناعمة : النبتة الحسنة الغذاء والري . والابطح : المسيل الواسع ، وثئد : نديّ .

(٢) قضاعة : جد الشاعر لأمه وهي سهية الكلبية . الجبا ، بالفتح : الحوض ، وما حول البئر . يعني به جماعة القبيلة . ورفيدة بن ثور الجد الاعلى لقبائل كلب الذين تنسب اليهم أم الشاعر . والسرو : المروءة والندى .

(٣) الحدث : المحدث والمسامر .

(٤) رمان : جبل في بلاد طيئ .

(٥) الحين : الهلاك .

(٦) الحبائل جمع حبالة وهي : التي يصاد بها .

ودَاوِيّةٍ[١] نازعتها الليـل زائراً لوجزة تهديني النجوم الطوامس[٢]
أُعوجُ[٣] بأصحابي عن القصد[٤] تعتلي[٥] بنا عُرضَ كسريها[٦] المطيّ[٧] العرامس[٨]
فقد تركتني لا أعيـجُ[٩] بمشرب فأروى ولا ألهو الى من أجالس
ومن عجبِ الأيام أنْ[١٠] كلّ منزل لوجزة من أكناف رمّان دارس
وقد جاورت قصر العُذَيب[١١] فما يُرى برمّان إلا ساخـطٌ العيش بائس
طِلابٌ بعيدٌ واختلافٌ من النوى اذا ما أتى مِن دون وجزة قادس[١٢]
لئن أنجح الواشون بيني وبينهـا وطال التنائي والنفوس النوافس[١٣]
لقد طالمـا عِشنا جميعاً ووُدُّنا جميعٌ اذا ما يبتغي الأنس آنس
كذلك صَرفُ الدهر ليس بتاركٍ حبيباً ويبقى عمره المتقـاعس

---

(١) الداوية ، بتشديد الياء وتخفيفها : الفلاة الواسعة المستوية .

(٢) النجوم الطوامس : التي ذهب نورها .

(٣) أعوج : أميل .

(٤) القصد : استقامة الطريق .

(٥) تعتلي : ترتفع .

(٦) كسرا كل شيء : ناحيتاه .

(٧) المطي : جمع مطية ، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها .

(٨) العرامس : جمع عرمس ، وهي الناقة الصلبة الشديدة .

(٩) لا أعيج بمشرب : لا أكترث له ولا أباليه .

(١٠) أن هنا : مخففة من الثقيلة .

(١١) العذيب : واد بظاهر الكوفة ، أو هو ماء بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال . وقصر العذيب : هو القصر الذي أشرف منه سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين في قتاله مع جيش الفرس في وقعة القادسية .

(١٢) النوى : النية ، والقصد لبلد غير الذي أنت مقيم فيه ، والبعد والتحول . وقادس : أراد بها القادسية .

(١٣) النوافس : جمع نافس ، وهو الحاسد .

وقال ابن الأعرابي : كانت بين أرطاة بن سهيّة وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيانُ مهاجاةٌ ، فاعترض بينهما حُباشة الأسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة :

أبلغ حُباشة أني غيرُ تاركه حتى أذلِّله إذ كان ما كانا
الباعثَ القولِ يُسديه ويُلحمه كالمجتدي الثُّكلَ إذ حاورتُ حيانا
إن تدعُ خِندِفَ بغياً او مكاثرةً أدعُ القبائل من قيس بن عَيلانا
قد نحبس الحقّ حتى ما يجاوزنا والحقُّ يحبسنا في حيث يلقانا
نبني لآخِرنا مجداً نشيّده إنّا كذاك ورِثنا المجد أولانا

وقال ابن الأعرابي : وفد أرطاة بن سهيّة الى الشأم زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة[1] ، وقد هنّأه بالظَّفر ، ومدحه فأطال المُقام عنده ، وأرجف أعداؤه بموته ، فلما قدم — وقد ملأ يديه — بلغه ما كان منهم ، فقال فيهم :

اذا ما طلعنا من ثنيّةِ لفلفٍ[2] فخبّر رجالاً يكرهون إيابي
وخبّرْهمُ أني رجعتُ بغبطة أُحدِّدُ أظفاري ويصرفُ[3] نابي
وإني ابن حرب لا تزالُ تهرُّني كلاب عدوّي أو تهرُّ كلابي

أرطاة وزميل يتلاحيان :

وقال أبو عمرو الشيباني : وقع بين زُميلٍ[4] قاتل ابن دارة وبين أرطاة بن سهيّة لحاء : فتوعده زميل ، وقال : إني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة . فقال له أرطاة :

---

(١) عام الجماعة هنا العام الذي فرغ فيه عبد الملك من قتال الزبيريين والخوارج .

(٢) لفلف : بلد تجاه برد من حرة ليلى . وهي من أداني ديار بني مرة .

(٣) صريف الانياب : حرقها وسماع صوتها .

(٤) زميل : هو زميل بن عبد مناف الفزاري ، وابن دارة هذا : هو سالم بن مسافع . ودارة أمه .

يا زِملُ إني إن أكن لك سائقاً تركض برجليك النجـاة وألحقِ
لا تحسبنّي كامئٍ صادفتـه بضيعـة فخدشته بالمِرفق
إني امرؤٌ أوفي اذا قـارعتكم قصبَ الرّهـان وما أشأ أتعرّق (١)

فقال له زميل :

يا أرطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتـه والمرء يستحيي اذا لم يَصـدُقِ
فافعل كما فعـل ابنُ دارةَ سالمٌ ثم امش هَونـك (٢) سادراً لا تتّقِ
واذا جعلتك بين لَحيَيْ شابـك الـأنياب فارعُد ما بدا لك وابرُقِ

أخبرني أبو الحسن الأسدي ، قال : حدثنا الرّياشيّ ، قال : حدثنا الأصمعيّ قال : قال أرطاة بن سهيّة للربيع بن قَعنبٍ :

لقد رأيتـك عُرياناً ومؤتزراً فـا عرفتُ أنثى أنت أم ذكرُ ؟

فقال له الربيع : لكن سهيّة قد عرفتني . فغلبه وانقطع أرطاة .

أخبرني عمي ، قال : حدثنا الحسن بن عُليلٍ العنزي قال : حدثنا قعنبُ بن المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال : تزوّج عبد الرحمن بن سهَيل بن عمرو أمّ هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكانت من أجمل نساء قُرَيش ، وكان يجد بها وجداً شديداً ، فمرض مرضته التي هلك فيها ، فجعل يُديمُ النظر اليها وهي عند رأسه ، فقالت له : إنك لتنظر إليّ نظر رجلٍ له حاجة ، قال : إي والله إن لي اليك حاجةً لو ظفرتُ بها لهان علي ما أنا فيه. قالت : وما هي ؟ قال : أخاف أن تتزوّجي بَعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : أن تُوثقي لي بالأيمان المغلّظة . فحلفت له بكلّ يمينٍ سكنت اليها نفسه ثم هلك.

---

(١) أتعرق : أذهب .

(٢) الهون ومثله الهوينى : التؤدة والرفق . والسادر هنا : الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

فلما قضت عدتها خطبها عمرُ بن عبد العزيز وهو – أمير المدينة – فأرسلت اليه : ما أراك إلا وقد بلغتك يميني . فأرسل اليها : لك مكان كلّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان ، ومكان كلّ عِلقٍ[1] عِلقان ، ومكان كلّ شيء ضعفه . فتزوّجته ، فدخل عليها بطالٌ بالمدينة ، وقيل : بل كان رجلا من مشيخةِ قريشٍ مغفّلا ، فلما رآها مع عمر جالسةً قال :

تبدلتِ بعد الخيزُران جريدةً ... وبعد ثياب الخزّ أحلام نائمِ

فقال له عمر : جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم ! فقالت أمّ هشام : ليس كما قلتَ ، ولكن كما قال أرطاة بن سهيّة :

وكائنْ ترى من ذات بثٍّ وعولةٍ ... بكت شجوها بعد الحنين المُرجّعِ
فكانت كذاتِ البوّ[2] لمّا تعطّفت ... على قطع من شِلوهِ المتمزّع
متى لا تجده تنصرف لطياتها[3] ... من الأرض أو تعمد لإلف فتربع
عن الدهر فاصفح إنه غيرُ مُعتبٍ ... وفي غيرِ مَن قد وارتِ الارض فاطمع

وهذه الأبيات من قصيدةٍ يرثي بها أرطاة ابنه عمراً .

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيُّ ، قال : حدثنا الحسن بن عُليلٍ ، قال : حدثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة ، قال : كان لأرطاة بن سهيّة ابنٌ يقال له : عمرو ، فمات ، فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولًا . ثم إن الحيّ أراد الرحيل بعد حول لنجعةٍ بغوْها ، فغدا على قبره ، فجلس عنده حتى اذا حان الرواح ناداه : رُحْ يا ابن سلمى معنا ! فقال له

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

(٢) البوّ : جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً .

(٣) طياتها : جمع طية . والطية هنا : الوجه الذي يراد ويقصد .

قومه : ننشدك الله في نفسك وعقلك ودينك ، كيف يروح معك من مات مُذ حَولٍ ؟ فقال : أنظروني الليلة الى الغد . فأقاموا عليه ، فلما أصبح ناداه : اغدُ يا ابن سلمى معنا ، فلم يزلْ الناس يذكِّرونه الله ويُناشدونه ، فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره ، وقال : والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا . فرقُّوا له ورحموه ، فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم . وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه :

وقفتُ على قبرِ ابن سلمى فلم يكن ... وقوفي عليه غيرَ مبكىً ومجزَعِ
هل أنتَ ابن سلمى إن نظرتك رائحٌ ... مع الركب أو غادٍ غداةَ غدٍ معي
أأنسى ابن سلمى وهو لم يأتِ دونه ... من الدهر إلا بعض صيف ومَربع
وقفت على جُثمان عمرو فلم أجد ... سوى جدَثٍ عاف ببيداء بلقع
ضربتُ عمودَي بانة[1] سموا معاً ... فخرَّت ولم أُتبع قَلوصي بدعدع
ولو أنها حادت عن الرمس نلتها ... ببادرةٍ من سيف أشهب[2] موقع
تركتك إن تحيَيْ تَكوسي[3] وإن تنُؤ ... على الُجهد تخذُلها توالٍ فتصرع
فدع ذكر مَن قد حالت الأرض دونه ... وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

أرطاة يناجي قبر ولده في العشي حولا كاملاً :

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، فذكر أن أرطاة كان يجيء الى قبر ابنه عشياً فيقول : هل أنت رائحٌ معي يا ابن سلمى ؟ ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حَولاً ، ثم تمثَّل قول لبيد :

---

(١) البانة : واحدة شجر البان ، وهو شجر يسمو ويطول في استواء . ودعدع : كلمة يدعى بها للعاثر في معنى قم وانتعش واسلم .

(٢) الأشهب : النصل الذي برد برداً خفيفاً فلم يذهب سواده كله . والموقع هنـــا : الوقيع . والوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر .

(٣) تكوسي : تمشي على ثلاث قوائم .

الى الحولِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما ومن يبكِ حَولاً كاملاً فقد اعتذرْ

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي، قال: حدثنا عمرو بن شبة قال حدثنا المدائني قال: قال أرطاة بن سهيّة يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به:

لقد رأيتك عُرياناً ومُؤتزراً فما دريتُ أأنثى أنت أم ذكرُ

فقال له الربيع:

لكن سهيّة تدري إذ أتيتكم على عُرَيجاء[1] لما احتلَّت الأُزُرُ

فغلبه الربيع، ولجّ الهجاء بينهما، فقال الربيع بن قَعنب يهجو أرطاة:

وما عاشت بنو عُقفانَ إلا بأحلامٍ كأحلامِ الجواري
وما عُقفانُ من غطفانَ إلا تلمُّسُ مُظلِمٍ بالليلِ ساري
اذا نحرتْ بنو غيظ جَزوراً دَعوهم بالمراجلِ والشفارِ
طُهاةُ اللحم حتى يُنضجوه وطاهي اللحم في شُغلٍ وعارِ

فقال أرطاة يجيبه ويعيّره بأن أمّه من عبد القيس:

وهذا الفسو[2] قد شاركتَ فيه فمن شاركتَ في أيرِ الحمارِ[3]
وأيُّ الناس أخبثُ من هَبلٍ[4] فزاريٍّ وأخبثُ ريحِ دارِ

أخبرني عبد الله بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز،

---

(١) عريجاء: موضع.

(٢) الفسو عرف به حي من عبد القيس يقال لهم الفساة.

(٣) نبزه بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل أير الحمار.

(٤) الهبل: الثقيل المسن الكبير من الناس والابل.

قال : حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي ، قال : قدم مُسرف[1] بنُ عقبة المريّ المدينة ، وأوقع بأهل الحرة ، فأتاه قومه من بني مُرّة وفيهم أرطاة فهنّئوه بالظفر واسترفدوه[2] فطردهم ونهرهم ، وقام أرطاة بن سهيّة ليمدحه فتجهّمه بأقبح قولٍ وطرده . وكان في جيش مُسرفٍ رجلٌ من أهل الشام من عُذرة ، يقال له عُمارة ، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف إقبال معاوية عليه ، ورفده له ، فأومأ الى أرطاة فأتاه ، فقال له : لا يغرُرك ما بدا لك من الأمير ، فإنه عليلٌ ضجرٌ ، ولو قد صحّ واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله ، وأنا بكَ عارفٌ ، وقد رأيتك عند أمير المؤمنين – يعني معاوية – ولن تعدم مني ما تحب . ووصله وكساه وحمله على ناقةٍ ، فقال أرطاة يمدحه ويهجو مُسرفاً :

لحا اللهُ فَودي مُسرف وابن عمه وآثار نَعلَيْ مسرف حيث أثّرا
مررتُ على ربعَيها فكأنني مررتُ بجبارَين[3] من سَرو حِميرا

– ويروى : « تضيَّفتُ جبارَين » –

على أن ذا العليا عُمارة لم أجد على البُعد حُسنَ العهد منه تغيَّرا
حباني ببُردَيه وعَنس كأنما بنى فوق متنيها الوليدان قَهقرا[4]

---

(١) مسرف : لقب مسلم بن عقبة المري .

(٢) استرفده : طلبوا الرفد وهو العطاء .

(٣) الجبار هو : الملك أو هو المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقاً . وسرو حمير : محلتهم . وبه فسر قول ابن مقبل .

(٤) العنس : الناقة الصلبة القوية . والوليد هنا : العبد او الغلام . والقهقر : جمع القهقرة ، وهي الصخرة العظيمة . يريد : ان ما على متنيها من اللحم مثل الصخرة العظيمة .

وقال أبو عمرٍ الشيباني : خاصمت امرأةٌ من بني مُرّة سهيّة أمّ أرطاة بن سهيّة، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبّتها، فخرج أرطاة اليها فسبها وضربها، فجاء قومُه، ولاموه، وقالوا له : ما لكَ تُدخل نفسك في خصومات النساء ! فقال لهم :

يعيّرُني قومي المجاهل واَلخنا ... عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليمِ
هل الجهل فيكم أن أُعاقبَ بعدما ... تجوّز سبّي واستُحلّ حريمي
اذا أنا لم أمنع عجوزيَ منكمُ ... فكانت كأُخرى في النساء عقيم
وقد علمتْ أفناءُ[1] مُرّةَ أننا ... اذا ما اجتدانا[2] الشرّ كلَّ حميم
حماةٌ لأحساب العشيرة كلِّها ... اذا ذُمّ يوم الرّوع كلّ مُليم[3]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهيّة، وذكرت في قوله في قتلي من قومه قُتِلوا يوم بناتِ قينٍ[4] — هو :

فلا وأبيكَ لا ننفكّ نبكي ... على قتلى هُنالك ما بقينا
على قتلى هنالك أوجعتنا ... وأنستنا رجالًا آخرينا
سنبكي بالرّماح اذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا
بطعنٍ ترعُد الأحشاء منه ... يردّ البيض والأبدان جُونا[5]

---

(١) الافناء : الاخلاط .

(٢) اجتدانا الشر : طلب الينا الشر، وهو يريد طلب معونتنا لدفع الشر . فسمى المعونة شرًا للمشاكلة .

(٣) المليم : الذي يأتي ذنبا يلام عليه .

(٤) بنات قين : آكام معروفة في ديار بني كلب .

(٥) البيض : السيوف . والابدان معناه : الدروع القصيرة . والجون هنا : الحمر من كثرة الدم السائل من الجراح .

كأنّ الخيـــل إذ آنسن كلباً[١] يرَين وراءهم مـــا يبتغينا

صوت

عجبتُ لمسراها وأنّى تخلّصت إليّ وباب السجن بالقفل مُغلقُ
ألمّت فحيّتْ ثم قامت فودّعت فلما تولت كادت النفسُ تزهق

الشعر لجعفر بن علبة الحارثيّ ، والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيفاً ثقيلاً أوّل بالوسطى لابن سريج . وذكر حمّاد بن اسحاق أن فيه خفيف الثقيل للهذلي .

(١) كلب : قبيلة .

اخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه

هو جعفر بنُ علبةَ بن ربيعةَ ، بن عبدِ يغوثَ الشاعرِ أسيرِ يوم الكُلاب ، ابن مُعاوية بن صلاءة بن المعقِل بن كعبِ بن الحارث بن كعبٍ ، ويكْنى أبا عارِم ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكره في شعره . وهو من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، شاعرٌ مقلٌّ غزلٌ فارسٌ مذكورٌ في قومه ، وكان أبوه علبةُ بن ربيعةَ شاعراً أيضاً ، وكان جعفرٌ قتلَ رجلاً من بني عقيل : قيل : إنه قتله في شأنِ أمةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارةٍ أغارها عليهم . وقيل : بل كان يحدّث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتلَ منهم رجلاً فاستعدَوا عليه السلطان فأقاد منه . وأخباره في هذه الجهات كلّها تُذكر وتُنسَب إلى من رواها .

أخبرني محمد بنُ القاسم الأنباري ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني الحسنُ ابنُ عبد الرحمن الربعيّ ، قال : حدّثنا أبو مالكٍ اليمانيّ ، قال : شرب جعفرُ بن عُلبةَ الحارثيّ حتى سكِر فأخذه السلطان فحبسه ، فأنشأ يقولُ في حبسه :

لقد زعموا أني سكرتُ وربما ... يكونُ الفتى سكرانَ وهو حليمُ
لعمرُكَ ما بالسكرِ عارٌ على الفتى ... ولكنّ عاراً أن يُقالُ لئيم
وإنّ فتىً دامت مواثيقُ عهده ... على دونِ ما لاقيتُه لكريم

قال : ثمّ حُبِس معه رجلٌ من قومه من بني الحارث بن كعبٍ في ذلك الحبس ، وكان يقال له دَورانُ ، فقال جعفرٌ :

إذا بابُ دورانٍ ترنّم في الدجى ... وشُدّ بأغلاقٍ علينا وأقفالِ

وأظلم ليلٌ قام علجٌ بجُلجُلٍ[١] يدور به حتى الصباحِ بإعمالِ
وحراسُ سَوء ما ينامون حَوله فكيف لمظلومٍ بحيلة مُحتال
ويصبرُ فيه ذو الشجاعة والندى على الذّل للمأمور والعِلجِ والوالي

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتله في غارةٍ أغارها على بني عُقيل، فإني نسختُ خبرَه في ذلك من كتاب عمرٍو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه، قال: خرج جعفرُ بنُ علبةَ وعليُّ بنُ جُعدَبٍ الحارثيّ القناني والنضرُ بن مُضارب المعاويّ، فأغاروا على بني عُقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى، حتى انتهَوا إلى بلادِ بني نهدٍ فرجعتْ عنهم بنو عُقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

ألا لا أبالي بعد يومٍ بسَحبَلٍ[٢] إذا لم أعذَّب أن يجيء حِماميا
تركت بأعلى سحبل ومضيقهِ مُراقَ دمٍ لا يبرح الدهرَ ثاويا
شفَيتُ به غيظي وجُرّب موطني[٣] وكان سناء[٤] آخرَ الدهر باقيا
أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا طريقي فمالي حاجةٌ من ورائيا
فِدًى لبني عمٍّ أجابوا لدعوتي شفَوا من بني القَرعاء عمّي وخاليا
كأنّ بني القرعاء يوم لقيتُهم فِراخُ القطا لاقَين صَقراً يمانيا
تركناهم صرعى كأنّ ضجيجَهم ضجيجُ دباريّ[٥] النِيب لاقت مداويا

(١) العلج هنا: الرجل الشديد الغليظ. والجلجل: الجرس الصغير.

(٢) سحبل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب.

(٣) موطني: موقفي.

(٤) السناء (بالمدّ): المجد والشرف والرفعة.

(٥) دباري النيب: التي اصابها الدبر.

أقولُ وقد أَجلت من اليوم عركةٌ[1] ... ليبكِ العُقيليّين من كان باكيا

فإنّ بقُرّى[2] سجبل لأمارةً ... ونضحَ دماء منهم ومحابيا

— المحابي : آثارهم، حبوا من الضعف للجراح التي بهم —

ولم أَتْرك لي رِيبةً غيرَ أنني ... وددت مُعاذا كان فيمن أتانيا

— أراد : وددت أن مُعاذا كان أتاني معهم فأقتُلهُ —

شفيتُ غليلي من خُشَينة بعد ما ... كسوتُ الهُذَيلَ المشرفيّ اليمانيا[3]

أحقًّا عباد الله أن لست رائيا ... صحاريّ نجدٍ والرياحَ الذواريا

ولا زائرا شُمَّ العرانين أنتمي ... إلى عامرٍ يحْلُلْنَ رملًا مُعاليا

إذا ما أتيتَ الحارثياتِ فانعني ... لهن وخبِّرْهُنّ أن لا تلاقيا

وقوِّد قَلوصي بينهن فإنها ... ستُبرِد أكبادا وتُبكي بواكيا[4]

أوصّيكم إن متُّ يوماً بعارم[5] ... ليُغني شيئاً أو يكونَ مكانيا

ويروى :

وعطِّل قلوصي في الركاب فإنها ... ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

---

(١) العركة : المرة من العراك .

(٢) قرّى هنا موضع في بلاد بني الحارث بن كعب .

(٣) خشينة والهذيل : شخصان كانا فيمن التقى بجعفر من العقيليين فقتل جعفر خشينة وعرقب الهذيل : ضربه في عرقوبه .

(٤) قوّد : أكثر القياد . والقلوص : الفتية من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٥) عارم : ابن جعفر بن علبة وبه كان يكنى .

وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الرَّيب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه . وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً :

وسائلةٍ عنا بغَيب وسائلٍ ... بمصدَقِنا في الحرب كيف نُحاولُ
عشية قُرّى سَحبل إذ تعطَّفت ... علينا السرايا والعدوُّ المُباسل[١]
ففرج عنا اللهُ مرحى[٢] عدوّنا ... وضربٌ ببيض المشرفيَّةِ خابل
إذا ما قرى[٣] هام الرؤوس اعترامُها[٤] ... تعاوَرَها[٥] منهم أكفٌّ وكاهل[٦]
إذا ما رُصدنا مرْصدا فرجت لنا ... بأيماننا بيضٌ جلتها الصياقل
ولما أبوا إلا المُضيّ وقد رأوا ... بأن ليس منا خشيةَ الموت ناكل
حلفتُ يمينا بَرَّةً لم أرِد بها ... مقالة تسميع[٧] ولا قول باطل
لَيَختضمن[٨] الهندواني منهم ... معاقد يخشاها الطبيبُ المزاول
وقالوا لنا ثِنتان لا بدّ منهما ... صدور رماح أشرعت أو سلاسل
فقلنا لهم تلكم إذاً بعد كرّةٍ ... تُغادِرُ صرعى نَهضُها مُتخاذِل
وقتلى نفوسٍ في الحياةِ زهيدةٍ ... إذا اشتجر الخطِّيُّ والموت نازل
نُراجعُهم في قالة بدءوا بها ... كما راجع الخصمَ البذيَّ المُناقل[٩]

(١) السرايا : جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة رجل . والمباسلة : المصاولة في الحرب .

(٢) المرحى : الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب .

(٣) قراه : أطعمه القرى، وهو كناية عن كثرة الضرب .

(٤) اعترامها : اشتدادها .

(٥) تعاورها : تداولها .

(٦) الكاهل : مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٧) التسميع : التشهير والتشنيع . والبيت فيه إقواء .

(٨) الاختضام : القطع

(٩) المناقل : الذي يتحدّث مع غيره ويراجعه .

لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سحبلٍ ولي منه ما ضمّت عليه الانامــل

عامل مكة أخذ بحق بني عقيل ويقتل جعفر ابن علبة

قال : فاستعدَت عليهم بنو عُقيل السريّ بن عبدِ الله الهاشمي عامــلَ مكة لأبي جعفر ؛ فأرسل إلى أبيه عُلبةَ بن ربيعةَ فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه، فأما النضرُ فاستُقيدَ[١] منه بجراحة[٢]، وأمّا عليّ بنُ جُعدُبٍ فأفلتَ من الحبس، وأما جعفرُ بنُ علبةَ فأقامت عليه بنو عقيل قسامة[٣] : أنه قتل صاحبهم فقُتل به . هذه رواية أبي عمرو .

وذكر ابنُ الكلبي أن الذي هاجَ الحربَ بين جعفر بنِ علبةَ وبني عقيلٍ أن اياسَ بنَ يزيدَ الحارثي واسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمةٍ لشعيب بن صامتٍ الحارثي، وهي في ابلٍ لمولاها في موضع يُقال له صُمُعَرُ من بلاد بلحارث[٤]، فتحدّثا عندها فمالت الى العقيلي ، فدخلتهما مؤاسفة[٥] حتى تخانقــا بالعمائم ، فانقطعت عمامةُ الحارثي وخنقه العقيليّ حتى صرعه ، ثم تفرّقا . وجــاء العُقيليون الى الحارثيين فحكّموهم فوهبوا لهم ، ثم بلغهم بيتٌ قيل ، وهو :

ألم تسأل العبد الزياديّ ما رأى بصمعر والعبــد الزياديّ قائمُ

فغضب إياسٌ من ذلك فلقيَ هو وابن عمه النضر بن مضاربٍ ذلك العقيلي ، وهو اسماعيل بن أحمر ، فشجّه شجّتين وخنقــه ؛ فصار الحارثيون الى العقيليين

(١) استقيد منه : اقتص منه .

(٢) الجراحة : الضربة أو الطعنة .

(٣) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

(٤) هم بنو الحارث بن كعب، كما في معجم البلدان .

(٥) المؤاسفة : المغاضبة .

فحكموهم فوهبوا لهم . ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلًا ثم أطلقوه . وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر :

أبا عارم كيف اغتررت ولم تكن ... تُغَرُّ اذا ما كان أمرٌ تحاذرُه
فلا صلح حتى يخفق(١) السيف خفقةً ... بكفِّ فتًى جُرّت عليه جرائره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جُعدُبٍ ، والنضر بن مضارب ، وإياس بن يزيد ، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمدٍ بجبرٍ — وهو موضع بالقاعة — فضربوهما ضرباً مبرّحاً ، ثم انصرفوا فضلّوا عن الطريق ، فوجدوا العقيليين وهم تسعةٌ ، فاقتتلوا قتالًا شديداً حتى خلّى لهم العقيليون الطريق ثم مضَوا حتى وجدوا من عقيلٍ جمعاً آخر بسحبل فاقتتلوا قتالًا شديداً ، فقتل جعفر ابن علبة رجلًا من عقيل يقال له خشينة ، فأستعدى العقيليون إبراهيم بن هشامٍ المخزوميَّ عامل مكة ، فرفع الحارثيين(٢) الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ، ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً ، فأحضرت عقيلٌ قسامةً : حلفوا أن جعفراً قتل صاحبهم . فأقاده ابراهيم بن هشام .

قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يُقتل وهو محبوس :

عجبتُ لمسراها وأنّى تخلّصت ... إليّ وباب السجن بالقفل مُغلقُ
ألمّت فحيّت ثم قامت فودّعت ... فلما تولّت كادت النفس تزهق
فلا تحسبي أني تخشّعتُ بعدكم ... لشيء ولا أنّي من الموت أفرق
وكيف وفي كفي حسامٌ مُذَلّقٌ(٣) ... يعض بهامات الرجال ويعلق

(١) خفق السيف : اضطرابه .
(٢) رفعهم : أرسلهم الى الوالي .
(٣) مذلق : محدّد .

ولا أن قلبي يزدهيه وعيدُهم ولا أنني بالمشي في القيد أخرقُ [١]
ولكن عرتني من هواكِ صبابةٌ كما كنت ألقى منك إذ أنا مُطلق
فأما الهوى والودُّ مني فطامحٌ اليك وجثماني بمكة موثق

وقال جعفر بن علبة لأخيه ماغز يحرّضه :

وقل لأبي عون اذا لقيته ومن دونه عرض الفلاة يحولُ

— في نسخة ابن الأعرابي :

... ... اذا ما لقيته ودونه من عرض الفلاة مُحولُ

بالميم ، وبشمّ الهاء في « دونه » بالرفع وتخفيفها ، وهي لغتهم خاصة —

تعلّم وَعد الشكّ أنّي يشفّني ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكبولُ [٢]
اذا رُمتُ مشياً أو تبوّأتُ مضجعا يبيت لها فوق الكعاب صليل
ولو بكَ كانت لابتعثتُ مطيّتي يعود الحفا أخفافها وتجول
الى العدل حتى يصدر الأمر مصدرا وتبرأ منكم قالةٌ وعُدول

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديدٍ ، تخالف هاتين الروايتين ، وقال فيه : كان جعفر بن علبة يزور نساء من عقيل بن كعبٍ ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعبٍ ، فأخذته عُقيلٌ ، فكشفوا دُبُر قميصه ، وربطوه الى جُمّته ، وضربوه بالسياط ، وكتّفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث اليهن على تلك الحال ليغيظوهن ، ويفضحوه عندهنّ ، فقال لهم : يا قوم ،

---

(١) الاخرق هنا : الدهش فزعاً .

(٢) يشفه : يهزله ويضمره ويذهب بعقله . والكبول : القيود ، واحدها كبل . والكبل : القيد أو هو أعظم ما يكون من القيود .

لا تفعلوا فإن هذا الفعل مُثلةٌ ، وأنا أحلف لكم بما يُثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً، ولا أَلجها . فلم يقبلوا منه . فقال لهم : فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ، ومُنّوا عليّ بالكفّ عنّي فإني أعدّه نعمةً لكم ويداً لا أكفرُها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني ، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ، ويضربونه ، ويُغرُون به سفهاءهم حتى شفَوا أنفسهم منه ، ثم خلّوا سبيله . فلم تمض إلا أيامٌ قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى . فلما كان في نُقرةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيلٌ أقفى خلقِ الله لأثر ، فتبعوه حتى انتهوا اليه والى صاحبيه ، والعقيليون مُغترّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر بن عُلبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدَت عليهم عقيل السريَّ بن عبد الله الهاشميَّ عامل المنصور على مكة ، فأحضرهم وحبسهم ، فأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر بن علبة – وكان يحبّ أن يدرأ عنه الحدّ لخؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث ، ولأن أخت جعفرٍ كانت تحت السريّ بن عبد الله ، وكانت حظيةً عنده – الى أن أقاموا عليه قسامةً : أنه قتل صاحبهم . وتوعدوه بالخروج الى أبي جعفر والتظلم اليه ، فحينئذٍ دعا بجعفرٍ فأقاد منه ، وأفلت عليُّ بن جُعدبٍ من السجن فهرب . قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة . فلما أخرج جعفرٌ للقوَد قال له غلام من قومه : أسقيك شربةً من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت لا أمَّ لك ، إني اذا لمهياف[1] . وانقطع شِسع نعله[2] فوقف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

---

(١) المهياف : الذي لا يصبر على العطش .

(٢) شسع النعل : أحد سيورها ، وهو الذي يدخل بين الاصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام . والزمام : السير الذي يعقد فيه الشسع .

أشدّ قِبال نعلي¹ أن يراني ‌ عدوّي للحوادث مُستكينا

قال: وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نجبة بن كليبٍ أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيلٍ، فقال في ذلك:

شفى النفس ما قال ابن علبة جعفر ‌ وقولي له أصبر ليس ينفعك الصبرُ
هوى رأسه من حيث كان كما هوى ‌ عُقابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكر
أبا عارم، فينا عُرامٌ² وشدّة ‌ وبسطة أيمانٍ سواعدها شُعر
همُ ضربوا بالسيف هامة جعفر ‌ ولم يُنجه برٌّ عريضٌ ولا بحر
وقُدناه قَود البكر قسراً وعنوةً ‌ الى القبر حتى ضم أثوابه القبر

وقال علبة يرثي ابنه جعفراً:

لعمرُك إني يوم أسلمت جعفراً ‌ وأصحابه للموت لما أقاتلِ
لمجتنبٌ حبّ المنايا وإنما ‌ يهيج المنايا كلّ حقٍّ وباطل
فراح بهم قومٌ ولا قومَ عندهم ‌ مغلّلةٌ أيديهمُ في السلاسل
ورب أخٍ لي غاب لو كان شاهدا ‌ ورآه التباليون³ لي غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أمّ جعفر قبل أن يُقتل جعفر:

لعمرك إن الليل يا أمّ جعفرٍ ‌ عليّ وإن عللتني لطويلُ
أحاذر أخباراً من القوم قد دنت ‌ ورجعةَ أنقاضٍ لهنّ دليل⁴

(١) قبال النعل: شسعها.

(٢) العرام: الشدّة والقوّة والشراسة.

(٣) التباليون: المنسوبون الى تبالة، وهو بلد باليمن.

(٤) الانقاض: جمع نقض، وهو المهزول من الابل والخيل كأن السفر نقض بنيته.

فأجابته فقالت :

أبا جعفرٍ أسلمت للقوم جعفراً فمتْ كمداً أو عش وأنت ذليلُ

بنت يحي بن زياد تبكيه وترثيه بأبياته :

قال أبو عمرو في روايته : وذكر شداد بن ابراهيم أن بنتاً ليحي بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قُتل فكفَّنته واستجادت له الكفن ، وبكته وجميع من كان معها من جواريها ، وجعلن يندُبنه بأبياته التي قالها قبل قتله .

أحقًّا عباد الله أن لستُ رائياً صحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذّواريا

وقد تقدمت في صدره أخباره . وفي هذه القصيدة يقول جعفر :

وددت مُعاذاً كان فيمن أتانيا

فقال معاذٌ يجيبه عنها بعد قتله ، ويخاطب أباه ، ويعرّض له أنه قُتل ظُلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلا أن غيظهم على جعفرٍ حملهم على أن ادّعوا القتل عليه .

أبا جعفر سَلِّب بنجران واحتسب أبا عارمٍ والُمسمنات العواليـا[1]
وقَوِّد قلوصاً أتلف السيف ربهـا بغـير دمٍ في القوم إلا تماريا[2]

(١) سلب : ألبس ثياب الحداد السود . والاصل في التسلب أن يكون للمرأة الذي يموت زوجها أو حميمها . يقال تسلبت المرأة إذا لبست ثياب المأتم السود . والمسمنات : ذوات السمنة .

(٢) قوّد : اجعلها تقاد ولا تركب . والقلوص : الشابة أو الباقية على السير ، أو أوّل ما يركب من إناثها الى أن تثني ثم هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث . تمارياً : تكذيباً .

اذا ذكرته مُعصرُ[١] حارثيّةٌ جرى دمع عينيها على الخد صافيا
فلا تحسبنّ الدّين يا عُلبَ مُنسأً ولا الثائر الحرّان ينسى التقاضيا
سنقتل منكم بالقتيل ثلاثةً ونُغلي وإن كانت دماء غواليا
تمنيتَ أن تلقى مُعاذاً سفاهةً ستلقى مُعاذاً والقضيب اليمانيا

ووجدتُ الأبيات القافيَة التي فيها الغناء في نسخة النضر بن حديد أتمّ مما ذكره أبو عمرو الشيباني . وأوّلها :

ألا هل الى فتيانِ لهوٍ ولذّةٍ سبيلٌ وتهتافِ الحمامِ المطوقِ[٢]
وشربةِ ماء من خَدُوراء[٣] باردٍ جرى تحت أظلال الأراك المسوّق
وسيري مع الفتيان كلّ عشيةٍ أباري مَطاياهم[٤] بصهباء سَيلَق
اذا كلحت[٥] عن نابها مَجّ شِدقها لغاماً[٦] كمُحِّ البيضة المُترقرق
وأصهب جَونيّ كأن بُغامه تبغُّمُ مطرودٍ من الوحش مُرهَق[٧]
بَرى لحم دفّيه وأدمى أظله اجتيابي الفيافي سَملقاً بعد سَملق[٨]

---

(١) المعصر : الجارية التي بلغت عصر شبابها وأدركت .

(٢) المطوق من الحمام : ما كان له طوق في عنقه .

(٣) خدوراء : موضع في بلاد بني الحارث بن كعب ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٤) الاصهب من الابل : الذي يخالط بياضه حمرة ، وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيض أجوافه. وانما خص الابل الصهب بالذكر لانها خير الابل لسرعتها . والسيلق : الماضية في سيرها .

(٥) كلحت : كشرت في عبوس .

(٦) اللغام : زبد أفواه الابل ، وهو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الانسان . ومح البيضة ومحتها : صفرتها . والمترقرق : المتحرك جيئة وذهوبا .

(٧) يريد : بعيراً جونياً، وهو الاسود المشرب حمرة . وبغامه : صوته. وتبغم (بالتشديد) كبغم.

(٨) دفا البعير : جنباه . وأظله : باطن منسمه ، أو هو باطن إصبعه . السملق : الارض المستوية الجرداء لا نبات فيها .

وذكر بعده الأبيات الماضية . وهذا وهمٌ من النضر ، لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضةٌ ، فأتيتُ بكل واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك .

علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصيح مع النسوة بكاء على جعفر :

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسيُّ عن حماد بن اسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لما قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحيّ يبكين عليه ، وقام أبوه الى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادها ، وألقاها بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ! فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهنّ ؛ فما رُئي يومٌ كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذٍ .

صوت

عَلِّلاني إنما الدنيـا عَلَلْ واسقياني عَلَـلاً بعد نَهَلْ[١]
أصحبُ الصاحب ما صاحبني وأكفُّ اللوم عنه والعذل

الشعر للعُجَير السلولي . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حُبَيش . وذكر الهشاميُّ أنه من منحول يحيى المكّيّ .

---

(١) العل والعلل : الشربة الثانية ، وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً . والنهـل (بالتحريك) : أول الشرب .

أخبار العجير السلولي ونسبه

أخبار العجير السلولي ونسبه :

هو – فيما ذكر محمد بن سلّام – العجيرُ بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيط بن جابر بن عبد الله بن سَلولٍ . ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيبٍ قال : هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول بن مُرّة بن صعصعة ، أخي عامر بن صعصعة . شاعرٌ مقلٌ إسلاميٌ من شعراء الدولة الأموية . وجعله محمد بن سلامٍ في طبقةِ أبي زبيدٍ الطائيّ ؛ وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام .

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال : حدثنا محمد بن سلّامٍ الجمحيُّ ، قال : حدثنا أبو الغرّاف قال : كان العجير السلوليُّ دلّ عبد الملك بن مروان على ماءٍ يقال له مطلوب(١) ، وكان لناسٍ من خثعم ، فأنشأ يقول :

لا نومَ إلا غِرارُ العينِ(٢) ساهرةً ... إن لم أرَوِّعْ بغيظٍ أهل مطلوبِ
إن تشتموني فقد بدّلتَ أيكتكم ... ذَرَقَ الدّجاج بجفّان اليعاقيب(٣)
وكنتُ أخبركم أن سوف يعمرها ... بنو أميّة وعداً غير مكذوب

---

(١) مطلوب : اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر يستقى منها بدلاء .

(٢) غرار العين : قلة نومها .

(٣) الأيكة : الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر . وذرق الدجاج : خرؤه . واليعاقيب جمع يعقوب . وهو هنا ذكر الحجل . وجفان اليعاقيب : فراخها .

العجير يذهب ليلاً الى عبد الملك حين طلبه :

قال : فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميَّة الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين، إنَّما أراد العجير أن يصلَ اليك وهو شويعر سآل[١] . وحرَّبه[٢] عليه . فكتب الى عامله بأن يشدّ يدي العجير الى عنقه ثم يبعثه في الحديد . فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبسني وابعث من يبصر الأرضين والضياع ، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ وبلٌ[٣] ، فبعث فاتخذ ذلك الماء ، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية .

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي قال : هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم ، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن علقمة الكناني ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم عليه الحدّ وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحدّ وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدّعي عليكم تجاوز الحق . فهرب العجير منهم ليلاً حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ، ثم تعلق بثوبه وقال :

اليك سبقنا السوط والسجن ، تحتنا حيالٌ يُسامين الظلال ولُقَّحُ[٤]

---

(١) السآل : الملحاح في السؤال .

(٢) حرّبه : حرضه عليه وأثار عليه حرب الغضب .

(٣) حل : حلال . وبل : مباح مطلق . وبل من برد الماء أي أن دمي يبرد صدرك .

(٤) حيال : جمع حائل . والحائل : الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل . ولقح : جمع لاقح . واللاقح : الناقة الحامل . ويسامين الظلال : يبارينها .

الى نافع لا ترتجي ما أصابنا تحوم علينا السانحات وتبرحُ
فإن أكُ مجلوداً فكن أنت جالدي وان أكُ مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره ، فقال له :

يا نافعٌ يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشيّه
إنا لقينا سنةً قسيّة[1] ثم مُطرنا مَطرةً رويه
فنبت البقل ولا رعيه[2]

— يعني أن المواشي هلكت قبل نباتِ البقيل — فقال له : أنجُ بنفسك فإنّي سأُرضي خصومك ، ثمّ بعث اليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال :

حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدثني عمرُ بن إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد السعديّ قال : قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي : أصدقت فيا قلته لابن عمك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إلا أني قلت :

فتًى قُدَّ قَدَّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لبّاته وبآدله[3]

— هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطَّثرية[4] ترثيه به —

---

(١) القسية : الشديدة لا مطر فيها ، من القسوة .

(٢) الرعية : الماشية الراعية أو المرعية .

(٣) الرهل : يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم من غير داء . اللبة : موضع النحر . والبآدل : جمع بأدلة ؛ وهي اللحمة بين العنق والترقوة .

(٤) طثرية : أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري .

جميلٌ اذا استقبلته من أمامه وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافله [1]
طويلٌ سطي[2] الساعدين عذوّرٌ[3] على الحيّ حتى تستقلّ مراجله
ترى جازريه يُرعدان ونارُه عليها عداميل الهشيم وصامله [4]
يجران ثِنياً[5] خيرُها عظمُ جاره على عينه لم تعدُ[6] عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف في كل شتوة بمرّ[7] ومِردى[8] كل خصم يجادله
مقيماً سلبناه دريسي مُفاضة وأبيض هندياً طوالاً حمائله [9]

فقال هشام : هلك والله الرجل .

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي : اصطحب العجير وشاعر من خزاعة الى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن عليّ عليهم السلام ، وقصد العجير رجلاً من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطاناً ، فأعطى الحسن ابن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامري العجير شيئاً ، فقال العجير :

---

(١) الشعث : تلبد الشعر واغبراره . وجافله هنا : من الجفال ؛ وهو الشعر الكثير .

(٢) سطي الساعدين : ذو بطش ، وهو مبالغة من سطا عليه وبه سطوا وسطوة ، اذا بطش به برفع اليد .

(٣) العذور : السيء الخلق . وإنما جعله عذوراً لشدّة تهممه بأمر الاضياف وحرصه على تعجيل قراهم .

(٤) يرعدان : تصيبهما الرعدة إما من خوفه لاستعجاله إياهما وإما من البرد . والصميل : اليابس . والعدولي هنا : نسبة الى عدولى ، وهو موضع بنواحي البحرين تنسب اليه السفن . والهشيم هنا : الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء لانها بدون ثمر . وصامله : يابسه .

(٥) الثني : الناقة التي ولدت بطنين .

(٦) لم تعد : لم تصرف .

(٧) « مر » : ماءة لبني أسد بينها وبين الخوة يوم شرقي سميراء وبهامات ابن عم العجير واسمه جابر بن زيد .

(٨) المردى : صخرة يكسر بها النوى .

(٩) الدريس هنا : الدرع الخلقة . والمفاضة : الدرع الواسعة . وأبيض هندياً : يريد سيفاً .

العجير يقول حين حرمه العامري العطاء :

يا ليتني يوم حزّمتُ القلوص له   يمّمتها هاشمياً غيرَ ممذوقِ[1]
محضَ النِجار[2] من البيت الذي جُعلت   فيه النبوّة يجري غير مسبوق
لا يُمسك الخير إلا ريثَ يُسأله   ولا يلاطم[3] عند اللحم في السوق[4]

فبلغتْ أبياته الحسن، فبعث اليه بصلة الى محلّة قومه وقال له : قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدّ له .

العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر جمله .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحول قال : حدثني بعض الرواة أن العجير بن عبد الله السلولي مرّ بقوم يشربون فسقوه، فلما انتشى قال : انحروا جملي واطعمونا منه . فنحروا وجعلوا يُطعمونه ويسقونه ويغنُّونه بشعر قاله يومئذٍ، وهو :

علِّلاني إنما الدنيا علَلْ   واسقياني عللاً بعد نَهَلْ
وانشلا[5] ما اغبرّ من قدريكما   وأصبحاني[6] أبعد الله الجمل
أصحبُ الصاحب ما صاحبني   وأكفُّ اللوم عنه والعذل

(١) المذق : الخلط . يريد أنه هاشمي صريح النسب .

(٢) النجار : الاصل والحسب . ومحضه : خالصه .

(٣) الملاطمة : مفاعلة من اللطم، وهو ضرب الجسد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة .

(٤) يريد أنه لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنما يذبح لهم في بيته .

(٥) انشلا : أمر من نشل اللحم ينشله من غير مغرفة فهو النشيل. والنشيل : ما طبخ من اللحم بغير توابل . وما اغبرّ : ما بقي .

(٦) اصبحاني : أعطياني الصبوح . وهو هنا ما أكل أو شرب غدوة .

واذا أتلف شيئاً لم أقـل أبداً يا صاح ما كان فعل

قال : فلما صحا سأل عن جمله فقيل له : نحرته البارحة . فجعل يبكي ويصيح : واغربتاه ! وهم يضحكون منه . ثم وهبوا له بعيراً فارتحله[١] وانصرف الى أهله .

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حجَّ العجير السلولي فنظر الى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلمه فقال فيها :

أيا ربِّ لا تغفر لعثمة ذنبهـا وإن لم يعاقبهـا العجير فعاقبِ
أشارت وعقد الله بيني وبينهـا الى راكب من دونه ألف راكب
حرامٌ عليك الحجُّ لا تقربنّـه اذا حـان حجُّ المسلمات التوائب

العجير يكل زواج ابنته الى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه :

وقال ابن الأعرابي : غاب العجير غيبة الى الشام ، وجعل أمر ابنته الى خالها ، وأمره أن يزوّجها بكفء . فخطبها مولىً لبني هلال كان ذا مال ، فرغبت أُمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى اليه بأمرهـا أن يزوّجها منه ففعل . فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير ، وبرجالٍ من قومها ، وبابن عمّ لها يقال له قيل ، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أرادت ، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال :

ألا هـل لبعجان الهلاليّ زاجرٌ وبعجان مأدوم الطعـام سمينُ
أليس أمير المؤمنين ابن عمهـا وبالحنو[٢] آسادٌ لهـا وعرين

---

(١) ارتحله : حط عليه الرحل .

(٢) الحنو : حنو ذي قار قرب الكوفة .

وعاذت بحقوَيَّ[١] عامرٍ وابن عامرٍ ... ولله قد بتت عليَّ يمينُ
تنالونها[٢] او يخضبَ الأرض منكم ... دم خرّ عنـه حاجب وجبين

وقال أيضاً في ذلك :

اذا ما أتيت الخاضبـات أكفَّها ... عليهنّ مقصور الحجـال المروّقُ[٣]
فلا تدعونّ القيلَ[٤] إلا لمشربٍ ... رواء ولكنّ الشجاع الفرزدق
هو ابنٌ لبيضاء الجبين نجيبـةٍ ... تلقَّتْ[٥] بطُهر لم يجئْ وهو أحمـق
تداعى اليـه أكرمُ الحيّ نسوةً ... أطفن بكِسرَيْ بيتها حين تُطلق[٦]
فجاءت بعريان اليدَين كأنّـه ... من الطير بازٍ ينفض الطلّ أزرق

قول العجير في رفيق :

وقال ابن الأعرابي : كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبح ، وكانا يصيبان الطريق وفيه يقول العجير :

ومنخرقٍ عن مَنكبيه قميصـه ... وعن ساعديه ، للأخلاء واصلِ
اذا طال بالقوم المطا في تنوفةٍ ... وطولِ السرى ألفيته غير ناكل[٧]

(١) الحقو : معقد الازار .

(٢) تنالونها : لا تنالونها . وحذف «لا» النافية .

(٣) المروق : ذو الستور . والرواق : ستر دون السقف ، أو مقدّم البيت .

(٤) القيل : اللبن يشرب في القائلة .

(٥) تلقت : علقت ، أي حبلت .

(٦) الكسر : جانب البيت أو الشقة السفلى . وتطلق بالبناء للمجهول من طلقت، كعنى ، في المخاض أصابها وجع الولادة .

(٧) المطا هنا ؛ التمطي ، والتمطي : السير الممتد . والتنوفة كالتنوفية : الارض الواسعة البعيدة الاطراف وتسمى المفازة . والناكل هنا : الجبان الضعيف .

دعوت وقد دبّ الكرى في عظامه ... وفي رأسه حتى جرى في المفاصلِ
كما دبّ صافي الخمر في مخّ شاربٍ ... يميل بعِطفَيه، عن اللبِّ ذاهـل
فلبّى ليَثْنيني بِثْنَيْ لسانـه ... ثقيلين من نوم غلوب الغياطـل [1]
فقلت له قم فارتحل ليس ها هنا ... سوى وقفة الساري مناخٌ لنازل
فقام اهتزازَ الرمح يسرو [2] قميصه ... ويحسر عن عاري الذّراعين ناحل

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير امرأة يقال لها أمّ خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدّان حتى أثقل بالدين ومد يديه الى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول وقـد غالبتها أمّ خالد ... على مالها أغرقت دَيناً فأقصرِ [3]
أبى القصر مَن يأوي اذا الليل جنّني ... الى ضوء ناري مِن فقير ومُقتِر
أيا موقدَيْ ناري ارفعاها لعلّها ... تُشبّ [4] لِمُقوٍ آخر الليـل مقفر
أمِن راكبٍ أمسى بظهر تنوفةٍ ... أواريك أم من جاريَ المتنظِّر
ولا قِدرَ دون الجار إلّا ذميمةٌ ... وهذا المقاسي ليلةً ذات منكر
تـكاد الصَّبا تبتزّه مِن ثيابه ... على الرَّحل إلا من قميص ومئزر [5]
وماذا علينا أن يخالس ضوءهـا ... كريمٌ نثـاه شاحب المتحسَّر [6]

— المتحسر: ما أنكف وتجرد من جسمه —

فيخبرنا عمّا قليل ولو خلت ... له القِـدر لم نعجب ولم نتخبّر

(١) الغياطل: جمع غيطلة، والغيطلة هنا: غلبة النعاس.

(٢) يسرو قميصه: يلقيه عنه.

(٣) الاقصار: الامتناع.

(٤) المقوي: الذي لا زاد معه، يقال: أقوى الرجل اذا نفد طعامه وفني زاده.

(٥) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش. وتبتزه: تجرده.

(٦) يخالس: ينتهز. والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

صوت

سلي الطارق المعترَّ يا أمَّ مالكٍ … اذا ما أتاني بين قِدري ومَجزري[١]
أأبسط وجهي أنّه أول القرى … وأبذل معروفي له دون مُنكري
فلا قصر حتى يفرج الغيث من أوى … الى جنب رَحلي كلّ أشعث أغبر
أقي العِرض بالمال التِلاد[٢] وما عسى … أخوك اذا ما ضيَّع العرض يشتري
يؤدّي إليَّ النَّيل[٣] قنيانَ ماجدٍ … كريم ومالي سارحاً مال مقتر

– القنيان : ما اقتني من المال . يقول : إنه لبذله القرى كأنه موسر ، واذا سرح ماله علم أنه مقتر –

إذا مُتّ يوماً فاحضري أمّ خالد … تُراثك من طِرف وسيف وأقدرِ[٤]

قال ابن حبيب : من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها :

سلي الطارق المعترَّ يا أمَّ مالك

لعروة بن الورد ، وهي للعجير .

العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي

---

(١) الطارق : الآتي بالليل . والمعتر : الذي يطيف بك ويطلب ما عندك ، سألـك أو سكت عن السؤال .

(٢) التلاد : المال القديم الاصلي الذي ولد عندك من مالك او نتج . وكل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء . وهو التالد والتليد والمتلد .

(٣) النيل والنائل : ما نلته .

(٤) الطرف هنا : الكريم من الخيل . والاقدر : الفرس الذي يجاوز حافرا رجليـه مواقع حافري يديه .

ابن الصبّاح عن هشام بن محمدٍ قال: وفد العجير السلوليّ – وسلول بنو مرّة بن صعصعة – على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه لشغلٍ عرض لعبد الملك، ثم وصل اليه فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أمّ الهبرزيّ تبيّنت ... عِظامي ومنها ناحل وكسير [١]
وقالت تضاءلتَ الغداة ومَن يكن ... فتًى قبل عامِ الماء فَهْو كبير [٢]
فقلت لها إنّ العجير تقلّبت ... به أبطنٌ أبلينَه وظهور
فمنهنّ إدلاجي على كلّ كوكبٍ ... له من عُمانيّ النجوم نظير [٣]
وقرعي بكفّي باب مَلك كأنما ... به القوم يرجون الأُذينَ نُسور [٤]
ويومٍ تبارى ألسن القوم فيهم ... وللموت ارحاءٌ بهنّ تدور [٥]
لو أنّ الجبال الصُمّ يسمعن وَقعها ... لعُدْن وقد بانت بهنّ فُطور [٦]
فرحتُ جواداً والجواد مثابرٌ ... على جَرْيه، ذو علة ويسير

فقال له: يا عجير ما مدحت إلّا نفسك، ولكنّا نُعطيك لطول مُقامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدثنا محمد بن سعدٍ الكرانيّ قال:

---

(١) أم الهبرزي: الحمى. ناحل: مهزول دقيق. والكسير: المكسور.

(٢) عام الماء: عام خصيب مشهور بالكلأ والكمأة والجراد سمي عام الماء.

(٣) العماني: المنسوب الى عمان.

(٤) الأذين: الحاجب.

(٥) الالسن: جمع لسان، واللسان: المقول يذكر ويؤنث.

(٦) الفطور: الشقوق جمع فطر بالفتح.

حدثنا العمريُ عن العتبيّ قال : نظر أبي الى فتّى من بني العباس يسحب مُطرف[١] خزٍ عليه وهو سكران – وكان فتًى متهتكاً – فحرك رأسه ملياً ثم قال : لله درُ العجير السلوليِ حيث يقول :

وما لبس الناسُ من حُلَّة جديدٍ ولا خلقاً يُرتَدى[٢]
كمثل المروءة للّابسين فدعني من المُطرف المُستدى[٣]
فليس يُغيّر فضل الكريم خُلوقة أثوابه والبلى[٤]
وليس يغيّر طبع اللئيم مطارف خز رقاقُ السدى[٥]
يجود الكريم على كلّ حالٍ ويكبو اللئيمُ اذا ما جرى

قوله في ابنه الفرزدق :

أخبرني عمي قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو القاسم اللِهبيّ عن أبي عبيدة قال : كان العجير السلولي له ابن يقال له الفرزدق ، وفيه يقول العجير :

ولقد وضعتك غير مُترَكٍ من جابر[٦] في بيتها الضَّخمِ
واخترتُ أمّك من نسائهم وأبوك كلُ عذوَرٍ شهم[٧]

(١) المطرف : واحد المطارف ، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام .

(٢) الحلة : إزار ورداء ، وخلق : بال ، الذكر والانثى فيه سواء .

(٣) المستدى هنا : المنسوج .

(٤) الخلوقة ، بضم الخاء : البلى .

(٥) السدى من الثوب : ما مدّ منه ، وهو خلاف اللحمة .

(٦) من جابر : يريد من قبيلة جابر ، وجابر من آباء العجير .

(٧) العذور : السيء الخلق ، القليل الصبر فيا يريده ويهم به .

فلئن كذبت المنح من مائة ٍ فلتقبلن بسائغ وَخم ٍ[١]
إن الندى والفضل غايتنا ونجاتنا وطريق من يحمي

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال قال الحرمازي: وقف العجير السلولي لبعض الامراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له:

أتيتك أنّ الباهلي يسوقني بدين ومطلوبُ الدُّيون رقيقُ
ثلاثتنا إن يسّر الله: فائزٌ بأجر، ومُعطًى حقه، وعتيق

فأمر بقضاء دينه:

بنت عمه تختار العامري عليه وتتزوجه ليساره:

وقال ابن الأعرابي: كانت للعجير بنت عمٍّ وكان يهواها وتهواه، فخطبها الى أبيها فوعده وقاربه[٢]. ثم خطبها رجلٌ من بني عامر موسر، فخيرها أبوها بينه وبين العجير، فاختارت العامريّ ليساره، فقال العجير في ذلك:

أَلِمّا على دارٍ لزينب قد أتى لها بلوى ذي المرخ صيفٌ ومربعُ[٣]
وقولا لها قد طالما لم تكلمي وراعاك بالعين الفؤاد المروَّع
وقولا لها قال العجير وخصّني اليك، وإرسال الخليلين ينفع
أأنت التي استودعتك السرَّ فانتحى لي الخون مرّاحٌ من القوم أفرع[٤]

---

(١) من مائة: يريد مائة من الابل. والوخم: الذي لا تحمد مغبته.

(٢) قاربه: قرب منه في الرأي والموافقة.

(٣) اللوى: منقطع الرمل. وذو المرخ هنا: واد كثير الشجر قريب من فدك.

(٤) انتحى: قصد. والخون: مصدر كالخيانة. ومراح مبالغة من المرح وهو نشاط الروح. وأفرع: له جمة، وافي الشعر.

إذا مت كان الناس نصفين : شامتٌ ومثنٍ بما قد كنتُ أُسدي وأصنعُ
ومستلحم قد صكَّه القوم صكَّةً بعيدِ الموالي نِيلَ ما كان يمنع [١]
رددتُ له ما أفرط القتل بالضحى وبالأمس حتى اقتاله فهو أصلع [٢]
ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

وقال ابن الاعرابي : كان العجير يتحدث الى امرأة من بني عامر يقال لها جملٌ فألفها وعلقها . ثم انتجع أهلها نواحيَ نصيبين ، فتبعتها نفسه ، فسار اليهم فنزل فيهم مجاوراً [٣] ، ثم رأوه مُنازِلاً ملازماً محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلت عنّا ، أو فأذن بحرب [٤] . فقال : ما بيني وبينها ما يُنكر ، وانما كنت أتحدث اليها كما يتحدث الرجل الكريم الى المرأة الحرّة الكريمة ، فأمّا الريبة فحاش لله منها . ثم عاود محادثتها ؛ فانتهبوا ماله وطردوه . فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان ، فأتاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خَصوصية [٥] ، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام ، وأنشده قوله :

عفا يافعٌ من أهله فطلوبُ وأقفر لو كان الفؤاد يثوبُ [٦]
وقفتُ بها من بعد ما حلّ أهلها نصيبينَ والرّاقي الدموع طبيب

(١) المستلحم : الذي أرهق في القتال واحتوشه العدو . صكه القوم : ضربوه ضرباً شديداً . ونيل بالبناء للمجهول . أي نال القوم منه ما كان يمنعه ، لضعفه .

(٢) « اقتاله » يقال اقتاله شيئاً بشيء : بدّله .

(٣) المجاور : الجار ولو من بعد . والمنازل : الذي ينزل بجانب بيتك . والملازم : الذي لا ينقطع عن البقاء في المنزل الذي يجاور من يهواه .

(٤) يقال ائذن بهذا الامر ، أي أعلمه .

(٥) الخصوصية : اسم من خصه يخصه ، أي خاصة .

(٦) يافع : مكان . وطلوب : علم لقليب عن يمين سميراء في طريق الحاج .

وقد لاح معروف القتير وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان نُدوبُ [١]
وسالمتْ رَوحات المطيّ وأحمدت مناسم منها تشتكي وصُلوب [٢]
وما القلب أم ما ذكره أمّ صبيةٍ أريكة منها مسكن فهروب [٣]
حصان الحميا حرة حال دونها حليلٌ لها شاكي السلاح غضوب [٤]
شموسٌ، دنوُّ الفرقدين اقترابها لغيّ مقاريف الرجال سَبوب [٥]
أحقًا عباد الله أن لست ناظراً الى وجهها إلا عليّ رقيب
عدتني العدا عنها بُعيد تساعف وما أرتجي منها إليّ قريب [٦]
لقد أحسنت جُملٌ لو انّ تبيعها اذا ما أرادت أن تُثيب يثيب [٧]
تصدّين حتى يذهبَ اليأس بالمنى وحتى تكادَ النفس عنك تطيب

– هذا البيت يروى لابن الدُّمينة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها، ولكن هكذا هو في رواية ابن الاعرابي –

وأنتِ المُنى لو كنت تستأنفيننا بخير ولكن مُعتفاك جديبُ [٨]

---

(١) معروف القتير: وهو الشيب الذي لا يمكن نكرانه. ولاح: ظهر. والندوب آثار الجروح على الجلد.

(٢) المراد من سالمت روحات المطي: أنها سلت من عنائها في الغدو والرواح. وأحمدت: حمدت وأثنت. والمناسم: جمع منسم بفتح الميم وكسر السين: خف البعير.

(٣) ما: اسم استفهام. وأم: حرف عطف. وأريكة: اسم جبل بالبادية. وهروب: من قرى صنعاء باليمن.

(٤) الحصان: العفيفة أو المتزوجة. والحميا: الحوزة والجانب.

(٥) الشموس: الجامحة. ومقاريف الرجال: المتهمون. والسبوب: من السب والطعن.

(٦) التساعف: الدنو والقرب والاقبال الشديد.

(٧) التبيع: المولى والناصر. وتثيب: تعطف.

(٨) تستأنفيننا: تعودين الينا بخير وتجدّدين العودة. والمعتفى: الموضع الذي يطلب فيه الحاجة.

أيؤكل مالي وابن مروان شاهدٌ ولم يقض لي وابن الحسام قريبُ
فتًى محضُ أطراف العروق مساورٌ جبال العلا طلقُ اليدين وهوب[١]

فأمر محمد بن مروان باحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر ، فحبسه حتى ردّ مال العجير ، وأمر العجير بالانصراف الى حيّه وترْك النزول على المرأة أو في قومها . قال : وقال العجير فيها أيضاً :

هاتيك جُملٌ بأرض لا يقرّبها إلّا هِبَلٌّ من العيدي مُعتقدُ[٢]
ودونها مَعشر خزرٌ عيونهم لو تخمد النار من حَرٍّ لما خمدوا[٣]
عدُّوا علينا ذنوباً في زيارتها ليحجبوها وفي أخلاقهم نكدُ[٤]
وحالَ مِن دونها شكسٌ خلائقه كأنّه نمِرٌ في جلده الرُّبَدُ[٥]
فليس إلا عويلٌ كلما ذُكِرَت أو زفرةٌ طالما أنّت بها الكبد
وتيّمتنيَ جُمل فاستمرّ بها شحطٌ من الدار لا أمٌّ ولا صَدَدُ[٦]
قالوا غداة استقلت : ما لمقلته أمن قذى هملت أم عارها رمد[٧]
فقلت لا بل غدت سلمى لطيَّتها فليتهم مثل وجدي بُكرةً وجدوا[٨]

---

(١) محض أطراف العروق : خالص الاصول طاهرها . والمساور : المواثب .

(٢) الهبل : الضخم أو الطويل . والعيدي : منسوب الى فحل معروف منجب . والمعتقد : الموثق الظهر الصبور الشديد الصلب .

(٣) خزر العيون : جمع أخزر ، وهو ضيق العين ، كناية عن العداوة .

(٤) النكد : الشح والعسر والبخل .

(٥) الشكس : الصعب . الربد : جمع ربدة ، وهو السواد المتقطع فيه احمرار ، أو الغبرة .

(٦) الشحط : البعد . والأم : القصد . والصدد : القرب . يريد أن المسافة بعيدة وأنها أرض لا يسهل قطعها .

(٧) هملت : فاضت ودام نزول دمعها . وعارها : أصابها .

(٨) طيتها : وجهها الذي تريده ونيتها التي انتوتها . والطية : الحاجة والوطر وتكون منزلا . وجدوا : اعتراهم الوجد ، وهو الحب الشديد .

إن كان وصلك أبلى الدّهر جِدّته — وكلّ شيء جديدٍ هالكٌ نفدُ [١]
فقد أُراني ووجدي إذ تفارقني — يوماً كوجد عجوز درعُهـا قِدد [٢]
تبكي على بطل حُمّت منيته — وكان واتر أعداء به ابتردوا [٣]
وقد خـلا زمنٌ لو تصرمين له — وَصلي لأيقنت أنّي ميّتٌ كمد [٤]
أزمان تعجبني جمـلٌ وأكتمه — جُملًا حياء، وما وجـدٌ كما أجد
فقد برئتُ على أني اذا ذُكِرَت — ينهلّ دمعي وتحيـا غُصّةٌ تلد [٥]
من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها — أزمان أزمان سلمى طِفلةٌ رُؤُد [٦]
قد قلت للكاشح المبدي عداوته — قد طالما كان منك الغشّ والحسد
ألا تبيّنُ لي لا زلت تُبغضني — حتّام أنت اذا ما ساعفت ضمد [٧]

وصية عبد الملك لمؤدب ولده :

وقال ابن حبيب : قال عبد الملك لمؤدّب ولده : اذا روّيتهم شعراً فلا تروِهم إلّا مثل قول العجير السلولي :

يَبين الجار حين يبين عنّي — ولم تأنس إليّ كلابُ جاري
وتظعن جارتي من جنب بيتي — ولم تُستر بستر من جداري
وتأمن أن أطالـع حين آتي — عليها وهيَ واضعةُ الخمار

---

(١) نفد : فاني .

(٢) القدد : القطع ، جمع قدة .

(٣) حمت : نزلت . والواتر : المفزع المدرك الاعداء .

(٤) من الكمد ، وهو الحزن الشديد .

(٥) ينهل دمعي : يشتد أنصبابه . والغصة : ما يعترض في الحلق ويدفع بالماء .

(٦) الرؤد : الشابة الحسنة .

(٧) الضمد ، يقال ضمد فلان على فلان : حقد عليه .

كذلك هَديُ آبائي قديماً ... تَوارثه النِجـار عن النجارِ
فهديي هديُهم وهُمُ افتلَوْني ... كما افتُلِي العتيق من المِهار [1]

وقال ابن حبيب أيضاً: نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه، فلماَّ سكر قام الى جمله فعقره، وأخرج كبده وجبَّ سنامه، فجعل يشوي ويأكل ويُطعم ويغني:

عَلِّلاني إنما الدنيا عَلل ... واسقياني عللاً بعد نهل [2]
وانشلا لي اللحم من قِدريكما ... واصبحاني أبعد الله الجمل [3]

فلما أفاق سأل عن جمله فأخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزوّدوه، فانصرف حتى لحق بقومه.

أخبرني عمي بهذا الخبر قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا الحكم ابن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال: حدثني أبي عن عمه فقال فيه:

مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصة نحواً مما ذكر ابن حبيب، ولم يقل فيها: — فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربتاه! — ولكنه قال: فلما أصبح ساق قومه اليه ألف بعير مكان بعيره.

سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير:

أخبرني عمي وحبيب بن نصرٍ المهلّبي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

---

(١) افتلوني، يقال فلا الصبي والمهر فلوا وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع وفصله. وافتليته: فطمته أي: فطموني عن جهل الصبا وعقلت. والعتيق: الفرس الرائع الكريم. والمهار، بكسر الميم: جمع مهر، وهو ولد الفرس.

(٢) عللاني: أشغلاني بطعام وحديث ونحوهما. والعلل: الشرب الثاني. والنهل: الشرب الاول.

(٣) انشلاه: أخرجاه باليد من غير مغرفة. اصبحاني: اسقياني الصبوح من لبن النوق.

حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال : حدثني أبي عن عمه قال : عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف ، وعلى العجير بُردان يساويان مائة وخمسين ديناراً ، فانقطع شِسع[١] نعله فأخذها بيده ، ثم هتف بسليمان فقال :

ودلّيت دلوي في دلاء كثيرة   اليك فكان الماء ريّان معلما[٢]

فوقف سليمان ثم قال : لله دره ما أفصحه ، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما ، والله إنه لَيُخَيَّلُ إليّ أنه العُجير ، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك . فقيل له: هو العجير . فأرسل اليه : أن صِر إلينا اذا حللنا . فصار اليه ، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه ، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم .

رثاء العجير لابن عمه :

أخبرني الحرمي بنُ أبي العلاء قال : حدّثني هرونُ بن موسى الفروي[٣] قال : كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدَعهم حتى يأتي بجزور كوماء[٤] فيطعنَ في لبّتها عند بيته ، فيبيتون في شواء وقدير[٥] ، ثم مات ، فقال العجير يرثيه :

تركنا أبا الاضيافِ في ليلة الصَّبا   بمَرّ ومردى كل خصم يجادله[٦]
وأرعيه سمعي كلّما ذُكر الأسى   وفي الصدرِ مني لوعة ما تزايله

(١) الشسع : قبال النعل ، والقبال ككتاب : زمام بين الاصبع الوسطى والتي تليها .

(٢) الريان : الكثير . المعلم : ما فيه علامة ، أراد أنه مشهور معروف .

(٣) الفروي : نسبة الى جد له يقال له « أبو فروة » .

(٤) الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

(٥) القدير : ما يطبخ في القدر .

(٦) مر ، بفتح الميم : ماءة لبني أسد مات بها جابر بن زيد ، وهو ابن عم العجير . مردى الخصومة والحرب : الصبور عليها .

وكنت أعيرُ الدمعَ قبلكَ مَن بكى فأنت على مَن مات بعدك شاغلُه

هكذا ذكر هرون بنُ موسى في هذا الخبر، والبيت الثالثُ من هذه الابيات للشَّمردلِ بنِ شريك لا يُشَكُّ فيه، من قصيدة له طويلة . فيه غنـاء قد ذكرته في اخباره .

صوت

فتاةٌ كأن رضابَ العبير بفيها يُعَلُّ(١) به الزنجبيلُ
قتلتُ أباها على حبِّهـا فتبخلُ إن بخِلَت أو تُنيل

الشعر لخُزيمة بنِ نهدٍ، والغناء لطويس، خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيي المكي.

---

(١) يعلّ به : يخلط .

أخبار خزيمة بن نهد ونسبه

هو خُزيمةُ بن نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وفاطمة التي عناها في شعره هذا: فاطمة بنتُ يذكر بن عنزة بن أسدِ بن ربيعةَ بن نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إياها، فقتله غيلة. وإياها عنى بقوله:

إذا الجوزاء أردفَت الثُّريا ظننت بآل فاطمة الظنونا[1]

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة:

أخبرني بخبره محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدّثني عمي قال حدّثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بدء تفرّق بني إسماعيل بنِ إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأُخرج منها قضاعة بن معدّ. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سودِ بن أسلم بنِ الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً، متعرّضاً للنساء، فعلق فاطمة بنتَ يذكر بن عنزة - واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخرِجُ الشجن الدفينا

---

(١) الجوزاء: برج في السماء. أردفت الثريا: ردفتها وتلتها، وذلك يكون في شدّة الحرّ.

أرى ابنة يذكرِ ظعنت، فحلّت جَنوبَ الحَزْن يا شحطا مبينا[١]

مقتل يذكر بن عنزة :

قال : فمكث زماناً، ثم إن خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة : أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقَرَظ . فخرجا جميعاً ، فلما خلا خزيمةُ بن نهد بيذكر بنِ عنزة قتله، فلما رجع — وليس هو معه — سأله عنه أهله، فقال : لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك . فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعةَ ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة ابن نهد :

فتاة كأنّ رضاب العبير بفيها يُعَلّ به الزنجبيل[٢]
قتلت أباهـا على حبِّها فتبخلُ ان بخِلت أو تنيل

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً ، فكانت نزارُ بن معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد. وحاء وهم يومئذ ينتمون فيقولون حاء بنُ عمرو بن أُدّ بن أُدَد . وكانت قضاعة تنتسب الى معد، وعك يومئذ تنتمي الى عدنان فتقول : عك عدنان بن أدّ ، والاشعريون ينتمون الى الاشعر بن أدد. وكانوا يتبدّون[٣] من تهامة إلى الشأم، وكانت منازلهم بالصُّفّاح، وكان مرّ وعُسفان لربيعة ابن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر الى ذات عِرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة . وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله :

إذا سلكت غمر ذي كندة مع الصبح قصدٌ لها الفرقدُ

(١) ظعنت : رحلت . والحزن : ما غلظ من الارض . والشحط المبين : البعد القصي .

(٢) الزنجبيل : العصير .

(٣) يتبدون : ينزلون البادية .

هنا لــك اما تُعَزى الهوى وإما على اثرهم تــكْمَدُ

وكانت منازلُ حاء بنِ عمرو بن أدَد، والأشعر بنِ أدد، وعــكِّ بنِ عدنانَ بن أدد، فيا بين جُدّة الى البحر.

القارظان :

قال : فيذكر بنُ عنزة أحدُ القارظَين[١] اللذين قال فيهما الهذلي :

وحتّى يؤوب القارظان كلاهما ويُنشر في القتلى كليبٌ لوائل

والآخر من عنزة، يقال له أبو رُهم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر.

انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد :

قال : فلما ظهرت نزارٌ[٢] على أن خزيمةَ بنَ نهد قتل يذكر بنَ عنزةَ قاتلوا قضاعة أشدّ قتالٍ، فهزمت قضاعةُ وقُتل خزيمةُ بنُ نهدٍ وخرجت قضاعة متفرقين، فسارت تيمُ اللّات بنُ أسد بنِ وبرة بن تغلب بنِ حلوان بن عمران بن ألحاف بن قضاعة، وفرقة مــن بني رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الاشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم، فقال في ذلك مالك بن زهير :

نزعنا من تهامةَ أيَّ حيٍّ فلم تحفل بــذاك بنو نزارِ
ولم أكُ من أنيسكُم ولـكن شرينا دارَ آنسةٍ بــدار

(١) القرظ محركة : ورق السلم أو ثمر السنط . والقارظ : مجتنيه .

(٢) ظهر على الشيء : عرفه .

فلما نزلوا هجرَ قالوا للزرقاء بنتِ زُهير – وكانت كاهنة – ما تقولين يا زرقاء؟ قالت : « سعفٌ وإهانٌ[١]، وتمر وألبان، خيرٌ من الهوان » . ثم أنشأت تقول :

ودّع تهامةَ لا وداعَ مخالقٍ   بذمامه لكن قِلًى وملامْ[٢]
لا تُنكِري هجَراً مُقام غريبةٍ   لن تعدمي من ظاعنين تهامْ[٣]

فقالوا لها : فما ترين يا زرقاء ؟ فقالت : «مُقامٌ وتُنوخ، ما وُلد مولودٌ وأنقفت[٤] فروخٌ[٥]، إلى أن يجيءَ غراب أبقع، أصمع[٦] أنزع[٧]، عليه خلخالا ذهب، فطار فألهب[٨]، ونعَق فنعَب، يقع على النخلة السَحوق[٩]، بين الدُور والطريق، فسيروا على وتيرة، ثم الحيرة الحيرة !» . فسُمِّيت تلك القبائل تنوخَ لقول الزرقاء : « مقام وتنوخ» . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائر قضاعة موتٌ ذريع؛ وخرجت فرقة من بني حُلوان بن عمران بن ألحاف بن قُضاعة يقال لهم : بنو تَزيد، فنزلوا عبقَرَ من أرض الجزيرة، فنسج نساؤهم الصوفَ وعمِلوا منه الزرابيّ[١٠]؛ فهي التي يقال لها العبقرية، وعمِلوا البرود التي يقال لها التزيدية . وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسبَت منهم . فذلك قول عمرو بن مالك :

---

(١) الإهان : العرجون .

(٢) المخالق : الذي يعاشر الناس على أخلاقهم .

(٣) لا تكرهي المقام الجديد الغريب في هجر فستجدين معك مسافرين من تهامة .

(٤) أنقفت فروخ ، بالنون والقاف : ثقبت بيضها وخرجت .

(٥) الفروخ : جمع فرخ ; وهو ولد الطير .

(٦) الاصمع : صغير الاذن .

(٧) الانزع : منحسر الشعر من جانبي الجبهة .

(٨) ألهب : اشتد في طيرانه كما يلهب الفرس في عدوه .

(٩) السحوق : الطويلة .

(١٠) الزرابي : الوسائد والبسط ، أو كل ما اتكىء عليه .

ألا لله ليــلٌ لم ننمهُ على ذات الخِضاب مجنِّبينا[1]
وليلتُنا بآمدَ لم ننَمْهــا كليلتنا بميا فارقينا[2]

بهراء تلحق بالترك وتهزمهم :

وأقبل الحارثُ بنُ قُرادٍ البهراني ليعيث في بني حُلوان، فعرض له أباغُ بن سُلَيح صاحبُ العين[3]، فاقتتلا، فقُتل أباغ، ومضت بهراء حتى لحقوا بالــترك، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد. فقال الحارث بن قُراد في ذلك :

كأنَّ الدهر جُمِع في ليالٍ ثــلاثٍ بِتُّهن بشَهرزور[4]
صففنا للأعاجمِ من معدٍّ صفــوفاً بالجزيرة كالسعير

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين :

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو بن الحاف بن قُضاعة يقودها الحِدرِجانُ بن سلَمة حتى نزلوا ناحية فِلَسطين على بني أذَينة بن السَّمَيْدَع من عاملةَ. وسارت أسلم بن الحاف وهي عُــذرة ونهدٌ وحوتكة وجُهينةُ والحارث بن سعد، حتى نزلوا من الحِجر الى وادي القُرى، ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل غرابٌ في رجليه حلقتا ذهب وهم في مجلسهم، فسقط على نخلةٍ في الطريق، فينعق نعَقاتٍ ثم طار؛ فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتى نزلوا الحيرةَ فهُم أوّل من اختطَّها[5]: منهم مالكُ بنُ زهير.

---

(١) المجنبون : الذين انقطعت ألبان إبلهم.

(٢) ميا فارقين بفتح أوّله وتشديد ثانيه : أشهر مدينة بديار بكر.

(٣) أي العين المشهورة بعين أباغ.

(٤) شهرزور : معنى شهر بالفارسية : المدينة.

(٥) اختطها : وضع أساسها.

واجتمع اليهم لمّا ابتنوا بها المنازلَ ناسٌ كثيرٌ من سقّاط[١] القرى فأقاموا بها زماناً؛ ثم أغـار عليهم سابور[٢] الاكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ : يا آل عباد الله! فسُمّوا العباد، وهزمهم سابور، فصار معظمهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحضر من الجزيرة يقودهم الضَّيزنُ بنُ معاوية التنُوخي، فمضى حتى نزل الحضر وهو بناء بناه الساطرون[٣] الجُرمقاني، فأقاموا به، وأغارت حِميرُ على بقية قضاعة، فخيّروهم بين أن يُقيموا على خراجٍ يدفعونه اليهم أو يخرجـوا عنهم، فخرجوا — وهم كلبٌ، وجَرمٌ والعلاف، وهم بنو زبّانَ بن تغلب بن حلوان، وهو أول من عمل الرحال العِلافيّة، — وعلافٌ لقب زبّان — فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وانهزموا فلحقوا بالسماوة[٤]، فهي منازلهم الى اليوم .

صوت

إني امرؤٌ كفّني ربي ونزّهني عن الامور التي في غبّها وخمٌ[٥]
وانمـا أنا انسانٌ أعيشُ كما عاش الرجالُ وعاشت قبلي الأممُ

الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدة مدح بها المهلبَ بنَ أبي صفرة، والغناء لأبي العُبَيس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل بالبنصرِ، وهو من مشهور أغانيه وجيّدها .

---

(١) السقاط بضم السين المشدّدة : جمع ساقط، وهو النازل على القوم .

(٢) سابور : ملك من ملوك الفرس .

(٣) الساطرون : ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الاكتاف، وسمي بذلك لانه كان يخلع أكتاف الأسرى .

(٤) السماوة : موضع بين الكوفة والشام .

(٥) الوخم : الضار الذي لا يوافق .

نسب المغيرة بن حبناء واخباره

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقب غلَب على أبيه وأسمه جُبير ابنُ عمرٍو ولُقِب بذلك لِحَبنٍ[1] كان أصابه. وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية، وأبوه حبناء بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الاعجم فأكثر كلٌ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصفُ كل واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرني عبيدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الملك الزيات قال : حدّثني الحسنُ بن جَهْوَرٍ عن الحِرمازي قال : قدم المغيرة بن حبناء على طلحةِ الطلحات الخُزاعيِّ ثم المُليحيِّ، أحد بني مُليح، فأنشده قوله فيه :

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذُل نفسي في مواطن غيرُها أحبُّ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً[2] لما كان بيننا لتَجزِيَني ما لا إخالُكَ جازيا

---

(١) الحبن : ورم في البطن .

(٢) التمسيك : الصيانة .

رأيتُكَ ما تنفكُّ منــك رَغيبةٌ تقصِّر دوني أو تحــلُّ ورائيا[١]
أراني إذا استمطرتُ منك رَغيبةً لِتُمطِرني عــادت عجاجا وسافيا[٢]
وأدليت دلوي في دِلاء كثيرة فأُبنَ مِلاء غــير دلوي كما هِيا
ولستُ بلاقٍ ذا حفاظٍ ونجــدةٍ من القــوم حُراً بالخسيسة راضيا
فإن تدن مني تدنُ منك مودتي وإن تنأ عني تُلفني عنــك نائيا

قال : فلما أنشده هذا الشعر، قال له : أما كنّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . فأمر طلحةُ خازِنه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له : اختر حجرين من هذه الاحجار أو أربعين ألف درهم ! فقال : ما كنتُ لأختــار حجارةً على أربعين ألف درهم ! فأمر له بالمــال . فلما قبضه سأله حجرا منها، فوهبه له فباعه بعشرين ألف درهم . ثم مدحه، فقال :

أَرى الناس قد ملُّوا الفَعال ولا أرى بني خلف إلا رواء المــواردِ[٣]
إذا نفعوا عــادوا لمن ينفعونه وكائن ترى من نافع غــيرِ عائد[٤]
إذا ما انجلت عنهم غمــامةُ غمرةٍ من الموت أجلت عن كِرامٍ مذاود[٥]
تسود غطاريفَ[٦] المــلوك ملوكهُم وماجِدهم يعلو على كل ماجــد

مديحه للمهلب بن أبي صفرة :

أخــبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرةُ بن محمد المهلبي عن رواة باهلة، أن

(١) تقصر دوني : لا تصل إلي .

(٢) استمطرت رغبة : طلبت . والرغيبة : ما يرغب فيه والعجاج : الغبار . والسافي : الريح التي تحمل التراب، أو الغبار نفسه .

(٣) الرواء : من الري . والرواء بفتح الراء : الماء العذب .

(٤) وكائن : بمعنى كم، أي كثير . هؤلاء القوم يكررون النفع ويعودون وغيرهم ينفع مرة واحدة .

(٥) الغمرة : الشدّة . والمذاود : جمع مذود وهو الكثير الذود والدفع عن العشيرة .

(٦) الغطاريف : جمع غطريف : وهو السيد الشريف والسخي السري .

المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطريّ بنَ الفجاءة بسابور[١] جلس للناس ، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده :

حال الشَّجا دون طعم العيش والسهرُ ... واعتاد عينك من إدمانها الدِّرر[٢]
واستحقَبتك[٣] أمورٌ كنتَ تكرهها ... لو كان ينفع منها النَّأيُ والحذر
وفي الموارد للاقوام تهلُكةٌ ... إذا المواردُ لم يُعلم لها صدَر[٤]
ليس العزيزُ بمن تُغشى محارِمُه ... ولا الكريمُ بمن يُجفى ويُحتقَر

حتى انتهى إلى قوله :

أمسى العبادُ بشرٍّ لا غياثَ لهم ... إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ
كلاهما طيِّبٌ تُرجى نوافله ... مباركٌ سَيْبُه[٥] يرجى ويُنتظر
لا يجْمُدانِ[٦] عليهم عند جهدهم ... كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا
هذا يذودُ ويحمي عن ذِمارهم[٧] ... وذا يعيش به الأنعام والشَّجر
واستسلم الناس إذ حلَّ العدو بهم ... فلا ربيعتُهم تُرجى ولا مضر
وأنت رأسٌ لأهل الدين منتخَبٌ ... والرأس فيه يكون السمع والبصر
إن المهلَّب في الأيام فضَّله ... على منازلِ أقوام إذا ذُكروا

---

(١) سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

(٢) الدرر : جمع درة بالكسر . هي كثرة اللبن ، والمراد هنا انسكاب الدموع بغزارة .

(٣) استحقبتك : ادخرتك .

(٤) الموارد : جمع مورد ، وموارد الامور : مداخلها . يقول : من لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) لا يجمدان : لا يبخلان .

(٧) الذمار بكسر الذال : ما يلزمك حفظه وحمايته .

حزمٌ وجـودٌ وأيامٌ له سلفت ... فيها يُعَـدُّ جسيم الأمر والخطرُ
ماضٍ على الهولِ ما ينفكُّ مرتحلاً[١] ... أسبابَ معضلةٍ يعيا بهـا البشر
سهل الخـلائق يعفو عند قدرته ... منه الحيـاء ومن أخلاقه الخَفَر
شهابُ حربٍ اذا حلّت بساحتـه ... يُخزي به الله أقواماً اذا غـدروا
تزيدهُ الحرب والاهوال إن حضرت ... حزما وعزما ويجلو وجهه السفر
ما إن يزالُ على أرجـاء مُظلمةٍ ... لولا يكفكفُها عن مصرهم دَمروا[٢]
سهلٌ اليهم حليم عن مجـاهلهم ... كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهفٌ يلوذون من ذُل الحياةِ به ... اذا تكنَّفهم[٣] من هولهـا ضرر
أمنٌ لخـائفهم فيضٌ لسائلهم ... ينتاب نائله البـادون والحَضَر

فلما أتى على آخرها قال المهلب : هذا والله الشِعر، لا ما نعلّل به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ، وزاده في عطائه خمسمائة درهم .

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغِناء المذكور بذكره أخبار المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضاً . وأوّلها :

أمن رسومٍ ديارٍ هاجك القِدم ... أقوَت وأقفر منها الطَفُّ والعلمُ[٤]
وما يهيجُك من أطـلال منزلة ... عفّى معالمها الارواح والديمُ[٥]
بئس الخليفةُ من جارٍ تضنُّ به ... إذا طربتَ أثافي القدر والحُممُ[٦]

---

(١) مرتحلا : راكبا، أي هو يركب المعضلات من الامور حتى يذلها وييسرها .

(٢) يكفكفها : يردها . دمروا : هلكوا .

(٣) يلوذون : يلجئون . تكنفهم واكتنفهم : أحاط بهم .

(٤) الرسوم : الآثار أو بقيتها . أقوت : خلت وأقفرت . والطف والعلم : موضعان . الارواح : الرياح .

(٥) الديم جمع ديمة بكسر الدال : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، أو يدوم خمسة ايام .

(٦) الخليفة هنا : الخلف والبدل . الأثافي : جمع أثفية : الحجارة الثلاثة التي توضع عليها القدر . والحمم بضم الحاء واحدته حممة : الفحم .

دارُ التي كاد قلبي أن يُجنَّ بها ... اذا ألم به من ذِكرها لَمَمُ[١]
إذا تذكرها قلبي تضيَّفه ... همٌّ تضيق به الاحشاء والكَظَمُ[٢]
والبينَ حين يروع القلبَ طائفُه ... يبدي ويظهر منهم بعضَ ما كتموا
إني امرؤٌ كفَّني ربي وأكرمني ... عن الامور التي في غبّها وخَمُ[٣]
وإنما أنا إنسان أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

سبب قوله قصيدة الصوت :

وهي قصيدة طويلة ، وكان سببُ قوله اياها أنّ المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتال الازارقة ، وقد شذّت منهم طائفةٌ تُغير على نواحي الأهواز ، وهو مقيمٌ يومئذ بسابور ، وكان فيهم المغيرةُ بن حبناء ، فلما طال مُقامه واستقر الجيش لحق بأهله ، فألمَّ بهم وأقام عندهم شهراً ، ثم عاود وقد قفل الجيش الى المهلب فقيل له : إن الكتّاب خطّوا على اسمه ، وكُتبَ إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن ، فمضى الى المهلب ، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره ، وأمر باطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه ، وفيها يقول يذكر قدومه الى اهله بغير إذن :

ما عاقني عن قُفول الجند اذ قفلوا ... عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولو أردتُ قفولا ما تجهَّمني[٤] ... اذنُ الامير ولا الكتاب اذ رقموا
اني ليعرفني راعي سريرهم ... والمُحدِجون اذا ما ابتلّت الحُزم[٥]

---

(١) ألم به : نزل به . واللمم : الجنون .

(٢) الكظم : مخرج النفس .

(٣) غبها : عاقبة فعلها . والوخم : المكروه .

(٤) ما تجهمني : ما استقبلني بغير ما أحب .

(٥) المحدجون : الذين يشدون الأحداج على الإبل .

والطالبون الى السلطان حاجتَهم — اذا جفا عنهم السلطان أو كَزموا[١]
فسوف تُبلغُك الأنباء ان سلِمت — لك الشواحج والانفاس والأُدم[٢]
إن المهلّب ان أشتق لرؤيتـه — أو امتدِحه فإن النـاس قد علموا
إن الكريم من الأقوامِ قد علموا — أبو سعيد اذا ما عُدّت النِعم
والقائل الفـاعل الميمون طائره — أبو سعيدٍ وإن أعـداؤه رغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه — ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا[٣]
أيام أيام اذ عض الزمـان بهم — واذ تمنى رجـال انهم هُزموا
واذ يقولون : ليت الله يُهلكهم — والله يعلم لو زلت بهم قـدم
أيامَ سابور اذ ضاعت رباعتهم — لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا[٤]
اذ ليس شيء من الدنيا نصول به — الا المغافر والابـدان واللجم[٥]
وعـاترات من الخطِّي مُحصَدة — نفضي بهنّ اليهم ثم نـدّعم[٦]

سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء :

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرٍو الشيباني في خبر هـذه القصيدة، ونسخت من كتابه . وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الاعجم والمغـيرة بن حبناء، أن زياداً الاعجم والمغيرةَ بن حبناء وكعباً الاشقري، اجتمعوا عند المهلب

---

(١) كزموا : هابوا .

(٢) الشواحج : البغال . والأدم جمع أدماء وآدم، وضم داله للشعر . والأدماء : الناقة أشرب لونها سواداً أو بياضاً .

(٣) ولا تقوالهم زعموا : القول المزعوم زوراً وبهتاناً .

(٤) رباعتهم : أمرهم الذي كانوا عليه . وأوطنوا داراً . اتخذوها دار إقامة .

(٥) المغافر جمع مغفر : الزرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، والابدان جمع بدن بالتحريك : الدرع القصيرة .

(٦) العاترات : المضطربات لِلينها . والخطيّ : الرمح المنسوب الى الخط بلد على سيف البحرين بكسر السين، وموضع في عمان . وكانت الرماح تجلب إلى هذه المواضع فتقوّم وتصقل ثم تباع .

وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضّل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شِعره، لأن زياداً كان ألكن لا يُفصح، فكان راويته يُنشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونــة ويجعل له سهماً في صِلاته، فسأل المهلب يومئذ ان يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والادب، فوهبه له فنفِسوا عليه ما فُضِّل به؛ فانتدب[١] له المغيرة من بينهم، فقال للمهلِب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زيادٍ علينا؟ فوالله ما يُغني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلِنا شَعباً، ولا أصدقِنا وداً، ولا أشرفنا أباً، ولا أفصحِنا لساناً! فقال له المهلب: أما إني والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الامر فيكم عندي لمتساوٍ، ولكنّ زياداً يُكرَم لِسنّه وشِعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضلته بما يُنفَس[٢] به، وأنا أعوّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوه:

أرى كلّ قومٍ ينسل[٣] اللؤمُ عندهم	ولـؤمُ بني حبناء ليس بناسلِ
يشبّ مـع المولودِ مثل شبابه	ويلقاه مولوداً بأيـدي القوابل
ويُرْضعه من ثـدي أمٍّ لئيمةٍ	ويُخلَقُ من ماء امرىء غيرِ طائل[٤]
تعالَوْا فعدّوا في الزمان الذي مضى،	وكل أناسٍ مجدُهم بالأوائل
لكم بفعالٍ يعرف النـاس فضله	إذا ذُكِر الأملاء عند الفضائل[٥]
فغـازيكم في الجيش ألأم من غزا	وقافلكم في النـاس ألأم قافل[٦]
وما أنتم من مالـكٍ غير أنكم	كمغرورةٍ بالبوّ في ظـل باطل[٧]

(١) انتدب له: مطاوع ندبه للامر: دعاه ووجه إليه.

(٢) ينفس به: يحسد عليه.

(٣) ينسل: من قولهم نسل ريش الطائر: سقط.

(٤) يقال للخسيس الدون: ما هو بطائل.

(٥) الأملاء: جمع ملأ، وهم الأشراف الذين يملئون العين.

(٦) القافل: الراجع، وسميت القافلة وهي ذاهبة قافلة تيمناً برجوعها.

(٧) كمغرورة بالبو: أي مخدوعة بالجلد الذي يحشى تبناً فتحن له.

بنو مالـك زُهرُ الوجوه وأنتم تبيَّن ضاحي لؤمكم في الجحافل[1]

يعني برصا كان بالمغيرة بن حبناء.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدثنـا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثني المدائني قال:

عيّر زياد الاعجم المغـيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص، فقال له المغيرة: إن عِتاق الخيل لا تشينها الاوضاح[2]، ولا تعير بالغرر والحجول، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيّره بالبرص: «إنما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشِب الهجاء بينهما.

نسخت من نسخةِ ابن الاعرابي، قال: كان المغيرة بنُ حبناء يوماً يأكل مع المفضل بن المهلّب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونـه أكيلَ كرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضبا، ثم قال له:

إني امروٌ حنظِليٌ حـين تنسُبني لامِ[3] العتيك ولا أخوالي العوَق[4]

— العوَق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل —

لا تحسبنَّ بياضاً فيَّ منقصةً إن اللهاميمَ[5] في ألوانها بلقُ

(١) أراد بالجحافل الشفاه، جمع جحفلة. وأصل الجحفلة للخيل والحمر والبغال.

(٢) الأوضاح: جمع وضح: التحجيل في القوائم بالبياض.

(٣) لام العتيك: لا من العتيك.

(٤) العتيك والعوق: قبيلتان.

(٥) اللهاميم ومفردها لهموم، وهو الجواد من الخيل.

وبلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضل بلسانه وشتمه، وقال: أردت أن يتمضّغ هذا أعراضَنا، ما حملك على ان أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذهِ. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبِل رِفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلةِ أحدٍ منهم.

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة ابن حبناء:

— رجع الخبر الى سياقته مع زياد والمغيرة — فقال المغيرة يجيب زياداً:

أزيادُ إنــك والذي أنا عبده ... ما دون آدم من أبٍ لك يُعلمُ
فالْحق بأرضك يا زيادُ ولا تَرُمْ ... ما لا تطيق وأنت عِلجٌ[1] أعجم
أظننتَ لؤمــك يا زياد يسدُّه ... قوس سترتَ بهــا قفاك وأسهم
علــج تعصَّبَ ثم راق بقوسه[2] ... والعلج تعرفه إذا يتعمَّم
ألقِ العصابة يا زيادُ فإنما ... أخزاك ربي إذ غدوتَ ترنَّم
واعلم بأنك لست مني ناجيــا ... إلا وأنت ببَظْر[3] أمــك ملجم
تهجو الكرامَ وأنت ألأمُ من مشى ... حسباً وأنت العلجُ حــين تكلَّم
ولقــد سألت بني نزارٍ كلَّهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالكَ في معدٍ كلِّها ... حسبٌ وإنك يا زياد مُوذَّمُ[4]

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنــني وتَّرت قوسي ... لأبقعَ مــن كلاب بني تميم

(١) العلج: الرجل من كفار العجم.

(٢) راق بقوسه أي ظن أنه راق بها، أي زاد فضلاً.

(٣) البظر: هنة بين أسكتي الفرج.

(٤) الموذم بضم الميم وتشديد الذال: المقطع. وكلب موذم: جعلت في عنقه قلادة.

عوى فرميته بسهامِ موتٍ كذاك يُردُّ ذو الحمقِ اللئيمُ
وكنتُ اذا غمزتُ قناةَ قوم كسرتُ كعوبها أو تستقيمُ[١]
هم الحشو القليلُ لكلِ حيٍ وهم تبعٌ كزائدة الظليمِ[٢]
فلستَ بسابقي هرماً ولما يمرّ على نواجذك القدومُ[٣]
فحاول كيف تنجو من وقاعي فإنك بعد ثالثةٍ رميمُ[٤]
سراتكم الكلابُ البُقعُ فيكم للؤمكم وليس لكم كريمُ
فقد قدُمت عُبودتكم ودمتم على الفَحشاء والطبعِ اللئمِ[٥]

أخبرني اسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبَّة قال: حدثنا المدائني قال: قال زياد الاعجم يهجو المغيرة بن حبناء:

عجبتُ لأبيض الخُصيينِ عبدٍ كأنّ عِجانه الشِعرى العبور[٦]

فقيل له: يا أبا أمامة، لقد شرفته اذ قلت فيه:

كأنّ عجانه الشعرى العبور

ورفعتَ منه. فقال: سأزيده رفعةً وشرفاً، ثم قال:

لا يبرحُ الدهرَ منهم خارئٌ أبدا إلا حسبتَ على باب أسته القمرا

(١) غمزت: عضضت.

(٢) الظليم: ذكر النعام: زائدة الظليم: هنة وراء الظلف.

(٣) القدوم: التي ينحت بها بفتح أوله. والمراد أنه لم يجرب مثله ولم تهتم أسنانه.

(٤) بعد ثالثة: أي بعد ليلة ثالثة.

(٥) العبودة: العبودية، وهي الخضوع والتذلل.

(٦) العجان: القضيب الممدود من الخصية الى الدبر. والشعرى: كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر.

قال، وتقاولا في مجلس المهلَّب يوماً، فقال المغيرة لزياد :

أقول له وأنكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال له زياد :

بلى فعرفتُهنَّ مقصَّراتٍ جباهَ مذلّةٍ وسِبالَ لوم[1]

المغيرة يهجو زيادا بتحريض من ربيعة :

نسخت من كتابِ عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال : كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم : يا زياد، أنت لساننا، فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإنّ سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له :

يقولون ذبّبْ يا زياد ولم يكن ليوقظ في الحرب الملمة نائما
ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظةٍ فيمنعَهم أو ماجداً أو مراغما
ولكنهم جاءوا بأقلفَ قد مضت له حججٌ سبعون يُصبح رازما[2]
لئيماً ذميماً أعجمياً لسانهُ اذا نال دنّاً لم يبال المكارما[3]
وما خلقتْ عبد القيس إلا نُفايةً اذا ذكَر الناس العُلا والعظائما[4]
إذا كنتَ للعبديّ جاراً فلا تزل على حذرٍ منه اذا كان طاعما
أناساً يُعدّون الفساء لجارهم اذا شبعوا عند الجُباةِ الدراهما
من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهم اذا كان غارما

(١) السبال : جمع سبلة وهي مقدم الشعر أو مجتمعه في الذقن .

(٢) الأقلف : الذي لم تجر عليه موسى . والرازم : الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالا وإعياء .

(٣) الدن : وعاء الخمر .

(٤) النفاية بالضم : الرديء .

لهم زجلٌ فيه اذا ما تجاوبوا سمعتَ زفيراً فيهم وهماهما[١]
لعمرك ما نجّى ابن زروان اذ عوى ربيعة منْ يوم ذلك سالما
أظنُّ الخبيث ابنُ الخبيثَين أنني أسلِم عرضي أو أهابُ المقاوما
لعمركَ لا تَهدي ربيعةُ للحجا اذا جعلوا يستنصِرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة :

قال : فجاءت عبدالقيس الى المغيرة ، فقالوا : يا هذا ، مالنا ولك ، تعمُّنا بالهجاء لأن نَبحَك منّا كلب ، فقال وقلت ، قد تبرأنا اليك منه ، فإن هجاك فاهجه ، وخلِّ عنّا ودعنا ، وأنت وصاحبك أعلم ، فليس منّا له عليك ناصر . فقال :

لعمرُكَ اني لابنِ زوران اذ عوى لمحتقرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ
وما لكَ أَصلٌ يا زياد تعدّه وما لك في الارض العريضة والد
ألم ترَ عبد القيس منك تبرّأت فلاقيت ما لم يلق في الناس واحد
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأت لُكَيز بن أفصى منك والجند حاشد
ولا غاب قرن الشمسِ حتى تحدّثت بنفيك سُكّان القُرى والمساجد[٢]

— رفع « المساجد » ، لأنه جعل الفعل لها ، كأنه قال : وأهل المساجد ، كما قال الله عزّ وجل : (واسأل القرية . وتحدّثت المساجد ، وانما يريد من يصلّي فيها) —

فأصبحتَ عِلجاً من يزُرْكَ ومن يزر بناتك يعلم أنهن ولائد[٣]
وأصبحن قُلفاً يغتزلن بأجرة حواليك لم تجرَح بهن الحدائد[٤]

---

(١) الزجل : الصوت . والهماهم : تردّد الزئير في الصدر .

(٢) قرن الشمس : ناحيتها .

(٣) الولائد : جمع وليدة : وهي الجارية .

(٤) القلف : جمع أقلف : من لم يختتن . والقلفة بالضم ويحرّك : جلدة الذكر ، هذا في الاصل . وقد استعمله هنا للنساء . ولم تجرح بهن ، أي لم تستعمل في ختانهن .

نَفَونَ مـن الموسى واقورنَ بالتي يقِرّ عليها المقرِفاتُ الكواسدُ[١]
بإصطخرَ لم يلبَسن من طول فاقةٍ جديداً ولا تُلقى لهن الوسائدُ[٢]
وما انت بالمنسوب في آلِ عامرٍ ولا ولدتكَ المحصَناتُ المواجدُ[٣]
ولا ربّبتك الحنظليةُ إذ غـدت بنيها ولاجبيت عليك القلائدُ[٤]
ولـكن غذاكَ المشركون وزاحمت قفاكَ وخدّيـك البُظور العواردُ[٥]
ولم أرَ مثلي يا زياد بعِرضـه وعرِضك يستبّانِ والسيف شاهدُ[٦]
ولو أنني غشّيتك السيفَ لم يقل إذا مت إلا مات عِلجٌ معاهـدُ[٧]

المغيرة وجوائز المهلب :

ونسخت من كتاب عمرِو بن أبي عمرٍو أيضاً، قال : رجع المغيرة بن حبنـاء الى أهله وقد ملأ كفَّيه بجوائز المهلبِ وصلاته والفوائد منه ، وكان أخـوه صخر ابن حبناء أصغر منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الامر يُنكَر مثلُهُ، ولا يزال يتعتَّب عليه في الشيء بعد الشيء مما ينكره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء :

صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه :

رأيتُـك لما نِلت مالًا وعضّنا زمانٌ نرى في حدّ أنيابه شغبا[٨]

(١) المقرفات : الهجينات .
(٢) إصطخر : بلدة بفارس من أعيان حصون فارس ومدنها :
(٣) المواجد جمع ماجدة : الشريفة .
(٤) لاجبيت بالبناء للمجهول : أي ما وضعت .
(٥) العوارد : جمع عاردة، وهي الغليظة الشديدة المنتصبة .
(٦) يستبان بتشديد الباء : يتشاتمان .
(٧) العلج : الكبير من كفار العجم . والمعاهد : الذمي . وهو يقصد أنه لا يقتل إن قتله .
(٨) الشغب : تهييج الشر .

تجنّى عليّ الدهر أنّي مذنب فأمسكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه :

لحا الله أنآنا عن الضّيفِ بالقِرى وأقصرنا عن عِرض والده ذَبّاً
وأجدَرنا أن يدخل البيتَ باستهِ إذا القفّ دلّى من مخارِمه ركبا[1]
ألَم يُنبئكَ الأفّاك عني أنني أحرّك عرضي إن لعبتَ به لعبا

أخت صخر تشكوه إلى المغيرة :

ونسخت من كتاب عمرٍو بن أبي عمرٍو ، قال : جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخراً ، وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه ، وأنها منعته شيئاً يسيراً بقي لها ، فمدّ يده إليها وضربها ، فقال له المغيرة معنّفاً .

ألا من مبلغٌ صخر بنَ ليلى فإني قد أتاني من نثاكا[2]
رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ اذا لم ترعَ حرمتَه رعاكا
وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ تُباع بماله يوماً فَداكا
يرى خيراً اذا ما نلت خيراً ويشجى في الامور بما شجاكا
فإنك لا ترى أسماء أختاً ولا ترَيَنّني أبداً أخاكا
فإنْ تعنُف بها أو لا تصِلها فإنّ لأمّها ولداً سِواكا
يبَرُّ ويستجيبُ إذا دعته وإن عاصيتَهُ فيها عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً على بعضِ الرجال وفوق ذاكا
جزاني الله منك وقد جزاني ومنّي في مَعاتبنا[3] جزاكا

---

(١) القف : بالضم : ما غلظ من الارض وارتفع . والمخارم : جمع مخرم ، وهو الطريق في الجبل

(٢) نثاك : أخبارك . والنثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء ، وهنا يقصد الشر .

(٣) المعاتب : جمع معتبة ومعتب ، الملامة .

وأعقبَ أصدق الخصمين قولًا　　ووَلّى اللُّـؤمَ أولانا بذاكا
فلا واللهِ لو لم تعصِ أمري　　لكنتَ بعزلٍ عمَّا هُنـاكا

قال : فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال :

أتاني عن مُغيرةَ[١] ذروُ قولٍ　　تعمّده فقلت له كذاكا
يعمُّ بـه بني ليلى جميعاً　　فولٍّ هجاءَهم رجلًا سِواكا
فإن تكُ قد قطعتَ الوصل منّي　　فهذا حـين أخلفني مُناكا
تُمنّيني اذا مـا غبتَ عني　　وتُخلفني منـايَ اذا أراكا
وتوليني ملامة أهـل بيتي　　ولا تعطي الاقارب غيرَ ذاكا
فإن تكُ أختنا عتبَت علينا　　فلا تصرمِ لِظِنّتها أخـاكا
فإنَّ لهـا اذا عتبَت علينا　　رِضاها صابرين لهـا بذاكا
وان تك قد عتبتَ عليَّ جهلًا　　فلا والله لا أبغي رضاكا
فقد أعلنتُ قولـك اذ أتاني　　فأعلِن من مقـالي ما أتاكا
سيُغني عنك صخراً ربُّ صخرٍ　　كما أغناك عن صخرٍ غِناكا
ويغنيني الذي أغنـاك عني　　ويـكفيني الاله كما كفاكا
ألم ترَني أجـودُ لكم بمالي　　وأرمي بالنواقر من رماكا[٢]
واني لا أقـود إليك حرباً　　ولا أعصيك ان رجلٌ عصاكا
ولكنّي وراءك شمّري[٣]　　أحامي — قد علمت — على حماكا
وأدفعُ ألسنَ الاعداء عنكم　　ويعنيني[٤] العـدوُّ اذا عناكا
وقد كانت قُريبةُ ذات حق　　عليكَ فلم تطالعهـا بذاكا

---

(١) الذرو، بالفتح : الطرف من القول .

(٢) النواقر : جمع نافرة، وهي الداهية .

(٣) الشمري : الماضي في الامور المجرب، والحركات الثلاثة على الشين والميم لاختلاف اللهجات .

(٤) يعنيني : يقصدني .

رأيتُ الخيرَ يُقصر منك دوني وتبلغني القوارصُ من أذاكا

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضاً قال: كان حبناء بن عمرو قد غضب على قومه في بعض الامر، فانتقل الى نجران، وحمل معه أهله وولده، فنظرت امرأته سلمى الى غلامٍ من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة – وهو يومئذ غلام – فقالت لحبناء: قد كنتَ غنياً عن هذا الذلّ، وكان مُقامك بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزّ لك! فقال حبناء في ذلك:

تقول سُليمى الحنظليةُ لابنها غلامٌ بنجرانَ العداةَ غريبُ
رأت غِلمة ثاروا اليه بأرضهم كما هرّ كلبُ الدار بين كَليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيزٌ بالعراقِ مَهيب

وقال أيضاً:

لعمركَ ما تدري أشيء تريده يليك أمِ الشيء الذي لا تحاوله
متى ما يشأ مستقبِس الشرّ يلقَه سريعاً وتجمعه اليه أنامله[1]

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه، قال: حدّثني أبو الشِبل النَضري، قال: كان المغيرة بن حبناء أبرص، وأخوه صخرٌ أعور، وأخوه الآخر مجذوماً، وكان بأبيهم حِبن، فلقِب حبناء – واسمه جبير بن عمرو – فقال زيادُ الأعجم يهجوهم:

إنّ حبناء كان يدعى جُبيراً فدعَوه مـن لؤمه حبناء
ولَدَ العُورَ منه والبُرص والجذ مى، وذو الداء يُنتج الأدواء[2]

(١) المستقبس، يقال قبس يقبس منه ناراً واقتبسها: أخذها. يشير الى أن من يطلب الشر يجده.

(٢) الجذمى جمع أجذم: المقطوع اليد، أو الذاهب الانامل.

فيقال : ان هذه الابيات كانت آخر ما تهاجيا به ؛ لأنّ المغيرة قال — وقد بلغه هذا الشعر — : ما ذنبنا فيا ذكره ، هذه أدواء ابتلانا الله عزّ وجل بها ، وإني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواء كلّها ! فبلغ ذلك زياداً من قوله ، وإنه لم يهجه بعقب هذه الابيات، ولا أجابه بشيء، فامسك عنه، وتكافآ .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الاصمعي، قال :

لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأمّ ، مثل قول المغيرة ابن حبناء لأخيه صخر :

أبوكَ أبي وأنتَ أخي ولكن تفاضلتِ الطبائعُ والظُروفُ
وأمُّكَ حينَ تُنسَبُ أمّ صدقٍ ولكنّ ابنها طَبِع سخيفُ[١]

قال : وكان عبدُ الملك بن مروان اذا نظر الى اخيه معاوية — وكان ضعيفاً — يتمثّل بهذين البيتين .

قول الحجاج في يزيد بن المهلب :

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن جُدان، قال : حدثني أحمد بن محمد بن مخلدٍ المهلبيّ، قال :

نظر الحجّاج الى يزيد بن المهلّب يخطِر في مشيته ، فقال : لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول :

---

(١) الطبع بفتح الطاء وكسر الباء : الدنيء الخلق ، اللئيم الدنس، لا يستحي من سوأة وعيب . والسخيف : قليل العقل شاذ التصرف .

جميلُ المحيا بَختريٌّ اذا مشى ... وفي الدرعِ ضخمُ المنكبين شِناق[1]

فالتفت اليه يزيد، فقال: انه يقول فيها:

شديدُ القوى من أهل بيتٍ اذا وهى ... من الدين فتقٌ حُمِّلوا فأطاقوا[2]
مراجيحُ في اللأْواء إن نزلتْ بهم ... ميامينُ قد قادوا الجيوش وساقوا[3]

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه، قال: حدثني مَن حضر ابن حبناء لما قتل – وهو يجود بنفسه – فأخذ بيده من دمه – وكتب بيده على صدره: «أنا المغيرة ابن حبناء». ثم مات.

صوت

بسطَت رابعةُ الحبل لنا ... فوصَلنا الحبل منها ما اتسع[4]
كيف ترجون سِقاطي بعد ما ... جلّل الرأس بياضٌ وصلع[5]
رُبَّ من أنضجتُ غيظاً صدره ... قد تمنّى لي موتاً لم يُطع
ويراني كالشَّجا في حلقه ... عسِراً مخرجه ما ينتزع[6]
ويحيّيني اذا لاقيتُهُ ... واذا أمكن من لحمي رتَع[7]

(١) البختري: حسن المشي. والشناق، بالكسر: الطويل.

(٢) الفتق: الشق والخرق. أطاقوا، يقال طاقه طوقاً وإطاقة، وأطاق عليه إطاقة، والاسم: الطاقة. وهو في طوقي أي في وسعي.

(٣) مراجيح: ذوو أحلام وبصر بالامور.

(٤) اتسع: امتد.

(٥) سقاطي: يقال للرجل: «أنه لذو سقطات»، أي لا يزال يفتر فترة بعد فترة، وهي الانكسار والضعف.

(٦) الشجا: الغصص ونحوه مما يعترض في الحلق.

(٧) رتع: أكل. وقد أرتع الرجل اذا ترك إبله ترعى.

وأبيتُ الليل مـا أهجعه وبعينيَّ اذا النَّجم طلَـعْ

الحبل ها هنا : الوصل ؛ والحبل أيضاً : السبب يتعلّق به الرجل من صاحبه ، يقال : عَلِقتُ من فلانٍ بحبل ؛ والحبل : العهد ، والميثاق ، والعقد يكون بين القوم ؛ وهذه المعاني كلُّها تتعاقب ويقوم بعضها مقـام بعض . والشجا : كلُّ ما اغتُصَّ به من لقمة أو عظم أو غيرهما .

الشعر لسويد بن أبي كاهلٍ اليشكري ، والغناء لعلّويه ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة في الأول والثاني من الأبيات ، وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى ، عن علي بن يحيى ، والهشامي . ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر ، عن الهشامي أيضاً ، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ ، عن علـى ابن يحيى .

أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

سُوَيد بن أبي كاهل بن حارثة بن حِسل بن مالك بن عبد سعد بن جُشَم ابن ذبيان بن كنانة بن يشكر. وذكر خالد بن كلثوم أنّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سُويد أبا سعدٍ.

أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ، عن أبيه، لسويد بن أبي كاهلٍ شاهدا بذلك:

أنا أبو سعدٍ اذا الليل دجا   دخلتُ في سرباله ثمّ النجا

طبقة سويد:

وجعله محمد بن سلّامٍ في الطبقة السادسة، وقرَنه بعنترة العبسي وطبقته.

وسويد شاعر متقدِّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيبٍ. وكان أبوه أبو كاهلٍ شاعراً، وهو الذي يقول:

كأنّ رحلي على صَقعاء حادرةٍ   طَياً قد ابتلّ من طلٍّ خوافيها[1]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا محمد بن اسحاق البغويّ قال: حدثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهلٍ على الأصمعي، فلما قرأ قصيدته:

(١) الصقعاء: ما لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير وغيرها. والحادرة من الحدرة بالتسكين: الحط من علو الى اسفل كالحدور، والاسراع كالتحدير. الطيا: مؤنثة الطيان، وهو الجائع. والطوى: الجوع.

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنـا فوَصلنا الحبلَ منها ما اتّسعْ

فضَّلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضِلها وتقدِّمها وتعدُّها من حكمها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عمر أنّها كانت في الجاهلية تسمّى: «اليتيمة».

بين سويد وزياد الاعجم:

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عدي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال:

قال زيادُ الأعجم يهجو بني يشكر:

اذا يشكريٌّ مسَّ ثوبكَ ثوبـه فـلا تذكرَنَّ اللهَ حتى تطهَّرا
فلو أنَّ من لؤمٍ تموتُ قبيـلةٌ اذاً لأماتَ اللؤمُ لا شكَّ يشكُرا

قال: فأتت بنو يشكر سويد بن أبي كاهـلٍ ليهجوَ زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأُنبئتُهم يَستصرخون ابن كاهلٍ وللؤم فيهم كاهـلٌ وسَنامُ[١]
فإن يأْتِنا يرجعْ سويدٌ ووجهـه عليـه الخزايا غُبرةٌ وقَتامُ[٢]
دعِيٌّ الى ذبيـانَ طوراً، وتارة الى يشكرٍ مـا في الجميع كرام

فقال لهم سويدٌ: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلَّباً[٣]. وأما قوله:

دعيٌّ الى ذبيـان طوراً وتارةً الى يشكر ... ...

---

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الاعلى وفيه ست فقر، أو ما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) المغلب: المغلوب مراراً، والمحكوم له بالغلبة، ضد.

فإن أمّ سويد بن أبي كاهل كانت امرأةً من بني غُبَر ، وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان ، فمات عنها ، فتزوّجها أبو كاهل ، وكانت فيا يقال حاملاً ، فاستلاط أبو كاهل ابنها لمّا ولدته[١] وسمّاه سويداً ، واستلحقه[٢] ، فكان اذا غضب على بني يشكر ادّعى الى بني ذبيان ، واذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم .

وذكر علّان الشعوبي ، أنه ولد في بني ذبيان ، وتزوّجت أمّه أبا كاهل — وهو غلام يَفَعة[٣] — فاستلحقه أبو كاهل وادّعاه ، فلحق به .

انتماء سويد الى قيس :

ولسويد بن أبي كاهل قصيدة[٤] ينتمي فيها الى قيس ، ويفتخر بذلك ، وهي التي أوّلها :

أبى قلبُه إلّا عميرةَ إن دنت   وإن حضرت دار العِدا فهو حاضرُ
شموسٌ حَصانُ السرِّ ريّاً كأنها   مُرَبّبة ممّا تضمّن حائرُ[٤]

ويقول فيها أيضاً :

أنا الغطفاني زينُ ذبيان فابعدوا   فللزّنجُ أدنى منكم ويُحابرُ[٥]

---

(١) استلاطه : ادعاه ولداً وليس منه .

(٢) استلحقه : ادعاه اليه .

(٣) اليفع : المناهز البلوغ ، من يفع : ترعرع وناهز البلوغ . ويقال رجل يفع ويفعة ورجلان ورجال يفعة .

(٤) الشموس هنا : النافرة التي لا تخضع ، ويقال شمس الفرس : منع ظهره . وحصان السر : أي هي عفيفة في السر ، بله العلانية . والمربّبة : عنى بها الدرة التي يربيها الصدف في قعر الماء . وحائر البحر : مجتمع مائه .

(٥) يحابر كيقاتل ، وهو يحابر ابن مالك بن أدد أبو مراد ، ثم سميت القبيلة يحابر .

أبتْ ليَ عبسٌ أن أسامَ دنيَّةً   وسعدٌ وذبيانُ الهجانُ وعامرُ [١]
وحيٌّ كرامٌ سادةٌ من هوازنٍ   لهم في الملمّاتِ الأنوف الفواخرُ [٢]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن معتِّبٍ الأودي عن الحرمازي[٣]، أنّ سويد بن أبي كاهلٍ جاور في بني شيبان، فأساؤوا جواره، وأخذوا شيئاً من ماله غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر، وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلّم، فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة:

حشر الإله مع القرودِ محلّماً   وأبا ربيعــة ألأمَ الأقوامِ
فلأُهدينَّ مع الرّياح قصيدة   منّي مُغلغــلةً[٤] الى همّامِ
الظاعنين عــلى العمى قُدّامهم   والنازلين بشرّ دار مُقــامِ [٥]
والواردين اذا المياهُ تُقُسّمت   نُزُحَ الرّكيِّ وعاتمَ الأسدامِ [٦]

وقال يهجو بني شيبان:

لعمري لبئس الحيُّ شيبانُ إن علا   عُنيزةَ يومٌ ذو أهــاييَّ أغبرُ [٧]
فلما التقوا بالمشرفيــة ذبذبت   موليّةً أستاهُ[٨] شيبــان تقطر

(١) الهجان: الكريم الحسب النقيه.

(٢) الانوف الفواخر: كناية عن ارتفاعها شمماً وإباء للضيم.

(٣) الحرمازي من الحرمزة، وهي الذكاء. وبنو الحرماز حي.

(٤) المغلغلة: المحمولة السائرة من بلد الى بلد.

(٥) الظاعنون: المسافرون.

(٦) نزح: جمع نزوح، وهي البئر التي نفد ماؤها. الركي جمع ركية: البئر. والعاتم: المحتبس البطيء. والاسدام جمع سدم، وهو الماء المندفن.

(٧) ذو أهايي: ذو تراب مثار.

(٨) الاستاه: جمع است وسته بفتح وسكون ويحرك، وهي العجز أو حلقة الدبر.

يعني يوم عنيزة ، وكان لبني تغلب على بني شيبان ، وفيه يقول مهلهل :

كأنّا غُدوةً وبني أبينا ... بجنب عُنيزةٍ رَحيا مُديرِ [١]

وقال أيضاً :

فأدُّوا الى بهراء فيكم بناته ... وأبناءه إنّ القضاعيّ أحمرُ

كانت بهراء أغارت على بني شيبان ، فأخذوا منهم نساء ، واستاقوا نَعماً [٢] ، ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردُّوهنّ ، فعيرهم سويد بأنهم رُددنَ حبالى ، فقال :

ظَللنَ يُنازِعنَ العضاريطَ أُزرَها ... وشيبان وسطَ القطقطانة حُضَّرُ [٣]

فمنا يزيدُ إذ تحدَّى جُموعكم ... فلم تُفرِحوه [٤] ، المرزُبان المسوّرَ

— يزيد : رجل من يشكر ، برز يوم ذي قارٍ الى أسوارٍ ، وحمل على بني شيبان ، فانكشفوا من بين يديه —

فاعترضه اليشكري دونهم ، فقتله ، وعادت شيبانُ الى موقفها ، ففخر بذلك عليهم ، فقال :

وأحجمتمُ حتى علاهُ بصارمٍ ... حسامٍ اذا مسَّ الضريبةَ يبترُ [٥]

ومنّا الذي أوصى بثلثٍ تُراثه ... على كلّ ذي باع يقلُّ ويكثر

ليالي قُلتم يا ابن حِلِّزةَ ارتحلْ ... فزابن لنا الأعداء واسمعْ وأبصر [٦]

---

(١) الغدوة بالضم : البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة والغدية .

(٢) النعم : الابل والشاء ، او هو خاص بالابل .

(٣) العضاريط : الاتباع والاجراء . والقطقطانة : موضع كان سجن النعمان بن المنذر .

(٤) أفرحوه : غلبوه . والمرزبان : الفارس الشجاع المقدم على القوم ، ويقال للأسد أيضاً مرزبان . والمسور : المرتفع .

(٥) الضريبة : المضروب بالسيف .

(٦) زابن : دافع .

فأدّى اليكم رهنكم وسط وائل حباه بها ذو الباع عمرو بن منذر

يعني الحارث بن حلزة، لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائنهم . وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه .

قال : فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعودٍ الجمحي، وكان والي الكوفة، فدعا به، فتوعّده، وأمره بالكفّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصّبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلّصته، فقال في ذلك :

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنّما يكفُّ لساناً فيه صابٌ وعلقمُ[١]
أتتركُ أولاد البغايا وغيبتي وتحبسني عنهم ولا أتكلم
ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني اذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ
حسبتمْ هِجائي إذ بطنتم غنيمةً عليَّ دماءُ البُدنِ إن لم تندَّموا[٢]

قال الحرمازي في خبره هذا : وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري، فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حمّال بن يشكر، فأخذهما صاحب الصدقة، وذلك في أيام ولاية عامر ابن مسعودٍ الجمحي الكوفة، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السجن حتى يؤدّيا مائةً من الابل، فخاف بنو حمّالٍ على صاحبهم ففكّوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غُبَر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم، فقال :

مَن سرّه النَّيكُ بغيرِ مال فالغُبَرِيّاتُ على طحال[٣]
شواغر يُلمِعن للقُفّالِ[٤]

---

(١) الصاب : جمع صابة : شجر مر . والعلقم : الحنظل، وكل شيء مر .

(٢) بطنتم، يقال بطن بالكسر : عظم بطنه من الشبع . ورجل مبطان : كثير الاكل ورجل بطن : لا هم له إلا بطنه . وبطن الرجل بالبناء للمفعول : اشتكى بطنه .

(٣) طحال، بالكسر : موضع .

(٤) الشواغر : المرفوعة أرجلها للنكاح . والالماع : الاشارة . والقفال : الراجعون من السفر .

فلما سأل بني غُبَر ، قالوا له : يا سويد « ضيعت البِكار بطحالِ » فأرسلوها مثلاً . أي انك عممتَ جماعتنا بالهجاء في هذه الأُرجوزة ، فضاع منك ما قدّرت أنا نفديك به من الابل . فلم يزل محبوساً حتى استوهبته عبسٌ وذبيان لمديحه لهم ، وانتمائه اليهم ، فأطلقوه بغير فداء .

صوت

أَخضني المُقامَ الغَمرِ إن كان غرّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زلَّتِ القَـدمانِ [1]

أتتركني جَـدْبَ المعيشةِ مقفِراً ... وكفّاك من ماء النّدى تَـكِفانِ [2]

الشعر للعتّابي ، والغناء لمخارق ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وقيل : إن فيه للواثق ثانيَ ثقيلٍ آخر .

---

(١) الغمر : الغزير . والخلب : البرق الذي لا يعقبه مطر ؛ وهو المطمع .

(٢) تكفان : تقطران ماء غزيراً .

أخبار العتابي ونسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالكٍ عتاب بن سعد بن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم بن تغلبٍ. شاعر مترّسل بليغ مطبوع، متصرّف في فنون الشعر ومقدَّم. من شعراء الدولة العباسية، ومنصور النَّمريّ تلميذه وراويته، وكان منقطعاً الى البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كلّ مبلغ، وعظمت فوائده منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت. وأخبار ذلك تُذكر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مَهرويه، قال: حدثني جعفر ابن المفضَّل، عن رجل من ولد ابراهيم الحرّاني(١)، قال: كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذِن بهم، فقال لعليٍّ بن صالح صاحب المصلّى: اعرضهم، فمن كان منهم مُجيداً فأوصله إليّ، ومن كان غير مجيدٍ فاصرفه. وصادف ذلك شُغلاً من عليّ بن صالحٍ كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مُغضباً، وقال: والله لأعمّنّهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون(٢) على القرب منه، فقال لهم: على رِسلكم فإنّ المدى أقرب من ذلك، هل فيكم مَن يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

---

(١) حران: مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، على طريق الموصل والشام. وقيل أنها اول مدينة بنيت على الارض بعد الطوفان. وحراني: منسوب اليها، ويقال حرناني على غير قياس.

(٢) يتغالبون: يتدافعون ويتسابقون.

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُتّ المادح إلّا أنّ ألسننا مُستنطقات بما تحوي الضمائير

قالوا: لا والله ما بنا أحدٌ يُحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن سهل، قال: تذاكرنا شعر العتّابي، فقال بعضنا: فيه تكلُّف، ونصره بعضنا، فقال شيخٌ حاضر: وَيحكم أيقال إن في شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رُسُل الضمير اليك تَترَى بالشَّوق ظالعة وَحسرَى[1]
متَرّجياتٍ ما يَنيـن على الوجى من بُعدِ مَسرى[2]
ما جفّ للعينين بعدك يا قرير العين مَجرى
فاسلَمْ سَلِمت مبرّأً مِن صَبوتي أبداً مُعرّى[3]
إن الصبابة لم تدَعْ مِنّي سوى عظمٍ مُبرّى[4]
ومدامعٍ عبرى على كَبِدٍ عليك الدّهرَ حَرّى[5]

— في هذين البيتين غناء — او يقال: إنه متكلّف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكر شخصٌ يبين اذا ما تأمّله الناظرُ
لمثّلته لك حتى تراه لتعلم أنّي امروٌ شاكر

---

(١) ظالعة، ظلع السائر: غمز في مشيته وظهر عرجه. الحسرى: المتعبة المعياة، من حسر كضرب وخرج: تعب وأعيا.

(٢) المترجيات: المتساقة. ما ينين: ما يبطئن ولا يفترن. والوجى: الحفا.

(٣) الصبوة: جهلة الفتوة.

(٤) المبرى: المهزول المنحوت.

(٥) الحرّى: المحترقة.

الغناء في هذين البيتين لأبي العُبَيس ، ثقيل أول ، ولرذاذٍ خفيف ثقيل .

حدثني أبو يعقوب اسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا : لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر .

فلو كان للشُّكر شخصٌ يبين

فُتن به الناس ، وكان هِجّيراهم زماناً[1] ، حتى صنع أبو العبيس فيه الثقيل الأول ، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه :

أخبرني ابراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد ، قالوا جميعاً :

كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرٍو والعتابي ، فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغتني وفاتُك فساءتني ، ثم بلغتني وِفادتك فسرّتني . فقال له العتابي : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضلاً وإنعاماً ، وقد خصصتني منهما بما لا يتّسع له أمنية ، ولا يبسط لسواه أمل ، لأنه لا دين إلّا بك ، ولا دنيا الا معك . فقال له : سلني . فقال : يدك بالعطاء أطلقُ من لساني بالسؤال . فوصله صلاتٍ سنية ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محلّ .

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبد الله بن أبي سعدٍ الكراني ، أنّ عبد الله بن سعيد بن زرارة ، حدّثه عن محمد بن ابراهيم اليساري ، قال :

لما قدِم العتّابي مدينة السلام على المأمون ، أذِن له فدخل عليه وعنده اسحاق ابن ابراهيم الموصلي ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلّم فردّ عليه وأدناه وقرّبه حتى قرب منه ، فقبّل يده : ثم أمر بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسائله عن

---

(١) هجيراهم بكسر الاول والثاني مع تشديده : دأبهم وشأنهم .

حاله ، وهو يجيبه بلسان ذَلِقٍ طَلِقٍ ، فاستظرف المأمون ذلك ، وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظنّ الشيخ أنّه استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين : الايناس قبل الإبساس[1] . فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر الى اسحاق مستفهماً ، فأومأ اليه ، وغمزه على معناه[2] حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ! فأُتي بذاك ، فوضعه بين يديِ العتّابي ، وأخذوا في الحديث ، وغمز المأمون اسحاق بن ابراهيم عليه ، فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء الّا عارضه فيه اسحاق ، فبقي العتّابي متعجِّباً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم ، سل . فقال لإسحاق : يا شيخ من أنت ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمي كلُّ بصل . فتبسم العتابي وقال : أمّا أنت فمعروف ، وأما الاسم فمنكر . فقال اسحاق : ما أقل إنصافك ، أتنكر أن يكون اسمي كلُّ بصل ؟ واسمك كلُّ ثُوم ، وكلُّ ثُوم من الأسماء ، أو ليس البصل أطيب من الثوم ؟ فقال له العتّابي : لله درُّك ، فما أحجّك[3] ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِله بما وَصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفّر عليك ونأمرُ له بمثله . فقال له اسحاق : أمّا اذا أقررت بهذا ، فتوهّمني تجدني ، فقال : ما أظنّك الّا اسحاق الموصلي ، الذي تناهى الينا خبرُه ، قال : أنا حيث ظننت . وأقبل عليه بالتحيّة والسلام ، فقال المأمون ، وقد طال الحديث بينهما : أمّا إذ قد اتّفقتما على المودة ، فانصرفا متنادمَين . فانصرف العتّابي الى منزل اسحاق فأقام عنده .

وذكر احمد بن طاهر أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبديّ ، حدّثه عن موسى ابن عبد الله التميمي ، قال : وفد الى عبد الله بن طاهرٍ جمعٌ من الشعراء ، فعلم أنّهم على بابه ، فقال لخادمٍ له أديبٍ : اخرج الى القوم ، وقل لهم : مَن كان منكم يقول كما قال العتّابي[4] للرّشيد :

(١) الإبساس : أن يمسح ضرع الناقة يسكنها لتدر . والمراد الاطمئنان قبل المداعبة .
(٢) غمزه على معناه : أشار .
(٣) ما أحجك : ما اكبر حجتك .

مُستنبطٌ عَزَماتِ القلب من فِكَرٍ ما بينهن وبين الله معمورُ (١)

فليدُخل، وليعلم أنّي إن وجدتُه مقصِراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً الّا أربعةَ نفرٍ.

أخبرني الحسن بن علي قال، حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن سعدٍ عن ابراهيم بن الحدين، قال: وَجد (٢) الرشيد على العتّابي، فدخل سرّاً مع المتظلّمين بغيرِ إذنٍ، فمثل بين يديِ الرشيد، وقال له: يا أميرَ المؤمنينَ قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردّني ابتلاؤهم الى شكرك، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك، ولنعم الصّائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أَتخضني المقام الغمرَ إن كان غرّني سنا خُلّبٍ أو زلّتِ القدمانِ (٣)
أتتركني جَدبَ المعيشة مُقتراً وكفّاك من ماء الندى تكفان
وتجعلني سَهمَ المطامع بعد ما بللت يميني بالندى ولساني

قال: فأعجب الرشيد قوله، وخرج وعليه الخِلعُ، وقد أمر له بجائزة، فما رأيتُ العتّابي قطُّ أبسط منه يومئذٍ.

بشار يحقد على إجادة العتابي:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن خلّادٍ، قال: حدثني أبي، قال: جاء العتابي وهو حَدَثٌ الى بشّارٍ، فأنشده:

---

(١) المستنبط: المستخرج.

(٢) وجد: غضب.

(٣) الغمر: الماء الكثير. سنا خلب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

أَيصدِف عن أمامةَ أم يُقيم وعهدُك بالصِبا عهــدٌ قديمُ
أقول لمستعــارِ القلب عَفّى على عزماته السيرُ العــديمُ (١)
أما يكفيك أنّ دموع عيني شآبيبٌ يفيض بهــا الهموم (٢)
أشيمُ فــلا أردُّ الطرف الّا على أرجائــه ماءٌ سَجوم (٣)

قال: فمدّ بشّارٌ يده اليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصيرٍ بن زانيةٍ، أن يقول هذا الشعر. فخجل العتّابي وقام عنه.

أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيي أبو الجمار عن اسحاق، قال:

كلّم العتّابيُّ يحيي بن خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ، فقال له يحيي: لقد ندر كلامك اليوم وقلّ. فقال له: وكيف لا يقلّ وقد تكتنفني ذُلُّ المسألة، وَحيرة الطّلب، وَخوفُ الردّ؟! فقال: والله لئن قلّ كلامك لقد كثرت فوائدُه. وقضى حاجته.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا بن مهرويه، قال: حدثنا عثمان الورّاق، قال:

سخرية العتابي من الناس:

رأيتُ العتّابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنّا في دارٍ فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن

---

(١) عفى: طمس.

(٢) الشآبيب: المياه المنصبة، جمع شؤبوب.

(٣) أشيم: أنظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يمطر. السجوم: الكثير.

تأكل وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبر حتى أُعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقصّ ودعا، حتى كثر الزّحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غيرُ واحدٍ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحدٌ الّا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه، ويقدِره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرّقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

إعجاب يحي البرمكي بالعتابي:

أخبرني الحسن حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو عصامٍ محمد بن العباس، قال: قال يحيي بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتّابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن ترَوْا أبداً مثله.

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخزّاز عن ابن الأعرابي، قال:

أنكر العتّابي على صديقٍ له شيئاً، فكتب اليه: «إما ان تقرّ بذنبك فيكون إقرارك حجّةً علينا في العفو عنك، والّا فطب نفساً بالانتصاف منك، فإنّ الشاعر يقول:

أقررْ بذنبك ثم اطلبْ تجاوُزنا عنه فإن جحودَ الذّنب ذنبان».

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الواحد بن محمدٍ، قال:

وقف العتّابي بباب المأمون يلتمس الوصول اليه، فصادف يحيي بن أكثم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيتَ – أعزّك الله – أن تذكر أمري لأمير المؤمنين اذا دخلتَ فافعل. قال له: لستُ – أعزّك الله – بحاجبه. قال: فإن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أنّ الله – عزّ وجلّ –

جعل في كل شيء زكاة ، وجعل زكاة المال رَفد[1] المستعين ، وزكاة الجاهِ إغاثة الملهوف . واعلم أنّ الله – عزّ وجلّ – مقبل عليك بالزيادة إن شكرت ، او التغيير إن كفرت ، وإنّي لك اليوم أصلح منك لنفسك ، لأني أدعوك الى ازدياد نعمتك ، وأنت تأبى . فقال له يحيي : أفعلُ وكرامةً . وخرج الإذن ليحيي ، فلما دخل ، لم يبدأ بشيء بعد السلام الّا أن استأذن المأمون للعتّابي ، فأذن له .

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني أبو الشِبل ، قال :

قال العتّابي لرجل اعتذر اليه : إني إن لم أقبل عُذرك لكنتُ ألأم منك ، وقد قبلتُ عذرك ، فدُم على لوم نفسك في جنايتك ، تزدْ في قبول عُذرك ، والتّجافي عن هفوتك .

قال : وقيل له لو تزوّجت ! فقال : إنّي وجدتُ مكابدة العفّة أيسرَ عليّ من الاحتيال لمصلحة العيال .

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : قال جعفر بن المفضل ؛ قال لي أبي :

رأيت العتّابيّ جالساً بين يدي المأمون وقد أسنّ ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال يُنهضه رويداً رويداً حتى أقلّه فنهض ، فعجبت من ذلك ، وقلت لبعض الخدم : ما أسوأ أدب هذا الشيخ ، فمن هو ؟ قال : العتابي .

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني محمد بن الأشعث ، قال : قال دعبل : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتابي على قوله :

---

(١) رفد : إعطاء وصلة .

هَيبة الإخوان قاطعةٌ لأخي الحاجـات عن طَلَبه
فإذا ما هِبتُ ذا أمَـلٍ مات ما أمّلت من سببـه[1]

قال ابن مهرويه : هذا سرقه العتّابي من قول عـلي بن أبي طالب ، رضي الله عنـه : « الهيبة مقرونة بالخيبة ، والحياء مقرونٌ بالحرمان ، والفرصة تمرّ مرّ السحاب » .

حدثني محمد بن داود ، عن أبي الأزهر ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بذلك .

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشِّبل . قال :

دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر ، فمثل بين يديه ، وأنشده :

حُسن ظني وحسن ما عوّد الله ـه سِواي منك الغداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكونُ أحسن مِن حُسـن يقينٍ حدا اليك ركابي

قال : فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل عليه من الغد ، فأنشده :

ودُّك يـكفينيـكَ في حاجتي ورؤيتي كافيـةٌ عن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عِشتَ لي وإنّمـا كفّكَ لي بيت مال

فأمر له بجائزةٍ ، ثم دخل في اليوم الثالث ، فأنشده :

بَهجات الثياب يُخلقها[2] الدّهـرُ وثوبُ الثناء غضٌّ جديدُ
فاكسُني ما يبيد أصلحك الـلـه فالله يكسوك ما لا يبيد

فأمر له بجائزةٍ ، وأنعم عليه بخلعةٍ سنيّةٍ .

---

(١) السبب : الوسيلة ، والمودة .

(٢) يخلقها : يبليها .

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبو دعامة ، قال :

العتابي وطوق بن مالك :

قال طوق بن مالك للعتابي : أما ترى عشيرتك ؟ – يعني بني تغلب – كيف تُدِلُّ علي ، وتتمرّغ وتستطيل ، وأنا أصبر عليهم ؟! فقال العتابي : أيّها الأمير ، إنّ عشيرَكَ مَن أحسن عِشرتَك ، وإنّ عمّك من عمّك خيرُه ، وإنّ قريبك من قرب منك نفعُه ، وإنّ أخفّ الناس عندك أخفُّهم ثِقلاً عليك ، وأنا الذي أقول :

إنّي بلوتُ الناس في حالاتهم ... وخبرتُ ما وصلوا من الأسبابِ
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً ... واذا المودّة أقرب الأنساب

أخبرني اسماعيل بن يونس الشيعي ، قال حدثنا الرياشي ، قال :

شكا منصور النمريُّ للعتّابي الى طاهر بن الحسين ، فوجّه طاهر الى العتّابي ، فأحضره ، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما ، وسأل طاهرُ العتابي أن يصالحه ، فشكا سوء فعله به ، فسأله أن يصفح عنه ، فقال : لا يستحقُّ ذلك . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج وقال للعتابي ، لِمَ لا أستحقّ هذا منك ؟ فأنشأ العتّابي يقول :

أصحبتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرفُه ... حقّاً ولا لك في استصحابه أرَبُ
لم تَرتَبِطكَ على وصلي محافظة ... ولا أعاذك مما اغتالك الأدب
ما مِن جميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به ... إلا إليّ وإن أنكرتَ ينتسب

قال : فأصلح طاهرُ بينهما – وكان منصور من تعليم العتابي وتخريجه[1] – وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم .

---

(١) من تعليم العتابي : اي من تلاميذه .

أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيي الفهري عن العباس ابن أبي ربيعة السلمي ، قال :

شكا منصور النمري كلثوم بن عمرٍ العتّابي الى طاهرٍ . ثم ذكر مثله .

العتابي يفضل العلم والأدب على المال :

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب ، قال : حدثني أبو هفان ، قال :

كان العتابيُّ جالساً ذات يوم ينظر في كتابٍ ، فمرّ به بعض جيرانه ، فقال : أيش ينفع العِلم والأدب مَن لا مال له ؟ فأنشد العتابي يقول :

يا قاتل اللهُ أقواماً اذا ثقِفوا   ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحكمِ
قالوا وليس بهم الّا نفاسته   أنافعٌ ذا من الإقتار والعدم (١)
وليس يدرون أنّ الحظّ ما حُرموا   لحاهم اللهُ ، مِن عِلم ومن فهم (٢)

أخبرني علي بن أبي صالح وعمي ، قالا : حدثنا أحمد بن طاهرٍ ، قال : حدثنا أبو حيدرة الأسدي ، قال :

قال العتابيُّ في عزل طاهر بن علي وكان عدوَّه :

يا صاحباً متلوّناً   متبايناً فِعلي وفعلُه
ما إن أحبُّ له الرّدى   ويسرُّني والله عزلُه
لم تَعدُ فيا قلتَ لي   وفعلتَ بي ما أنت أهله

---

(١) النفاسة : الحسد . والإقتار : القلة والفاقة . ومثلة العدم .

(٢) الفهم ، بالتحريك : الفهم ، ومثلها الفهامة .

كم شاغلٍ بك عَدوَتيه وفارغٌ مَن أنت شُغله [١]

أخبرني أحمد بن الفرج ، قال : حدثني أحمد بن يحيي بن عطاء الحراني عن عبيد الله بن عمارٍ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ ، قال : حدثني عبد الرحيم ابن أحمد بن زيد بن الفرج ، قال :

مدحه جعفر لما أمنه عند الرشيد :

لمَّا سعى منصورٌ النمريُّ بالعتَّابي الى الرشيد اغتاظ عليه ، فطلبه ، فستره جعفر ابن يحيي عنه مدة ، وجعل يستعطفه عليه ، حتى استلَّ ما في نفسه ، وآمنه ، فقال يمدح جعفر بن يحيي :

ما زلتُ في غمرات [٢] الموت مُطَّرحاً قد ضاق عنّي فسيح الأرض مِن حِيَلي
ولم تزلْ دائباً تسعى بلطفـك لي حتى اختلست حياتي من يديْ أجلي

أخبرني عمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني أحمـد بن خلَّادٍ عن أبيه ، قال :

عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، كلثوم بن عمرو العتابي ، في علَّةٍ اعتلها ، فقال الناس : هذه خَطرةٌ خطرَتْ ! فبلغ ذلك العتابي ، فكتب الى عبد الله بن طاهر :

قالوا الزِّيارةُ خَطرةٌ خطرَتْ وبِجَـارُ بِرِّكَ ليس بالخطرِ
أبطِلْ مقالتهم بثانيـةٍ تستنفد المعروف من شُكري

---

(١) العدوتان : جانبا الوادي . يريد : إن كثيراً يشغلون أنفسهم بك في الآفاق ولكن من يشغل نفسه بك فارغ لا ينال شيئاً .

(٢) الغمرات : جمع غمرة ، وهي الشدة .

فلما بلغت أبياتُه عبد الله بن طاهر ضحك من قوله ، وركب هو واسحاق بن ابراهيم ، فعاداه مرّة ثانية .

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو العيناء ، قال : حدثني أبو العلاء المعري ، قال :

عتب عبد الله بن هشام بن بسطامٍ التغلبي على كلثوم بن عمرٍو التغلبي في شيء بلغه عنه ، فكتب اليه :

صوت

لقد سُمتَني الهجران حتى أذقتني عقوباتِ زلّاتي وسُوء مناقبي
فها أنا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ على حدِّ مصقولِ الغرارين قاضب[1]
ومنصرف عما كرهتَ وجاعلٌ رِضاك مِثالًا بين عيني وحاجبي

قال : فرضي عنه ، ووصله صلةً سنيَّة .

الغناء في هذه الأبيات لسعيدٍ مولى فائدٍ ، ثاني ثقيلٍ بالبنصر ، عن يحيي المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول يحيي ، وذكر أحمد بن المكي في كتابه ، أنّه لأبي سعيد ، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبنصر ، ولعله على مذهب ابراهيم بن المهدي ومن قال بقوله .

أخبرني الحسين بن القاسم، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال : أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه ، قال :

كان أخوانٍ من فزارة يخفران قريةً بين آمِد وسُميساط ، يقال لها تلّ حُوم ، فطال مقامهما بها حتى أثريا ، فحسدهما قومٌ من ربيعة ، وقالوا : يخفران هذان الضياع في بلدنا ! فجمعوا لهما جمعاً ، وساروا اليهما ، فقاتلوهما ، فقُتِل أحدهما ، وعلى

---

(١) الغراران : الحدان . والقاضب : القاطع .

الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشمي ، فشكا القيسيُّ أمره الى وجوه قيس ، وعرّفهم قتل ربيعة أخاه ، وأخذهم ماله . فقالوا له : اذا جلس الأميرُ فادخل اليه . ففعل ذلك ، ودخل على عبد الملك ، وشكا ما لحقه ، ثم قال له : وَحسبُ الأميرِ أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم :

اشربا ما شربتما إنّ قيساً ... مِن قتيلٍ وهالكٍ وأسيرِ
لا يحوزنّ أمرنا مُضَريٌّ ... بخفيرٍ ولا بغـيرِ خفيرِ

فقال عبد الملك : أتندبني[1] الى العصبية ؟ وزبره[2] ، فخرج الرجل مغموماً، فشكا ذلك الى وجوه قيس ، فقالوا : لا تُرَع ، فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبـه ، فعاوِده . فعاوده في المجلس الآخر ، فزبره ، وقال له قوله الأوّل ، فقال له : إنّي لم آتك أندبك للعصبيّة ، وإنما جئتك مستعدياً[3] ، فقال له : حدثني كيف فعـل القوم ؟ فحدّثه وأنشده ، فغضب فقال : كذب لعمري ، ليحوزنّها . ثم دعا بأبي عِصمة أحدِ قواده ، فقال : اخرُج فجرّد السيفَ في ربيعة ، فخرج وقتل منها مقتلةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أوّلها :

ماذا شجـاكِ بحوّارينَ من طللٍ ... ودمنةٍ كشفت عنهـا الأعاصيرُ[4]

يقول فيها :

هذي يمينـك في قرباك صائلةٌ ... وصارمٌ من سيوف الهند مشهورُ
إن كان منّا ذوُو إفكٍ ومارقـةٌ ... وعصبةٌ دينهـا العُدوان والزّورُ
فإنّ منّا الذي لا يستحثُّ اذا ... حُثّ الجيادُ وضمتهـا المضاميرُ

---

(١) أتندبني : أتحثني وتدعوني .
(٢) زبره : زجره وانتهره .
(٣) مستعدياً : مستنصراً مستعيناً .
(٤) حوارين : قرية من قرى حلب . الدمنة : واحدة من الدمن ، وهي آثار الدار .

مُستنبطٌ عزماتِ القلب من فِكَرٍ ما بينهنّ وبين الله معمور

يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي، وكان قد أخذ قوّادهم.

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عِصمة بالكفّ عنهم، فلما قدِم الرّشيد الرّافقة أنشده عبد الملك القصيدة، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتابٍ يقال له كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا. فأمر بإشخاصه من رأس عينٍ[1]، فوافى الرشيد وعليه قميصٌ غليظ، وفَروة وخُفّ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل، فلما رُفع الخبرُ بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حُجرة، وتُقام له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة اذا قدِّمت اليه أخذ منها رقاقةً وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فاذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه، ويتعجبون من فعله، وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العُقَيلي وهو في منزله، فسلّم عليه، وانتسب له، فرحّب به، وقال له: ارتفع. فقال: لم آتك للجلوس، قال: فما حاجتك؟ قال: دابّة أبلغ عليها الى رأس عين، فقال: يا غلام أعطه الفرس الفلاني. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكن تأمر أن تشتري لي دابّة أتبلّغ عليها. فقال لغلامه: امضِ معه فابتعْ له ما يريد. فمضى معه، فعدل بـه العتابي الى سوق الحمير، فقال له: إنّما أمرني أن أبتاع لك دابّة. فقال له: إنّه أرسلك معي، ولم يرسلني معك، فإن عملت ما أريد وإلّا انصرفْ. فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً، وقال: ادفع اليه ثمنه، فدفع اليه، فركب الحمار عُرياً بمرشحةٍ عليه وبرذعةٍ، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيدٍ: فضحتني، أمثلي يحمل مثلك على هذا؟ فضحك، وقال: ما رأيتُ قدرك يستوجب أكثر من ذاك. ومضى الى رأس عين.

---

(١) رأس عين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك:

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصورٌ النمري قد أخذ الأموال فحلّى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعاً، وأنت ها هنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلوم على تَركِ الغنى باهليَّةٌ ... زَوى الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ [1]
رأتْ حولها النِّسوان يرفُلنَ في الثَّرا ... مقلَّدةً أعناقُها بالقلائدِ [2]
أَسرّكِ أنّي نلت ما نال جعفرٌ ... من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وإنَّ أميرَ المؤمنين أَغصَّني ... مُغَصَّهما بالمشرقاتِ البوارد [3]
رأيت رفيعاتِ الأمور مشوبةً ... بمستودعاتٍ في بطون الأساود [4]
دعيني تجئْني ميتتي مطمئنةً ... ولم أتجشم هول تلك الموارد

وهذا الخبرُ عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدة المذكورة التي أوّلها:

ماذا شجاك بحوّارين من طلل

للعتّابي في الرشيد، لا في عبد الملك، ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقِّصاً منه. وله أخبار معه طويلةٌ، وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفعَ السيف عن ربيعة جماعةٌ على غير هذه الرواية.

(١) الطرف: الجديد. والتالد: القديم.

(٢) يرفلن: تجر الواحدة ذيلها وتتبختر.

(٣) أغصّني: من الغصة، وهي ما يعترض في الحلق فتحتبس الانفاس به. المشرقات: السيوف اللوامع. البوارد: التي تثبت في الضريبة لا تنثني.

(٤) الأساود: جمع أسود وهو الحية.

أَخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدثني مسعود بن اسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال:

عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريفٍ، فقطع عنه أشياء كان عوّده إياها، فأتاه متنصِّلاً بهذه القصيدة:

ماذا شجاك بحوّارين من طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاك حتى ضمير القلب مشتركٌ والعين إنسانها بالماء مغمور
في ناظريّ انقباضٌ عن جفونها وفي الجفون عن الآماق تقصير
لو كنتِ تدرين ما شوقي اذا جعلتْ تنأى بنا وبك الأوطان والدور
علمتِ أنّ سُرى ليلي ومُطلعي من بيت نجران والغوّرين تغوير[1]
إذِ الركائبُ مخسوفٌ نواظرها كما تضمّنتِ الدُّهنَ القوارير
نادتك أرحامُنا اللاتي نمتّ بها كما تنادى جِلادَ الجِلّة الخور[2]
مُستنبط عزماتِ القلب من فِكَرٍ ما بينهنّ وبين الله معمور
فُتّ المدائح إلّا أنّ أنفسنا مستنطقاتٌ بما تحوي الضمائير
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
إن كان منّا ذَوُو إفكٍ ومارقةٌ وعصبةٌ دينها العدوانُ والزّور[3]
فإنّ منّا الذي لا يستحثّ اذا حُثّ الجياد وحازتها المضامير[4]
ومن عرائقه السفّاح عندكم مجرّبٌ من بلاء الصِّدق مخبور[5]

(١) نجران. موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.

(٢) الجلاد بالجيم والدال: النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ضد. والجلة: المسان من الابل. والخور: الناقة الغزيرة اللبن.

(٣) الإفك: البهتان. والمارقة: الخارجة على الدين.

(٤) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تضمر فيه الخيل.

(٥) المخبور: المختبر. وصدر البيت محرف.

الآن قد بعُدتْ في خطوِ طاعتكم ... خُطاهم حيث يحتل الغشامير[1]

الرشيد يرضى عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله :

– يعني يزيد بن مزيدٍ ، وهشام بن عمرٍ والتغلبيَّ ، وهو من وُلدِ سُفَيح بن السفّاح – قال : فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله .

صوت

تطاول ليلي لم أنمه تقلّباً ... كأنّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
فإن تكن الأيامُ فرّقنَ بيننا ... فقد بانَ مني في تذكُّره العذر

الشعر للأبيرد الرّياحي ، والغناء لبابويه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وفيه رملٌ نسبه يحيى المكي الى ابن سريج . وقيل انه منحول .

(١) الغشامير بالغين من الغشمرة وهي : التهضم والظلم .

أخبار الأبيرد ونسبه

الأُبيرد بن المعذَّر بن قيس بن عتَّاب بن هَرميّ بن رياح بن يربوع بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ ، من شعراء الاسلام وأوّل دولة بني أمية . وليس بمكثِرٍ ، ولا ممن وفد الى الخلفاء فمدحهم .

وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بُرَيدا أخاه ، وهي معدودة من مختار المراثي .

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيّ قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره :

كان الرياحيّ يهوى امرأةً من قومه ويُجنّ بها حتى شُهِرَ ما بينهما ، فحجبت عنه ، وخطبها فأَبَوْا أن يزوّجوها إياه ، ثم خطبها رجلٌ من ولدِ حاجبِ بن زُرارة ، فزُوِّجته ، فقال الأبيرد في ذلك :

اذا ما أردتَ الحسن فانظر الى التي تَبغَّى لقيط قومه وتخيّرا [1]
لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرّ فوقه لبانَ مكان الذرِّ فيه فأثّرا [2]
لعمري لقد أمكنتِ منا عدوّنا وأقورتِ للعادي فأخنى وأهجرا [3]

(١) تبغى لقيط قومه : طلب اليهم أن يساعدوه ويتخيروا له ذات النسب .

(٢) البشر : الجلد . والذر : صغار النمل .

(٣) أقورت : خضعت . وأخنى : قال الخنا . وأهجر : قال هجراً .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إليّ قال : حدثنا محمد بن سلّام الجمحي قال :

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدرٍ فقال : اكسُني بُردَين أدخل بهما على الأمير – يعني عبيد الله بن زيادٍ – وكساه ثوبين فلم يرضهما ، فقال فيه :

أحارث أمسك فضل برديك إنما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت اذا استمطرت منك سحابةً لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا (١)
أحارثُ عاود شُربَك الخمرَ إنني أرى ابن زيادٍ عنك أصبح لاهيا

فبلغت أبياتُه هذه حارثة فقال : قبحه الله : لقد شهد بما لم يعلم . وإنما أدعُ جوابه لما لا يعلم . هكذا ذكر محمد بن سلّام .

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلّبي قال : حدثنا عُمر بن شبة قال : حدثنا الأصمعي قال : هجا الأبيرد الرياحيُّ حارثة بن بدر فقال :

أحارث راجع شُربَك الخمرَ إنني أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا
أرى فيك رأياً من أبيه وعمه وكان زيادٌ ماقتاً لك قاليا

وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام ، وقال في خبره هذا : فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين ، فحبسهما عنه في تلك السنة ، فقال حارثة ابن بدر يجيبه .

فإن كنت عن بردي مستغنياً لقد أراك بأسمال الملابس كاسيا (٢)
وعشتَ زماناً أن أعيّنك كُسوتي قنعت بأخلاق وأمسيت عاريا (٣)

(١) العجاج : الغبار . والسافي : الريح تحمل ترابا .
(٢) الاسمال : الثوب الخلق أو الاثواب الخلقة .
(٣) عينه : أعطاه . الاخلاق : جمع خلق بالتحريك : الثوب المهلهل .

ويردين من حوك العراق كسوتها على حاجة منهـا لأمك باديا [1]

فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر :

زعمت غُدانةُ أن فيهـا سيداً ضخماً يواريه جَناحُ الجنـدبِ [2]
يُرويه ما يُروي الذبابَ وينتشي لؤماً ويشبعـه ذراعُ الأرنب

وقال أيضاً لحارثة بن بدر :

ألا ليت حظِي من غُدانة أنها تـكون كفافاً لا عـليَّ ولا ليا [3]
أبى الله أن يهدي غدانة للهدى وأن لا تـكون الدهر إلّا مواليا [4]
فلو أنني ألقى ابن بـدرٍ بموطن نَعُدُّ به من أوّلينـا المساعيا [5]
تقاصر حتى يستقيدَ وبـذّه قُروم تسامى من رياح تساميـا [6]
أيا فارط الحي الذي قد حشا لـكم من المجد أنهـاء ملاء الخوابيا [7]
وعَمّي الذي فكّ السميدع عنوةً فلست بنعمى يا ابن عقرب جازيا
كلانا غنيٌّ عن أخيـه حياته ونحن اذا متنـا أشدّ تغانيا
ألم ترنا إذ سقتَ قومَك سائـلاً ذوي عدمٍ للسائلـين مَعاطيا
بني الردفِ حمالين كلَّ عظيمةٍ اذا طلعت والمترعين الجوابيـا [8]

---

(١) حول العراق : نسجه . وكان مشهوراً بالدقة في ذلك الزمان .

(٢) غدانة : هي من يربوع تسمى به القبيلة . والجندب : الجراد .

(٣) الكفاف : ما يكف عن الناس ويغني .

(٤) الموالي : العبيد .

(٥) المساعي : مآثر أهل الشرف والفضل .

(٦) استقاد : ذل وخضع . القروم : السادة . ورياح : قبيلة .

(٧) الفارط : السابق لإصلاح الحوض والدلاء . والأنهاء : جمع نهى ، وهو الغدير . والخوابي : حوض يجتمع فيه الماء .

(٨) الجوابي جمع جابية : الحوض يجمع فيه الماء .

وإنا لنعطي النِّصف من لو نضيمه أقر ولكنا نحب العوافيا [١]

الردفُ الذي عناه ها هنا : جدّه عتابُ بن هَرمي بن رياح ، كان رِدفَ بن المنذر ، اذا ركب ركب وراءه ، واذا جلس جلس عن يمينه ، واذا غزا كان له المرباع ؛ واذا شرب الملك سُقي بكأسه بعده ، وكان بعده ابنه قيس بن عتّابٍ يردف [٢] النعمان . وهو جدّ الأُبيرد أيضاً .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال :

الأبيرد وسعد العجلي :

كانت بنو عِجلٍ قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عِجلاً ، فكان الأُبيرد يعاشر رجلاً منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعد هذا ، فمالت اليه فومقته ، وكان الأُبيرد شاباً جميلاً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمّاً [٣] ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرُها وتحدّث بهما ، واتُّهم الأُبيرد بها ، فشكاه الى قومه واستعذرهم منه [٤] ، فقالوا له : مالك تتحدّث الى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك [٥] ! وهل خلا عربي منه ؟ قالوا : قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، وإياك أن تعاودها . فقال الأُبيرد : انّ سعداً لا خير فيه لزوجته . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأني رأيته يأتي فرسه البلقاء ، ولا فضل فيه لامرأته ، فهي تبغضه لفعله ، وهو يتّهمها لعجزه عنهـا . فضحكوا من قوله ، وقالوا له :

---

(١) نضيمه : نظلمه ، والظلم علامة القوة . العوافي : جمع عافية : السلامة .

(٢) يردف ، يقال يردف الملك : يجلس عن يمينه ويشرب بعده .

(٣) الهم والهمة بكسر الهاء : الشيخ الفاني .

(٤) استعذرهم : استعداهم عليه واستنصرهم .

(٥) ما بأس بذلك : ما عيب في ذلك .

وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاوِدْها ولا تجلس اليها . فقال الأُبيرد في ذلك :

ألم تر أنّ ابن المعذَّر قد صحا ... ووَدّع ما يَلحى عليه عواذِلُه[1]

غدا ذو خلاخيل عليّ يلومُني ... وما لومُ عَذّال عليه خلاخله[2]

فدع عنك هذا الحلي إن كنت لائمي ... فإنّي امرؤ لا تَزدهيني صَلاصله[3]

اذا خطرت عنس به شدنيـة ... بمطَّرد الأرواح ناء مناهـله[4]

تبيَّن أقوامٌ سفاهـةَ رأيهم ... ترحّـل عنهم وهو عفٌ منازله

لهم مجلسٌ كالرُّدن يجمـع مجلساً ... لئاماً مساعيـه كثيراً هتامله[5]

تبرأتُ من سعد وخُلّـة بيننا ... فـلا هو معطيني ولا أنا سائله

متى تنتجُ البلقاء يا سعد أم متى ... تُلَقّـحُ من ذات الرّباط حوائله[6]

يحدِّث سعـد أنّ زوجته زنت ... ويا سعـد إنّ المرء تزني حلائله

فإن تسمُ عيناها إليّ فقـد رأت ... فتًى كحسام أخلصَتـه صياقله[7]

فتى قُدَّ قدّ السيف لا متضائـلٌ ... ولا رِهـلٌ لبّاته وأباجله[8]

---

(١) يلحى : أي يلوم .

(٢) أي لا أهتم بلوم من هو كالنساء يلبس الخلاخل .

(٣) صلاصله : رنينه وصوته .

(٤) العنس : الناقة الصلبة . والشدنية من الابل : منسوبة الى موضع باليمن .

(٥) جعله كالردن ، وهو أصل الكم ، في ضيقه وقلة عددهم . والهتملة : الكلام الخفي .

(٦) الرباط : الخيل أو الخمس منها فا فوقها ، والمرابطة : أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه . والحوائل : جمع حائل وهي التي حمل عليها فلم تلقح ، والتي لم تلقح سنـة أو سنتين أو سنوات .

(٧) الصياقل : جمع صيقل .

(٨) الرهل : المسترخي . ولباته جمع لبة : وهي موضع النحر . والاباجل : عرق غليظ في اليد أو الرجل .

– وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي ، ولأخت يزيد بن الطثرية – فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال :

لعمرك إنني وبني رياح لكالعاوي فصادف سهم رامِ
يسوقون ابن وجرة مزمئراً ليحميهم وليس لهم بحامِ [١]
وكم من شاعرٍ لبني تميم قصيرِ الباع من نفرٍ لئام
كسونا – إذ تحرّقُ ملبساه – دواهيَ يبترين من العظام
وإن يُذكر طعامهم بشرّ فإنّ طعامهم شرُّ الطعام
شَريجٌ من منيّ أبي سُواج وآخر خالص من حيض آم [٢]
وسوداء المغابن من رياح على الكردوس كالفأس الكهام [٣]
اذا ما مرّ بالقعقاع ركب دعتهم مَن ينيك على الطعام [٤]
تداولها غواةُ الناس حتى تؤوبَ وقد مضى ليل التمام [٥]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له :

عوى سَلمانُ من جوّ فلاقى أخو أهل اليامة سهمَ رامي
عوى من جُبنه وشقيّ عِجل عُواء الذئب مُختلط الظلام [٦]
بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ومن لحم الجزورِ على الثُّمام [٧]

---

(١) المزمئر : الغاضب .

(٢) الشريجان : لونان مختلفان . الآم : جمع أمة ، وهي المرأة المملوكة ليست بحرة .

(٣) المغابن جمع مغبن وهو : الإبط . والكردوس كل عظم كثير اللحم . والكهام : الكليل .

(٤) القعقاع : مكان .

(٥) ليل التمام ، بالكسر : أطول ليالي الشتاء .

(٦) يعني بشقي عجل ، سلمان العجلي . مختلط الظلام ، أي وقت اختلاط الظلام .

(٧) الجزور : البعير او خاص بالناقة المجزورة . والثمام : نبت خفيف . ويقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف ، وذلك لحقارته .

تحيّاً المسلمون اذا تلاقَوا ... وعجلٌ ما تحيّاً بالسلامِ
اذا عجليةٌ ولدت غلاماً ... الى عجل فقبّح من غلام
يمصُّ بثديها فرخٌ لئيم ... سُلالةُ أعبدٍ ورضيعُ آم[1]
خبيث الريح ينشأ بالمخازي ... لئيمٌ بين آباء لئام
أنا ابن الأكرمين بني تميم ... ذوي الآكال والهمم العظام[2]
وكائن من رئيس قطّرته ... عواملنا ومن ملك هُمام[3]
وجيشٍ قد ربعناه وقومٍ ... صبّحناه بذي لجب لُهام[4]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له :

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ ... لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنظرا
من القُلح فسأه ضروطٌ يُهرُّهُ ... اذا الطير مراتٍ على الدوح صرصرا[5]
وأقلح عجلي كأن بخطمه ... نواجذ خنزيرٍ اذا ما تكشرا[6]
يزلُّ النوى عن ضرسه فيردُّه ... الى عارضٍ فيه القوادح أبخرا[7]
اذا شرب العجليُّ نجّس كأسه ... وظلت بكفّيْ جأنبٍ غير أزهرا[8]

(١) الآم جمع أمة : المملوكة غير الحرة .

(٢) ذوو الآكال : سادة الاحياء الأخذون للمرباع . وآكال الملوك مآكلهم .

(٣) قطرته : صرعته . وعواملنا : رماحنا .

(٤) اللهام : الجيش العظيم .

(٥) القلح بالضم جمع أقلح وهو : الفاسد الاسنان . يهره : يجعله يهر كالكلاب لفزعه .

(٦) الخطم : مقدم الفم والانف ، وأصله للدواب .

(٧) القوادح : جمع قادح أكال ، بضم أوله ، يوجد في الاسنان .

(٨) الجأنب : القميء القصير الذليل .

شديد سوادِ الوجه تحسب وجهه من الدم بين الشاربين مقيَّرا [١]
اذا ما حساها لم تَرِده سماحة ولكن أرتـه أن يصرّ ويحصرا [٢]
فلا يشربنْ في الحيّ عجلٌ فإنّه اذا شرب العجليُّ أخنى وأهجرا [٣]
يقاسي نـداماهم وتلقى أنوفهم من الجدع عند الكأس أمراً مذكرا [٤]
ولم تك في الإشراكِ عِجل تذوقها ليالي يسبيها مقاولُ حميرا [٥]
ويُنفق فيها الحنظليون مالَهم اذا ما سعى منهم سفيهٌ تجبَّرا
ولكنها هانت وحُرِّم شربها فالت بنو عجلٍ لِما كان أكفرا
لعمري لئن أُزننتم أو صحوتم لبئسَ الندامى كنتم آل أبجرا [٦]

مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الشياه والابل :

أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائنيُّ قال : كان مجائل بن مرّةَ بن مَحكان السعدي وابن عم له يقال له : عرادة، وقد كان عرادة اشترى غنماً له فأنهبها ، وكانت مائة شاة ، فاشترى مُرّة بن محكان مائةً من الإبل فأنحر بعضها [٧] وأنهب باقيها ، وقال أبو عبيدة : إنّهما تفاخرا ، فغلبه مُرّة ، فقال الأُبيرد لعرادة :

شرى مائةً فأنهبها جميعاً وبتَّ تقسم الحذف النقادا [٨]

(١) مقير : مطلي بالقار ، وهو الزفت .
(٢) يصر : أصل الصر الجمع والشد . يحصر : يبخل .
(٣) أخنى : قال الخنا ، وهو الفحش . وأهجر : قال هجراً وقولا منكراً .
(٤) الجدع : القطع . والمذكر : الشديد .
(٥) يسبيها : يشتريها . والمقاول : جمع مقول كمنبر : الملك من ملوك حمير .
(٦) أزننتم : اتهمتم .
(٧) أنحرها : أراد جعلها للنحر .
(٨) النقاد : جمع نقد بالتحريك : جنس من الغنم قبيح الشكل ، وراعيه نقاد .

فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرّةَ بن محكان فحبسه وقيّده، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء، فكانت بينهم شجاج[١] ثم تكافؤوا وتوافقوا على الدّيات فأُتي مرّة بن محكان وهو محبوس، فعرف ذلك فتحمّل جميعها في ماله، فقال فيه الأبيرد:

لله عينا من رأى من مكبّل كمرّة إذ شُدّتْ عليه الأداهم[٢]
فأبلغ عبيد الله عني رسالةً فإنك قاضٍ بالحكومة عالم
فإن أنتَ عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب هداك الله أعظم حاتم[٣]
تعاقب خِرقاً أن يجود بماله سعى في ثَأًى من قومه متفاقم[٤]
كأن دماء القوم إذ علقت به على مكفهرٍ من ثنايا المخارم[٥]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعي، قال: حدثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحيّ وابن عمه الأخوص، وهما من رهط ردفِ الملك من بني رياح، يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له: إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطرانا. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له:

فإن بُداهتي وجِراء حولي لذو شقٍّ على الحُطَم الحرون[٦]

---

(١) الشجاج: جمع شجة، وهي الجرح في الوجه والرأس.

(٢) الاداهم: جمع أدهم وهو القيد.

(٣) حاتم، أي جواد كحاتم.

(٤) الثأي كالسعي والثري: الافساد والجرح والقتل ونحوه.

(٥) المكفهر: الضارب لونه الى الغبرة مع غلظ. والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ.

(٦) البداهة: أول جري الفرس. والجراء: الجري. والشق: المشقة. والحطم: العسوف العنيف. والحرون، أصله الفرس الذي لا ينقاد.

قال : فلما أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه ، وانحدر في الوادي ، وجعل يُقبل فيه ويدبر ، ويهمهم بالشعر . ثم قال : اذهب فقل لها :

فإنَّ عُلالتي وجراء حَولي لذو شِقٍّ على الضَّرع الظَّنونِ [١]
أنا ابن الغرّ من سَلَفَي رياح كنصل السيف وضاحُ الجبين
أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني [٢]
وإنّ مكاننا من حميري مكانُ الليث من وسط العرين
وإنّ قناتنا مَشِظٌ شظاها شديد مدُّها عُنُقَ القرين [٣]

— قال الأصمعي : اذا مسست شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل : مشظت يدي والشظا : ما تشظّى منها —

وإني لا يعود إليّ قِرني غداةَ الغبِّ إلا في قرينِ [٤]
بذي لِبَدٍ يصدُّ الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين [٥]
عذرتُ البُزل إذ هي صاولتني فما بالي وبال ابنَيْ لبون [٦]
وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت رأسَ الأربعين
أخو الخمسين مُجتمعٌ أَشدّي ونجّذني مداورةُ الشؤون [٧]

---

(١) الضرع بالتحريك : الصغير من كل شيء . والظنون كصبور : الذي لا يوثق بجريه .

(٢) أنا ابن جلا ، جلا : من الجلاء والظهور ، كناية عن العلو . طلاع الثنايا ، الثنايا : جمع ثنية وهي العقبة أو الجبل كناية عن تسور قمة المجد . متى أضع العمامة تعرفوني : قال ثعلب : «العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم» .

(٣) مشظ بالظاء المعجمة ، وهذا مثل لامتناع جانبه ، أي لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .

(٤) قرني : نظيري . والقرين : المصاحب . والمعنى أنه لايأتي منفرداً ، لضعفه .

(٥) اللبد بكسر أوله ويحرك جمع لبدة : الشعر في رقبة الاسد .

(٦) البزل : جمع بازل وهو ما بلغ من الإبل التاسعة . وابن اللبون : ما كان في العام الثاني واستكمله . والمعنى : للقوي عذر إذا صاولني ، فما عذر الضعيف .

(٧) نجذني : جعلني مجرباً .

سأحيا ما حييتُ وإنّ ظهري لذو سَنَدٍ الى نضدٍ أمينِ [١]

قال: فأتياه فاعتذرا اليه، فقال: إنّ أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا، وحسبه بحسبنا، ويستطيف [٢] بنا استطافة المهر الأرِنِ [٣]. فقالا له: فهل الى النزع من سبيلٍ [٤]. فقال: إننا لم تبلغ أنسابُنا.

قال اليزيدي: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي:

والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريداً وفي أوّلها الغناء المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلي لم أنمه تقلّباً كأنّ فراشي حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومه لدُنْ غاب قرنُ الشمس حتى بدا الفجر [٥]
تذكرت قَرماً بانَ منّاً بنصره ونائله يا حبذا ذلك الذِّكرُ [٦]
فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا فقد عذرتنا في صحابتنا العذر [٧]
وكنت أرى هَجراً فراقك ساعةً ألا لا بل الموت التفرّق والهجر
أحقّاً عباد الله أن لست لاقياً بريداً طَوال الدهر ما لألأ العُفر [٨]

---

(١) النضد: الوسائد وما حشي من المتاع، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف.

(٢) يستطيف: يدور ويحوم.

(٣) الأرن: النشيط.

(٤) النزع: تحويل الشيء عن موضعه، وهو أيضاً: الكف.

(٥) لدن: منذ.

(٦) القرم في الأصل: الفحل، وهو السيد. بان من البين: وهو البعد. والذكر: التذكر.

(٧) العذر: جمع عذير، كسرير وسرر. والعذير: العاذر.

(٨) لألأ العفر: حركت الظباء أذنابها.

فتى إن هو استغنى تخرَّق في الغنى فإن قلَّ مالًا لم يؤُدْ متنه الفقرُ ١
وسامى جسيات الأمور فنالها على العسر حتى أدرك العسرَ اليسر ٢
ترى القوم في العزّاء ينتظرونه اذا ضلَّ رأيُ القوم أو حَزَب الأمر ٣
فليتك كنتَ الحي في الناس باقياً وكنتُ أنا الميت الذي غَيب القبر
فتى يشتري حُسنَ الثناء بماله اذا السنة الشهباء قلَّ بها القطر ٤
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ولم يأتنا يوماً بأخباره السَّفر
لعمري لنعم المرء عالى نعيَّه لنا ابنُ عزيز بعد ما قصر العصر ٥
تمضَّت به الأخبار حتى تغلغلت ولم تثنه الأطباع دوني ولا الجدر ٦
ولما نعى الناعي بُريداً تغولت بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر ٧
عساكرُ تغشى النفس حتى كأنني أخو سكرةٍ طارت بهامته الخمر ٨
الى الله أشكو في بُريدٍ مصيبتي وبَثِّي وأحزاناً تضمّنها الصدر
وقد كنت أستعني إلهي اذا شكا من الأجر لي فيه وإن سرّني الأجر
وما زال في عينيَّ بَعدُ غِشاوةٌ وسَمعيَ عمّا كنت أسمعه وقر ٩

---

(١) تخرق : صار متلافاً .

(٢) سامى : بارى فنالها بعد الامتناع .

(٣) العزاء مأخوذة من العزاز ، وهو الأرض الصلبة الصعبة .

(٤) الشهباء : السنة الشديدة . ويقال أشهبت السنة القوم : جردت أموالهم .

(٥) عالى : رفع الصوت به . والنعي : خبر الموت .

(٦) الأطباع : جمع طبع ، وهو النهر .

(٧) تغولت : كادت تميد بي .

(٨) العساكر : الشدائد .

(٩) الوقر : الصمم .

علـى أنني أقنى الحياءَ وأتّقي — شماتـة أعداء عيونهم خُزْرُ [١]
فحياك عني الليل والصبح إذ بدا — وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شهر [٢]
سقى جدثا لو أستطيع سقيتـه — بأودٍ فروّاه الروافـد والقطر [٣]
ولا زال يرعى من بلادٍ ثوى بها — نباتٌ اذا صاب الربيع بها نضر [٤]
حلفتُ برب الرافعـين أكفَّهم — وربِّ الهدايا حيث حلَّ بها النحر
ومجتمعِ الحجاج حيث توافقت — رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأر
يمين امرئٍ آلى وليس بكاذب — وما في يمينٍ قالهـا صادقٌ وِزر
لئن كان أمسى ابنُ المعذَّر قد ثوى — بريدٌ لنعم المرءُ غَيَّبه القبر
هو الخلفُ المعروفُ والدين والتقى — ومِسعرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمر [٥]
أقام فنادى أهـله فتحمّلوا — وصُرِّمت الأسباب واختلط النجر [٦]
فتى كان يُغلي اللحم نيئاً ولحمه — رخيصٌ لجاديه اذا تنزلُ القِدر [٧]
فتى الحيِّ والأضياف إن روّحتهم — بليلٌ وزاد السفر إن أرمل السَّفر [٨]
اذا جارةٌ حلّت لديه وَفى بهـا — فآبت ولم يُهتك لجارتـه ستر
عفيف عن السوآت ما التبست به — صليبٌ فما يُلفى لعود به كسر

(١) أقنى الحياء : يقال قني الحياء قنوا كرضي ورمى : لزمه ، كأقنى واقتنى وقنى . الخزر : كسر العين خلقة ، أو ضيقها .

(٢) الهوج : الشديدة . والأرواح جمع روح : الرياح العاصفة .

(٣) أود بفتح الهمزة وضمها : مكان .

(٤) ثوى : أطال الإقامة أو نزل .

(٥) مسعر حرب : مثيرها . والكهام : الكليل . والغمر : الذي لم يجرب الأمور .

(٦) صرمت بالبناء للمجهول : قطعت . يغلي اللحم : يشتريه غالياً : والنجر : الأصل .

(٧) الرخيص : أراد به المبذول . والجادي : طالب الجدوى ، وهي العطاء .

(٨) روحتهم هبت عليهم . وزاد السفر : هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحفروا طعاماً . والسفر بسكون الفاء ، هم المسافرون . أرمل : نفد زاده .

سلكت سبيل العالمين فما لهم وراء الذي لاقيت مَعدًى ولا قصرُ [١]
وكل امرئٍ يوماً سيلقى حمامه وإن نأت الدعوى وطال به العمر
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنما ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدةٌ طويلة:

اذا ذكرتْ نفسي بريداً تحاملت إليّ ولم أملك لعيني مَدمعا
وذكَّرنيك الناسُ حين تحامَلوا عليّ وأضحوا جلدَ أجرب مُولعا [٢]
فلا يُبعدنك الله خيرَ أخي امرئٍ فقد كنت طلّاع النِّجاد سميدعا [٣]
وَصولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا اذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا [٤]
أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه اذا القوم خالوا أو رجا الناس مطمعا [٥]
ولا يركب الوجناء دون رفيقه اذا القوم أزجَوهنّ حسرى وظُلّعا [٦]

صوت

يا زائرين من الخيام حيّاكما الله بالسلام

(١) معدى: مصرف أو مجاز.

(٢) المولع: ما فيه خطوط.

(٣) النجاد جمع نجد: المرتفعات. وطلاع النجاد: ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره. والسميدع: الكريم.

(٤) الجادي: طالب العطاء.

(٥) خالوا: ظنوا.

(٦) الوجناء: الناقة السريعة. والحسرى: الكليلة. والظلع: جمع ظالع، التي تعمز في مشيها من عرج.

يحزُنني أن أطفتَا بي   ولم تنالا سِوَى الكلامِ
بُورِكَ هارون من إمامٍ   بطاعة الله ذي اعتصام
له الى ذي الجلال قُرَبى   ليست لعَدلٍ ولا إمام

الشعر لمنصورٍ النمري ، والغناء لعبد الله بن طاهرٍ ، رمل ، ذكر ذلك عبيد الله ابنه ، ولم ينسبه الى الأصابع التي بني عليها ، وفيه للرف خفيف رمل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر مجهول الأصابع . ذكر حبشٌ أنه للرف أيضاً .

اخبار منصور النمرى ونسبه

منصور بن الزبرقان بن سلمة – وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان – بن شريك بن مُطعم الكبش الرَّخم ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وانما سمي عامرٌ الضَّحيان لأنه كان سيّد قومه وحاكمهم ، وكان يجلس لهم اذا أضحى النهار ، فسمِّي الضَّحيان . وسمي جدّ منصور « مطعم الكبش الرخم » ، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع رأسه فإذا رخم يَحُمن حول أضيافه ، فأمر بأن يُذبح لهم كبشٌ ويُرمى به بين أيديهم ، ففُعل ذلك ، فنزلن عليه ، فمزقنه ؛ فسمي مطعم الكبش الرخم . وفي ذلك يقول أبو نُعيجة النمري يمدح رجلًا منهم :

أبوك زعيمُ بني قاسط وخالك ذو الكبش يَقري الرخم [١]

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذهبه تشبّه . والعتابي وصفه للفضل بن يحيي بن خالد وقرَّضه [٢] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد . وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه ، وأخبار ذلك تُذكر

(١) ذو الكبش : يعني به مطعم الكبش الرخم . يقري : يطعم .

(٢) قرضه : مدحه ، ومن معانيها الذم .

في مواضعها من أخبارهما – إن شاء الله تعالى – وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابي اليه، وٱسترفده له، وسأله ٱستصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهب الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب – عليهم السلام – والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يُحقِّق، لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نيَّةٍ قويّة يقصد بها طلب الدنيا، فلا يُبقي ولا يذر.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرّد قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حديثَ محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي قال: حدثنا ثابت بن الحارث الجُشَميّ قال:

كان منصورٌ النمري مُصافياً للبرامكة، وكان مسكنه بالشام، فكتب يسألهم أن يذكروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبّ أن يسمع كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله اليه يوم نوبة مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروان يقول قبل قدومه: هذا شاميٌّ وأنا حجازي، أفتراه يكون أشعر منّي، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغمّ والحسد، واستنشد الرشيد منصوراً، فأنشده:

أميرَ المؤمنين اليكَ خُضنا غِمارَ الهَول من بلدٍ شَطيرِ [1]

(١) الشطير: البعيد.

بخوص كالأهلة خافقـاتٍ تلين على السُرى وعلى الهجيرِ [١]
حملن اليك أحمالا ثقـالا ومثل الصخر والدر النثيرِ
فقد وقف المديح بمنتهـاه وغايته وصـار الى المصير
الى مَن لا يشير الى سواه اذا ذُكِر الندى كفّ المشير

فقال مروان : ودِدتُ والله أنّه أخذ جائزتي وسكت .

وذكر في القصيدة يحيي بن عبد الله بن حسن قال :

يذلِّل من رقابِ بني علي ومَنّ ليس بالمنّ الصغيرِ
مننتَ على ابن عبد الله يحيي وكان من الحُتوف على شفيرِ [٢]

مروان ينشد الرشيد :

قال مروان : فما برحتُ حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده ، وكان يتبسم في وقتٍ ما كان ينشده النمري ، ويأخذ على بطنه ، وينظر الى ما قال ، فأنشدته :

موسى وهارون همـا اللذان في كتب الأخبارِ يوجدانِ
من ولد المهـدي مهديّان قُدْماً عنانين عـلى عنان [٣]
قـد أطلق المهديّ لي لساني وشدّ أزري مـا به حباني
من اللُّجين ومن العقيـان عِيديّة شاحطة الأثمـان [٤]

---

(١) الخوص : جمع خوصاء ، الناقة لما في عينها من غؤور وصغر .

(٢) شفير كل شيء : حرفه .

(٣) قدماً : قيسا وعملا . والعنان : السير يشد به اللجام . والمعنى أنهما يشبهان المهدي في صفاته .

(٤) العيدية : ضرب من نجائب الابل .

لو خايلت دجلة بالألبـان[١] إذاً لقيـل اشتبه النهران

قال : فوالله ما عاج[٢] النمري بذلك ولا احتفل به ، فأومأ إليّ هارون أن زده ؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

خلُّوا الطريق لمعشر عاداتهم حطمُ المناكب كل يوم زحامِ
ارضَوْا بما قسم الإله لكم به ودَعُوا وراثة كلّ أصيد حام[٣]
أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثةُ الأعمام

قال : فوالله ما عاج بشيء منها ، وخرجت الجائزتان، فأعطي مروان مائة ألفٍ، وأعطي النمري سبعين ألفاً ، وقال : أنت مزيدٌ في ولد علي .

قال : ولقد تخلص النمري الى شيء ليس عليه فيه شيء ، وهو قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالندامـة للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌ وردّوا مـا يناسب للذكور

قال : فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قـد سبقه اليه ، والى قوله :

وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في ورق الزّبور

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي ، قال : حدثني العنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشرٍ العبدي ، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمد ابن جعفر النحوي يزيد وينقص ، والمعنى متقارب .

---

(١) خايلت : فاخرت وبارت .

(٢) عاج : انعطف واهتمّ بالامر .

(٣) الاصيد : الملك والرافع رأسه كبراً ، وحام : هو الذي يحمي الذمار .

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله ابن طُهمان السلمي قال : حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال :

كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الانبياء ويغضب لمن قال كأنه رسوله:

كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يُمدَح بما تمدح به الأنبياء فلا يُنكر ذلك ولا يردّه ؛ حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى ، فأفرط في مدحه حتى قال فيه :

فكأنه بعد الرسول رسولُ

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ ، وحرم ذلك الشاعر فلم يُعطه شيئاً ، وأنشد منصورٌ النمري قصيدةً مدحه بها وهجا آلَ علي وثلبهم ، فضجر هارون وقال له : يا ابن اللخناء ، أتظن أنك تتقربُ إليَّ بهجاء قومٍ أبوهم أبي ، ونسبهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ؟ ! فقال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فازداد غضبه ، وأمر مسروراً فوجأ[1] في عنقه وأخرج ، ثم وصل اليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده :

بني حسنٍ ورهطَ بني حسينٍ ... عليكم بالسَّداد من الأمورِ
فقد ذقتم قِراع بني أبيكم ... غداةَ الرَّوع بالبيض الذّكور[2]
أحينَ شفَوكمو من كلّ وِترٍ ... وضمّوكم الى كنف وثير[3]
وجادوكم على ظمأٍ شديد ... سُقيتم من نوالهم الغزير[4]
فما كان العقوق لهم جزاء ... بفعلهم وآدى للثؤور[5]

(١) وجأ في عنقه : ضربه .
(٢) البيض الذكور : السيوف القوية .
(٣) الوتر : الثأر . الكنف الوثير : الجناب اللين .
(٤) جاده : أمطره .
(٥) الثؤور : جمع ثأر .

وإنك حين تبلغهم أذاةً وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له: صدقت، وإلا فعليّ وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: حدثني عبد الصمد بن المعذّل قال:

دخل مروان بن أبي حفصة وسَلْم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها:

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال:

حضر الرّحيل وشُدّت الأحداجُ[1]

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلّك الله منها حيث تجتمعُ

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء.

فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم، فقال له يحيي بن خالد: يا أمير المؤمنين، مروان شاعرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فليُزَد مروان عشرة آلاف.

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال: أخبرني أبو حاتم الطائي، عن يحيي بن ضبيئة الطائي، عن الفضل قال: حضرت الرشيد وقد دخل منصور النمري عليه فأنشده:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ اذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتَجعُ

(١) الاحداج: جمع حدج بالكسر، وهو المحفة كالهودج.

بانَ الشبابُ وفاتني بلذّته صروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ
ما كنت أوفي شبابي كنه غِرّته حتى انقضى فاذا الدنيا له تَبَعُ

قال : فتحرّك الرشيد لذلك ثم قال : أحسن والله ، لا يتهنّأ أحدٌ بعيش حتى يخطر في رداء الشباب .

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن سعدٍ قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبدي عن مروان بن أبي حفصة ، قال : خرجنا مع الرشيد الى بلاد الروم ، فظفر الرشيد ، وقد كاد أن يعطب ، لولا الله عز وجل ثم يزيد ابن مزيد . فقال لي وللنمري : أنشدا . فأنشدته قولي :

طرَقتك زائرةً فحيِّ خيالها غراء تخلط بالحياء دلالها [١]

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رُزِقه ، فقال : عُدّوا قصيدته ؛ فكانت مائةَ بيتٍ ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قال للنمري : كيف رأيت فرسي فإني أنكرته ؟ فقال النمري :

مُضِزٌّ على فأسِ اللجام كأنه اذا ما اشتكت أيدي الجياد يطير [٢]
فظلّ على الصفصاف يومٌ تباشرت ضِباعٌ وذؤبان به ونسور [٣]
فأقسم لا يَنسى لك الله أجرها اذا قُسِمت بين العباد أجور

قال النمري : ثم قلت في نفسي : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة ؟ فقلت :

اذا الغيث أكدى واقشعرّت نجومه فغيث أمير المؤمنين مَطيرُ [٤]

---

(١) الغراء : البيضاء .

(٢) مضز على فأس اللجام : يقال أضز الفرس على اللجام اذا أزم عليه . وفأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) الصفصاف : مدينة غزاها سيف الدولة بن حمدان .

(٤) أكدى الغيث : منع لم يسقط مطره .

وما حلّ هارون الخليفة بلدةً فأخلفها غيثٌ وكاد يضير[١]

فقال : أذكرتني . ورأيته متهللا لذلك . قال : فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم .

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري :

أخبرني عمي ، قال : حدثني ابن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان ، قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق — وكان قصيراً ، فلقب بالبيدق[٢] لقصره ، وكان يُنشد هارون أشعار المحدثين — وكان أحسن خلق الله إنشاداً — قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ، ويزيد بن مَزيد ، وبين يديه خوان لطيف عليه جديان ورُغفان سميد[٣] ودجاجتان ، فقال لي : أنشدني ، فأنشدته قصيدة النمري العينية ، فلما بلغت الى قوله :

أيُّ امرئٍ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروفَ أودية أحلّك الله منها حيث تتسع
اذا رفعت امرأً فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام مُتضع
نفسي فداؤك والأبطال مُعلمة يوم الوغى والمنايا بينها قُرَع[٤]

قال : فرمى بالخوان بين يديه وصاح ، وقال : هـذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء ، وبعث اليه بسبعة آلاف دينار ، فلم يعطني منها ما يرضيني ، وشخص الى رأس العين ، فأغضبني وأحفظني ، فأنشدت هارون قوله :

---

(١) أخلف الغيث : لم يمطر . وكاد يضير : كاد يتلف لغزارته .

(٢) البيدق : الصغير الخفيف .

(٣) السميد : لباب الدقيق .

(٤) المعلمة بكسر اللام التي أعلمت أنفسها في الحرب بعلامة .

شاةٌ من الناس راتعٌ هاملٌ يعللون النفوس بالباطل [١]

فلما بلغت الى قوله :

إلّا مساعيرَ يغضبون لها بسلّة البيض والقنا الذابل [٢]

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته .

قال : أراه يحرّض عليّ ، أبعثوا اليه من يجيء برأسه . فكلّمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغنِ كلامه شيئاً ، وتوجّه اليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفن . قال : وكان إنشاد محمدٍ البيدق يُطرب كما يطرب الغناء .

سبب غضب الرشيد على النمري :

أخبرني عمي ، قال : حدثنا ابنُ أبي سعدٍ ، قال : حدثنا علي بن الحسين الشيباني ، قال : أخبرني منصور بن جهور ، قال : سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال لي : استقبلت منصور النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً ، فقلت له : ما خبرُك ؟ فقال : تركت امرأتي تُطلق [٣] ، وقد عسر عليها ولادها ، وهي يدي ورجلي ، والقيّمة بأمري وأمر منزلي . فقلت له : لم لا تكتب على فرجها « هارون الرشيد » ؟ قال : ليكون ماذا ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسعُ [٤]

---

(١) الراتع : الذي يأكل ما شاء في رغد . والهامل : المتروك سدى ولا يعمل .

(٢) المساعير : الذين يوقدون نارَ الحرب ، جمع مسعار . سلة البيض : استلال السيوف . والذابل : الدقيق اللاصق الليط ، أي القشر .

(٣) تطلق بالبناء للمجهول : تعاني وجع الولادة .

(٤) مخايله : جمع مخيلة بالفتح ، وهي السحابة .

فقال لي : يا كشخان[1] ، والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد . فلما ولدت امرأته خبّر الرشيد بما كان بيني وبينه ، فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي ، فاستترت عند الفضل بن الربيع ، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أذن لي في الظهور ؛ فلما دخلتُ عليه ، قال لي : قد بلغني ما قلته للنمري ، فاعتذرت اليه حتى قبل ، ثم قلت : والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذّب عليّ إلّا وقوفي على ميله الى العلويّة ، فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلتُ . فقال : أنشدني . فأنشدته قوله :

شاه من الناس راتع هاملْ   يعلّلون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله :

إلّا مساعير يغضبون لها   بسلّة البيض والقنا الذّابل

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري :

فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة . فبعث الفضل في ذلك ، فوجده قد توفّي ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطُف له حتى كفّ عنه .

الفضل بن الربيع يحمي النمري :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال : حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثني بعض الزينبيين ، قال : حبس الرشيد منصوراً النمري بسبب الرفض[2] ، فتخلّصه الفضل بن الربيع ، ثم بلغه شعره في آل عليّ عليه

---

(١) الكشخان بالفتح والكسر : الديوث .

(٢) الرفض : ضرب من التشيع لآل علي .

السلام ، فقال للفضل : اطلبه . فستره الفضل عنده ، وجعل الرشيد يُلحّ في طلبه ، حتى قال يوماً للفضل : وَيحك يا فضل تفوّتُني النمري ؟ قال : يا سيدي ، هو عندي قد حصلته . قال : فجئني به . وكان الفضل قد أمره أن يطوّل شعره ، ويكثر مباشرة الشمس ليشحبَ وتسوء حالته ، ففعل ، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة ، وأدخله عليه ، وقد عفا[1] شعره ، وساءت حالته ، فلما رآه ، قال : السيف ! فقال الفضل : يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمرَ بقتله بحضرتك ؟ قال : أليس هو القائل :

إلّا مساعيرَ يغضبون لها   بسلّة البيض والقنا الذابل

فقال منصور : لا يا سيدي ما أنا قائلُ هذا ، ولقد كذِب عليّ ، ولكني القائل :

يا منزل الحي ذا المغاني   انعم صباحاً على بِلاكا[2]
هارون يا خير مَن يُرَجّى   لم يُطِع الله مَن عصاكا
في خير دين وخير دنيا   مَن اتقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله ، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع :

رأيتُ الملك مُذ آزر   تَ قد قامت محانيه[3]
هو الأوحد في الفضل   فما يعرف ثانيه

أخبرني عمي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ، قال : حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل ، قال :

اجتمع عند المأمون قبل خلافته ، وذلك في أيام الرشيد ، منصورٌ النمري

---

(١) عفا شعره : طال وكثر .

(٢) البلى : القدم .

(٣) آزرت : عاونت وصرت وزيراً . محانيه : معاطفه .

والخُرَيمي والعبَّاس بن زفر ، وعنده جعفر بن يحيى ، يحضر الغداء ، فأُتيَ المأمون بلونٍ من الطعام ، فأكل منه فاستطابه ، فأمر به فوُضع بين يدي جعفر بن يحيى ، فأصاب منه ، ثم أمر به فوضع بين يديِ العباس فأكل منه ، ثم نحّاه ، فأكل منه بعده الخرَيمي وغيره — ولم يأكل منه النَّمري — وذلك بعين المأمون ، فقال له : لِمَ لم تأكل ؟ فقال : لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إني لنهمٌ . قال : فهل قلتَ في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت :

إني اذاً لدنيءُ النفس والخطرِ[1] ... لهفي أتطعِمها قيساً وآكلها
ليأكلا سؤرَ عبـاس ولا زُفَرِ ... ما كان جدي ولا كان الُهمام أبي
وسؤر كلبٍ مُغطًّى العين بالوبر[2] ... شتانَ من سؤر عباسٍ وفضلته
وقـد رأى لُقما في الحلق لعُجر[3] ... ما زال يلقمُ والطباخُ يلحظه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي ، قالا : حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي ، قال : أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمري ، قال : سمعت أشياخنا يقولون : إن منصور بن بُجرة بن منصور بن صُليل بن أشيَم بن قطن بن سعد بن عامرِ الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط ، قال هذه القصيدة :

اذا ذكرت شبابا ليس يُرتجعُ ... ما تنقضي حسرة مني ولا جزع
صروف دهرٍ وأيام لهـا خُدَعُ[4] ... بان الشبـاب وفاتني بشرَّته
مكسوَّ شيبٍ فلا يذهب بك الجزع ... ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبتـه

فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن

---

(١) الخطر : القدر والمنزلة .

(٢) السؤر : البقية والفضلة .

(٣) العجر جمع عجرة : وهي العقدة .

(٤) فاتتني : تخطتني ولم تصبني . والشرة : النشاط .

مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها ، فاستوهبها منه فوهبها له ، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدّى لمدح ولا يفد الى أحد ولا ينتجعه بالشعر ، وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة ، فوجّه منصور بن سلمة هذه القصيدة الى الرشيد ، وكان رجلاً تقتحمه[1] العين جدا ، ويزدريه من رآه لدمامة خلقه ، فأمر الرشيد لمّا عُرِضت عليه بإحضار قائلها . قال منصور : فلما وصلت اليه عرّفني الحاجب أنه لما عرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً ، وأمره بإدخالي ، فلما قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامة خلـقي ، وكان قصيراً أزرق أحمر أعمش[2] نحيفاً . قال : فردّني ، وأمر بإخراجي فأُخرجت ، فمرّ بي ذات يوم يزيد بن مَزيد الشيباني ، فصحت به : يا أبا خالد ، أنا رجلٌ من عشيرتك ، وقد لحقني ضيم ، وعذت بك . فوقف ، فعرّفته خبري ، وسألته : أن يذكّرني اذا مرّت به رقعتي ، ويتلطّف في إيصالي ، ففعل ذلك ، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة :

أتسلو وقد بانَ الشباب المزايلُ

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة :

فقال لي : غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة — وخرج يزيد يركض ، فما جاءت العصر من الغدِ حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها ، وأنشدته القصيدة ، فلمّا صرت الى هذا الموضع :

جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور :

يُجرّدُ فينا السيفَ من بين مارقٍ وعانٍ بُجودٌ كلهم متحامـل[3]

---

(١) تقتحمه : تتخطاه الى غيره ، وذلك لضعف شأنه .

(٢) الاعمش : ضعيف البصر مع سيلان الدمع .

(٣) العاني : الاسير . بجود : جمع بجد : الجماعة من الناس .

قالوا : فلما سمع الجلساء هذا البيت ، قالوا : ذهب الأعرابي وافتضح ، فلما قلت :

وقد علم العُدوان والجورُ والخنا ... بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايلُ (١)
ولو علموا فينا بأمرك لم يكن ... يَنال بريًّا بالأذى متناول
لنا منك أرحام ونعتدُّ طاعةً ... وبأساً اذا اصطكّ القنا والقنابل (٢)
وما يحفظ الأنساب مثلك حافظٌ ... ولا يصلُ الأرحام مثلك واصل
جعلناك ، فامنعنا ، مَعاذا ومفزعا ... لنا حين عضتنا الخطوب الجلائل (٣)
وأنت اذا عاذت بوجهك عُوَّذٌ ... تطامن خوفٌ واستقرّت بَلابل (٤)

فقال الجلساء : أحسن والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين ! فقال الرشيد : يُرفع السيف عن ربيعة ويُحسن اليهم .

أخبرني عمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني عليُّ بن الحسن ابن عبيدٍ البكريُّ ، قال : أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل ، قال :

كنا عند الرشيد وعنده الكسائي ، فدخل اليه منصورٌ النمري ، فقال له الرشيد : أنشدني . فأنشده قوله :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ ... اذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجع

فتحرّك الرشيد ، ثم أنشده حتى انتهى الى قوله :

ما كنت أوفي شبابي كُنهَ عزّته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبعُ (٥)

---

(١) العياف : الشديد الكراهة . والمزايل : المفارق .
(٢) القنابل : جمع قنبلة بفتح القاف : الطائفة من الناس والخيل .
(٣) الجلائل : العظيات .
(٤) عوذ جمع عائذ : وهو الملتجئ . البلابل : الوساوس والهواجس .
(٥) الكنه : القدر .

فطرب الرشيد، وقال أحسنت والله، وصدقتَ، لا والله لا يتهنّأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب، وأمر له بجائزة سنية.

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طَهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنانٍ البيساني، وأخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى ابن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمري، وكانوا على نبيذٍ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشربَ لأنك رافضي، وتسمع وتُصغي الى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورعٍ. فقال منصور:

صوت

خلا بين ندماني موضعُ مجلسي ولم يبقَ عندي للوصال نصيبُ
ورُدّت على الساقي تفيض وربّما رددتُ عليه الكاسَ وهي سليب [1]
وأيّ امرئ لا يستهش اذا جرت عليه بَنانٌ كفُّهنّ خضيب

الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيلٍ، مطلق في مجرى البنصر. ومن الناس من ينسبه الى مخارق، هكذا في الخبر.

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي الى منصور النمري قوله:

تقضّت لُبانات ولاح مشيبُ وأشفى على شمس النهار غروبُ
وودّعت إخوان الصِبا وتصرّمت غَواية قلبٍ كان وهو طروب [2]

---

(١) السليب: الفارغ. يعني الكأس.

(٢) تصرمت: تقطعت.

وردّت على الساقي تفيض وربّما ... رددت عليه الكاس وهي سليبُ
وممّا يهيج الشوق لي فيردّه ... خفيفٌ على أيدي القيان صخوب
عطَوْن به حتى جرى في أديمه ... أصابيغ في لبّاتهنّ وطيب [١]

فأجابه النمري وقال :

أوحشةَ ندمانيك تبكي فربّما ... تلاقيها والحلم عنك عَزوبُ [٢]
ترى خلفاً من كل نيلٍ وثروةٍ ... سماعَ قيان عودهنّ قريب [٣]
يغنيك يا بنتي فتستصحب النُهى ... وتحتازك الآفاتُ حين أغيب [٤]
وإنّ امرأً أودى السماع بلبّه ... لعُريانُ من ثوب الفلاح سليب

النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار :

أخبرني عمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر ، قال : أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضافة [٥] وعسرة ، فقال : اسمع منّي جُعلت فداك . فأنشده قصيدةً له ، يقول فيها :

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسب ... سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسبِ
تأوي المكارم من بكر الى ملكٍ ... من آل شيبان يحويهنّ من كثب
أبٌ وعمٌ وأخوالٌ مناصبهم ... في منبت النبع لا في منبت الغرَب [٦]

---

(١) عطون به : تناولنه ومددن أعناقهن . أصابيغ : جمع جمع للصبغ ، عنى به الزعفران ونحوه من الطيب ذي اللون . واللبات : مواضع النحر .

(٢) العزوب : الشديد البعد .

(٣) أي قريب المتناول .

(٤) تحتازك : تلم بك .

(٥) الاضافة : ذهاب المال والضيق .

(٦) الغرب بالتحريك : ضرب من الشجر .

إنّ أبا خالد لمـا جرى وجرت خيلُ الندى أحرزَ الأولى من القصبِ
لما تلغّبهن الجريُ قدّمـه عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب [١]
ان الذين اعترَوا بالحرّ غرّتـه كمعتري الليث في عِرّيسه الأشِب [٢]
ضرباً دِراكاً وشَدّاتٍ على عَنقٍ كأنّ إيقاعها النيران في الحطب [٣]
لا تقربنّ يزيداً عند صولتـه لكنْ اذا ما احتبى للجود فاقترب [٤]

فقال يزيد : والله ما أصبح في بيتِ مالي شيء ، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته . فجاءه بمائةِ دينارٍ وحلف أنه لا يملك يومئذٍ غيرها .

منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية الى غيره :

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر ، قال : حدثني محمـد بن علي بن حمزة العلوي ، قال : حدثني عمي عن جدي ، قال : قال لي منصور النمري : كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرٍ التغلبي ، وقد وخطني الشيب يومئذ ، وعبيد الله شابٌ حديث السن ، فاذا أنا بقصرية [٥] ظريفة قد وقفت ، فجعلت أنظر اليها وهي تنظر الى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لمّا رأيت سَوامَ الشيب منتشراً في لمّتي وعبيـد الله لم يشِبِ [٦]
سالتِ سهمينِ من عينيك فانتضلا على سبيبة ذي الأذيال والطرب [٧]

---

(١) تلغبهن : أطال الطرد . والعتق : الكرم . وغير مؤتشب : غير مختلط .
(٢) اعتروا : قصدوا . والمعتري : القاصد . والعريس : مأوى الاسد . والأشب : الشجر الملتف .
(٣) الدراك : لحاق الفرس الوحش وإتباع الشيء بعضه بعضاً . والعنق بالتحريك : سير سريع .
(٤) احتبى بالثوب : اشتمل به ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها .
(٥) القصرية : نسبة الى القصر : صفة للغانية .
(٦) السوام : عنى به الشيب المتفرّق في جوانب الرأس . واللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .
(٧) انتضلا : خرجا . والسبية : الخصلة من الشعر .

كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... الى الفروع معرّاة عن الخشب[١]
لا أنتِ أصبحت تعتدّيننا أربا ... ولا وعيشك ما أصبحتِ من أربي[٢]
إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعب[٣]
لا تحسبَنّي وإن أغضيتُ عن بصري ... غفلتُ عنك ولا عن شأنك العجب

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبان من حسب ... سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسبِ
لا تحسب الناس قد حابَوْا بني مطر ... إذ أسلِمَ الجودُ فيهم عاقد الطنب[٤]
الجود أخشنُ لمساً يا بني مطر ... من أن تَبُزَّكُمُوهُ كفُّ مستلب
ما أعرفَ الناس أن الجود مدفعةٌ ... للذمّ لكنه يأتي على النشب[٥]

قال: فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم.

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الخزنبل، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال حدثني ابن أبي رَوق الهمداني، قال:

قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيّب النفس، فرمتُ شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاص المديح عليك فامدَح ... أمير المؤمنين تجِدْ مقالا[٦]
وعُذ بفنائه وأجنحْ اليه ... تَنَلْ عُرفاً ولم تُذلِلْ سؤالا

---

(١) القاصدة: المتجهة. معراة عن الخشب: أي تحب الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السن.
(٢) تعتدينا: تعدينا.
(٣) أنضيت: أخلقت وأبليت.
(٤) الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت.
(٥) النشب: المال والعقار.
(٦) اعتاص: تعسر.

فِناءٌ لا تَزال بـه رِكابٌ وَضعن مـداخَا وحملن مالا

فقال : والله لئن قصَّرت القول لقد أطلت المعنى . وأمر لي بصلةٍ سنيَّة .

صوت

طربتَ الى الحيّ الذين تحمّلوا ببُرْقـةِ أحواذ وأنت طروبُ(١)
فبتُّ أسقّاها سُلافاً مُدامـةً لهـا في عظام الشّاربين دبيب(٢)

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي ، والغناء لعلُّوَيه ، رمـل بالوسطى ، عن الهشامي ، وفيه لسليم خفيف رملٍ ، مطلقٌ في مجرى الوسطى .

---

(١) أحواذ ، جمع حاذ : شجر تألفه بقر الوحش . برقة أحواذ : موضع .

(٢) السلاف : الخمر .

نسب عبد الله بن الحجاج واخباره

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندُب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم أبن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر . ويكنى أبا الأقرع . شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضر ذوي البأس والنّجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيدٍ على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك بن مروان عمراً خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه الى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكِراً ، واحتال عليه حتى آمنه .

وأخباره تُذكر في ذلك وغيره ها هنا .

أخبرني بخبره في تنقُّله من عسكرٍ الى عسكرٍ ، ثم استئمانه ، جماعةٌ من شيوخنا ، فذكروه متفرّقاً فابتدأت بأسانيدهم ، وجمعتُ خبره من روايتهم .

فأخبرنا الحرميّ ابن أبي العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكارٍ ، قال : حدثني الزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه ، قال : حدثني سليمان بن أبي شيخ ، قال : حدثنا يحيى بن سعيدٍ الأموي ؛ وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيّ ، قال : حدثنا محمد بن معاوية الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن كناسة ؛ وأخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني علي بن مسلِم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل ؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العبّاس ثعلبٍ ، والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ ، قالوا :

الحجاج وتسرعه الى الفتن :

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب ، وكان متسرّعاً الى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص ، فلما ظفر به عبد الملك هرب الى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِل ، ثم اندسّ الى عبد الملك فكُلِّم فيه فآمنه .

دخوله على عبد الملك بتحايل :

هذه رواية ثعلب ، وقال العنزيّ وابن أبي سعد في روايتهما :

لما قتل عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس ، فدخل حجرةً ، فقال له : ما لكَ يا هذا لا تأكل ؟ قال : لا أستحلّ أن آكل حتى تأذنَ لي . قال : إنّي قد أذنت للناس جميعاً . قال : لم أعلم فآكل بأمرك . قال : كلْ . فأكل ، وعبد الملك ينظر اليه ويعجب من فعاله ، فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرّق الناس ، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشده :

أبلغ أميرَ المؤمنين فإنّني ... مما لقيت من الحوادث موجَعُ
مُنِعَ القرار فجئت نحوك هارباً ... جيشٌ يجرُّ ومقنبٌ يتلمع [١]

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أمّ لك ، لولا أنك مُريبٌ ! فقال عبد الله :

إنّ البلاد عليّ وَهْي عريضةٌ ... وعُرَت مذاهبها وسُدّ المطلعُ

---

(١) المقنب : الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين الى الاربعين تجتمع للغارة . يتلمع : يبرق ويضيء بما فيه من لمعان السيوف والسلاح .

فقال له عبد الملك : ذلك بما كسبتْ يداك، وما الله بظلّام للعبيد . فقال عبد الله :

كنا تنحّلنـا البصائرَ مرّةً والیك إذ عمي البصائرُ نرجعُ[١]
إن الذي يعصيك منا بعدها من دينه وحياتـه متودع
آتي رضاك ولا أعود لمثلهـا وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطي نصيحتي الخليفة ناخعاً وخزامة الأنف المقود فأتبع[٢]

فقال له عبد الملك : هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك ، فإذا عُرِفت الحوبة قبلنا التوبة . فقال عبد الله :

ولقـد وطئتَ بني سعيد وطأةً وابنَ الزبـير فعرشُه متضعضعُ

فقال عبد الملك : لله الحمد والمنة على ذلك . فقال عبد الله :

ما زلتَ تضربُ مَنكباً عن منكبٍ تعلو ويسفل غـيركم ما يُرفعُ
ووطئتم في الحرب حتى أصبحوا حدثاً يكوس وغابراً يتجعجع[٣]
نخوى خلافتهم ولم يظلم بهـا القرمُ قرمُ بـني قصيٍ الأنزع[٤]
لا يستوي خاوي نجوم أفـلِ والبدر منبلجاً اذا ما يطلـع[٥]
وُضعتْ أميّـةُ واسطين لقومهم ووُضعت وسطهم فنعم الموضع[٦]
بيتٌ أبو العاصي بنـاه بربوةٍ عـالي المشارف عزُّه ما يُدفع[٧]

---

(١) تنحله وانتحله : ادّعاه لنفسه وهو لغيره .

(٢) الخزامة : حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه .

(٣) يتجعجع : يضرب بنفسه الأرض من وجع .

(٤) الأنزع : من ينحسر عنه الشعر من أعلى الجبين حتى يصعد في الرأس .

(٥) الخاوي من النجوم : الماحل الذي لا يمطر .

(٦) الواسطون : الخيار .

(٧) المشارف : الأعالي

فقال له عبد الملك : إنّ تورِيتك عن نفسك لتريبني ، فأيُّ الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال :

حَرَبَتْ أُصيبيَتي يــدٌ أرسلتها واليك بعد مَعادِهــا ما ترجعُ (١)
وأرى الذي يرجو تُراثَ محمــدٍ أفلَتْ نجومهم ونجمك يسطــع

فقال عبد الملك : ذلك جزاء أعداء الله . فقال عبد الله بن الحجاج :

فانعش أُصيبيتي الألاء كأنّهم حَجَلٌ تدرَّجُ بالشربّة جُوَّعُ (٢)

فقال عبد الملك : لا أنعشهم الله ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقى وليداً من نسلهم ، فإنهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع . فقال عبد الله :

مالٌ لهم مما يُضَنُّ جمعتــه يوم القليب فَحِيزَ عنهم أجمع (٣)

فقال له عبد الملك : لعلّك أخذتَه من غيرِ حِلِّه ، وأنفقته في غيرِ حقِّه ، وأرصدت به لمشاقّةِ (٤) أولياء الله ، وأعددته لمعاونة أعدائه ، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصية الله . فقال عبد الله :

أدنو لترحَمني وتجبر فاقتي فأراك تدفَعني فأين المــدفع (٥)

فتبسم عبد الملك ، وقال له : الى النار ، فمن أنت الآن؟ قال : أنا عبــد الله بن

---

(١) حربت : سلبت المال ولم تترك شيئاً . أصيبيتي : تصغير أصبية جمع صبي .

(٢) الحجل : ضرب من الطير ، الشربة : الأرض المعشبة لا شجر بها ، وموضع بنجد .

(٣) حيز عنهم : أبعد .

(٤) المشاقة : المعاداة والمحاربة .

(٥) فأين المدفع : أين الجهة التي تدفعني اليها لأنال منها .

الحجاج الثعلبيّ ، وقد وطئت دارك وأكلت طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف . ثم عاد الى إنشاده ، فقال :

ضاقت ثيابُ المُلبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبك أوسعُ

فنبذ عبد الملك اليه رداء كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لبستَ ! فالتحف به ، ثم قال له عبد الملك : أولى لك والله ، لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلدٍ ، وانصرف آمناً ، ثُمّ حيثُ شئتَ .

— قال اليزيدي في خبره : قال عبد الله بن الحجاج : ما زلت أتعرّف منه كل ما أكره حتى أنشدته قولي :

ضاقت ثيابُ الملبسين وفضلهم عني فألبسني فثوبُك أوسعُ

فرمى عبد الملك مُطرفه[١] ، وقال : البسه . فلبسته —

ثم قال : آكل يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل . فأكل حتى شبع ، ثم قال : أمِنتُ وربِّ الكعبة ؟ فقال : كن من شئتَ إلا عبد الله بن الحجاج . قال : فأنا والله هو ، وقد أكلتُ طعامك ، ولبست ثِيابك ، فأيّ خوفٍ عليّ بعد ذلك ؟ فأمضى له الأمان :

ونسخت من كتاب أحمد بن يحيي ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال :

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفي الشاري ، فلما انقضى أمرُه هرب ، وضاقت عليه الأرض من شدّة الطلب ، فقال في ذلك :

رأيتَ بلاد الله وهْيَ عريضةٌ على الخائف المطرود كِفّةَ حابل[٢]

(١) المطرف بضم الأوّل وكسره : رداء من خز مربع ذو اعلام .
(٢) الكفة للصائد : حبالته ، وهي المصيدة بكسر الميم وسكون الصاد .

تؤدّي اليه أن كل ثنيّـة تيمّمها ترمي اليـه بقاتل [١]

قال : ثم لجأ الى أُحيح بن خالد بن عُقبة بن أبي معيطٍ ، فسعى به الى الوليد بن عبد الملك ، فبعث اليه بالشُرَط ، فأُخذ من دار أُحيح ، فأُتي به الوليد فحبسه ، فقال وهو في الحبس :

أقول وذاك فرط الشوق مني لعيني إذ نأت ظمياء فيضي [٢]
فـما للقلب صبرٌ يوم بانت وما للدمع يُسفح من مَغيض
كأن معتَّقاً من أذرِعـات بماء سحابة خَصِرٍ فضيض [٣]
بفيها ، إذ تخافتني حيـاء بسرٍ لا تبوح بـه خفيض

يقول فيها :

فإن يُعرض أبو العباس عنّي ويركب بي عروضاً عن عروضِ
ويجعـل عُرفه يوماً لغيري ويبغضني فإنّي مِن بغيض
فإني ذو غنًى وكريمُ قومٍ وفي الأكفاء ذو وجهٍ عريض
غلبتَ بني أبي العاصي سماحاً وفي الحرب المذكَّرة العضوض [٤]
خرجتَ عليهم في كلّ يومٍ خروج القِدح من كفّ المُفيض [٥]
فدًى لك مَن اذا ما جئت يوماً تلقّاني بجامعـة رَبوض [٦]

(١) تؤدي إليه : تحيل إليه . والثنية : الطريق الصعبة .

(٢) ظمياء : اسم امرأة . والظمياء من الشفاه : الذابلة في سمرة ، ومن العيون : الرقيقة الجفن .

(٣) المعتق : الشراب عتـق زماناً . اذرعات : بلدة بالشام مشهورة بالخمر . والخصر : البارد ، والفضيض : المنتشر .

(٤) المذكرة العضوض : الشديدة .

(٥) المفيض : الذي يضرب بقداح الميسر ليظهر الفائز وغير الفائز .

(٦) الجامعة : الغلّ . الربوض : الضخمة الثقيلة .

على جنب الُخوان وذاك لؤمٌ   وبئست تحفة الشيخ المريض[١]
كأني إذ فزعتُ الى أحيح   فزعتُ الى مُقَوقيةٍ بَيوض[٢]
إوزة غَيضةٍ لقحت كشافاً   لقُحقحها اذا درجت نقيض[٣]

قال : فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك ، فقال يا أمير المؤمنين : إنّ عبد الله بن الحجاج قد هجاك . قال : بماذا ؟ فأنشده قوله :

فإن يُعرضْ أبو العباس عنّي   ويركب بي عروضاً عن عروضِ
ويجعل عُرفه يوماً لغيري   ويُبغضني فإني من بغيض

فقال الوليد : وأيُّ هجاء هذا ! هو من بغيض إن أعرضتُ عنه ، أو أقبلت عليه ، أو أبغضته ، ثم ماذا ؟ فأنشده :

كأني إذ فزعتُ الى أحيح   فزعت الى مُقوقية بيوضِ

فضحك الوليد ، ثم قال : ما أراه هجا غيرك . فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج ، فأُطلق . وكان الوليد اذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه .

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمرُ بن شبَّة ، قال : حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة . وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي ، قال : حدثني غيرِ واحدٍ ، منهم عبد الرحمن بن محمدٍ الطلحيّ ، قال : حدثني أحمد بن معاوية ، قال : سمعت أبا علقمة الثقفيّ يحدث . قال أبو زيدٍ[٤] : وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر ، وقد ألَّفت ذلك ، قال :

---

(١) التحفة : ما أتحفت به الرجل من طعام ونحوه .

(٢) المقوقية : المصوتة .

(٣) الكشاف : أن تلقح حين تبيض . والقحقح بضم القافين : العظم المطيف بالدبر . والنقيض : الصوت .

(٤) ابو زيد : كنية عمر بن شبة .

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين :

كان كثيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصَّة بن يزيد بن شدّاد بن قنان ابن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعبٍ ، على ثغر الرَّيّ ، ولّاه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة ، وكان عبد الله بن الحجاج معه ، فأغار الناس على الدّيلم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلًا منهم ، فأخذ سلبه ، فانتزعه منه كثير ، وأمر بضربه ، فضرب مائة سوطٍ ، وحبس فقال عبد الله في ذلك ، وهو محبوس :

تسائلُ سلمى عن أبيها صحابه ... وقد علِقته من كثيرٍ حبائلُ (١)
فـلا تسألي عني الرفاقَ فإنّه ... بأبهر لا غازٍ ولا هو قافـل (٢)
ألستُ ضربت الدّيلمي أمامهم ... فجدّلته فيـه سنانٌ وعامل (٣)

فمكث في الحبس مدةً ، ثم أخليَ سبيله ، فقال :

سأترك ثغر الرَّيّ ما كنت واليا ... عليـه لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أدرك بثأري وأتـئر ... فلا تدعني للصِيد من غطفـان (٤)
تمنّيتني يا بنَ الحصين سفاهـةً ... ومالك لي يا بنَ الحصين يـدان
فإني زعيمٌ أن أجلّـل عاجلًا ... بسيفي كفاحًا هامـة ابن قنان

قال : فلما عزِل كثيرٌ وقدم الكوفة كمَنَ له عبد الله بن الحجاج في سوق التّمارين — وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة — وكان

(١) الحبائل ، جمع حبالة : المصيدة .

(٢) أبهر : مدينة بين قزوين وزنجان .

(٣) جدلته : صرعته . والعامل من الرمح : صدره .

(٤) اتئر : أدرك ثأري . والصيد ، جمع أصيد : وهو الملك .

كثير يخرج من منزله الى القصر يحدّث المغيرة ، فخرج يوماً من داره الى المغيرة يحدّثه فأطال ، وخرج من عنده مُمسياً يريد داره ، فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتّم مقاديم أسنانه كلّها ، وقال في ذلك :

مَن مُبلغٌ قَيساً وخندفَ أنني ضربتُ كثيراً مضربَ الظَّربانِ[1]
فأُقسمُ لا تنفكُّ ضربةُ وجهه تُـذِلُ وتُخزِي الدّهرَ كلَّ يمانِ
فإن تلقني تلقَ امرأً قد لقيته سريعاً الى الهيجاء غير جبانِ
وتلقَ امرأً لم تلقَ أُمُّك برَّه على سابحٍ غَوجِ اللَّبانِ حِصانِ[2]
وحوليَ مِن قيسٍ وخندفَ عصبةٌ كِرامٌ على البأساء والحدثانِ
وإن تكُ للسِّنخِ الذي غَصَّ بالحصى فإني لَقَرمٍ يا كثيرُ هِجانِ[3]
أنا ابنُ بني قيس عليَّ تعطفت بغيضُ بنُ ريثٍ بعد آل دجانِ

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيساً وخندف أنني أدركت مَظلمتي من ابن شهابِ
أدركته أجري على محبوكةٍ سُرُحِ الجراء طويلةِ الأقرابِ[4]
جرداء سُرحوبٍ كأنَّ هُويّها تعلو بجؤجئها هُوِيُّ عُقابِ[5]

(١) الظربان : دويبة كالهرة نتنة الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يبلى .

(٢) غوج بالغين المعجمة . واللبان كسحاب : أي واسع جلد الصدر . والحصان بالكسر : الفرس الذكر أو الكريم المضنون بمائه .

(٣) السنخ : الأصل . والقرم : السيد الشجاع . والهجان : الرجل الحسيب .

(٤) المحبوكة : الفرس القوية . والسرح : المنسرحة في سيرهـا السريعة . والجراء : الجري . والأقراب : جمع قرب بالضم أو بضمتين : الخاصرة .

(٥) الجرداء : قصيرة الشعر . السرحوب : الفرس الطويلة ، توصف به الإناث دون الذكور . هويها ، يعني به سرعتها . والجؤجؤ : مقدم الصدر .

خُضتُ الظلام وقد بدت لي عورةٌ ... منه فأضربه على الأنيابِ
فتركتُه يكبو لفيه وأنفه ... ذَهِلَ الجنان مضرَّجَ الأثواب [١]
هلا خشيتَ وأنت عادٍ ظالمٌ ... بقصور أبهرَ نصرتي وعقابي
إذ تستحلُّ ، وكان ذاك محرّماً ، ... جَلدي وتنزعُ ظالماً أثوابي
ما ضرّه والحرُّ يطلب وتره ... بأشمَّ لا رعشٍ ولا قبقابِ [٢]

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج:

قال : فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة الى معاوية : إن سيدنا ضربه خسيسٌ من غطفان ، فإن رأيتَ أن تُقيدَنا [٣] من أسماء بن خارجة . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء . وحبس عبد الله ابن الحجاج ، وكتب اليهم : «إن القود ممن لم يجنِ محظورٌ ، والجانيَ محبوسٌ ، حبسته فليقتصَّ منه المجنيُّ عليه» . فقال كثير بن شهابٍ : لا استقيدها إلّا من سيدِ مضر . فبلغ قوله معاوية فغضب وقال : أنا سيّد مضرَ فليستقدها مِني ، وأمّن عبد الله بن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابنِ شهاب ، فلم يقتصَّ ولا أخذ له عقلًا .

قال أبو زيد : وقال خلّادٌ الأرقط في حديثه :

إن عبد الله بن الحجّاج لمّا ضربه بالعمود ، قال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالريّ ، وقد قابلتك بما فعلت بي ، ولم أكن لأُكتمك نفسي ، وأقسم بالله لئن طالبتَ فيها بقودٍ لأُقتلنّك . فقال له : أنا أقتصُّ من مثلك ، والله لا

---

(١) يكبو : ينكب لوجهه .

(٢) الأشم : ذو الأنفة . الرعش : المضطرب . والقبقاب : الكذاب أو الهذار .

(٣) تقيدنا : أقاد القاتل بالقتيل : قتله ، ومعناه هنا القصاص .

أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة ! وتكلمت اليانية وتحارب الناس بالكوفة، فكتب معاوية الى المغيرة : أن أحضر كثيراً وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتصَّ كثير أو يعفوَ . فأحضرهما المغيرة، فقال : قد عفوت ؟ وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . قال : وقال لي : يا أبا الأقيرع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوت عنك .

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال :

كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما : عُوَين، والثاني جُندَب، فمات جندب وعبد الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة، فمرّ أخوه عوين بحرّاثٍ الى جانب قبرِ جندب، فنهاه أن يقربه بفدّانه، وحذّره ذلك، فلما كان الغدُ وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه[1] . وقال :

أقول لحرّاثي حريمي جنّبا فدانَيكما لا تحرثا قبرَ جندبِ
فإنكما إن تحرثاه تشرّدا ويذهبْ فَدانٌ منكما كلَّ مذهب

قال : فأخذ عوين، فاعتقله السجّان، فضربه حتى شغله بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه الى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه، وأمر بألّا يُتعقَّب، فقال عبد الله ابن الحجاج، يذكر ما كان من ابنه عوين :

لمثلك يا عوينُ فدتـك نفسي نجا من كُربـةٍ إن كان ناجي
عرفتك من مُصاص السِّنخ لمـا تركت ابن العكامس في العجاج[2]

قال : ولما وفد عبد الله بن الحجاج الى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثل بين يديه، فأنشده :

---

(١) الفدان : الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث .

(٢) مصاص السنخ ، يقال فلان مصاص قومه ، إذا كان أخلصهم نسباً . والسنخ : الأصل .

يابن أبي العاصي ويا خيرَ فتى أنت النجيب والخيارُ المصطفى
أنت الذي لم تدعِ الأمرَ سُدَى حين كشفتَ الظلماتِ بالهدى
ما زلتَ إن نازٍ على الأمر انتزى قضيته إن القضاء قد مضى[1]
كما أذقتَ ابن سعيدٍ إذ عصى وابنَ الزبير إذ تسمّى وطغى
وأنتَ إن عُدَّ قديم وبنى من عبد شمس في الشماريخ العلى[2]
جيبت قريشٌ عنكم جوب الرّحى هل أنت عافٍ عن طريد قد غوى
أهوى على مَهواة بئرٍ فهوى رمى به جُولٌ الى جول الرجا[3]
فتجبر اليوم به شيخاً ذوى يعوي من الذئب اذا الذئب عوى
وإن أراد النوم لم يَقضِ الكرى من هَول ما لاقى وأهوال الردى
يشكر ذاك ما نفت عينٌ قذى نفسي وآبائي لك اليوم الفدا

فأمر عبد الملك بتحمّل ما يلزم ابنه مِن غُرْم وعَقل، وآمنه.

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال:

وفد عبد الله بن الحجاج الى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صِلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل. فلما طال مقامه اشتاق الى الكوفة والى أهله، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز الى أخيه بشرٍ أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضرّ به ذلك الى عبد العزيز، وقال يمدحه:

---

(١) النازي: المتوثب. ويقال قضى عليه وقضاه، أي أهلكه.

(٢) البنى: ما بنيته. والشماريخ مفرده شمراخ، وهي رؤوس الجبال.

(٣) الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.

تركت ابن ليلى ضَلّةً وحريمه ... وعند ابن ليلى معقِل ومُعوَّل[١]
ألم يهدِني أنَّ المُراغم واسع ... وأنَّ الديار بالمقيم تنقَّل[٢]
سأحكم أمري إن بدا لي رشدُه ... وأختار أهل الخير إن كنتُ أعقل
وأترك أوطاري والحقُ بامرئٍ ... تحلَّبُ كفاه الندى حين يسأل[٣]
أبت لك يا عبد العزيز مآثرٌ ... وَجريٌ شأى جري الجياد وأوَّل[٤]
أبى لك إذ أكدَوا وقلَّ عطاؤهم ... مواهبُ فيَّاض ومجدٌ مؤثَّل[٥]
أبوك الذي ينميك مروان للعلى ... وسعد الفتى بالخال لا من يخوَّل[٦]

فقال له عبد العزيز : أمّا إذ عرفت موضع خطئك ، واعترفتَ به فقد صفحتُ عنك . وأمر باطلاق عطائه ، ووصله ، وقال له : أقِم ما شئت عندنا ، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت .

ونسخت من كتابه أيضاً :

عبد الله بن الحجاج يعاون قومه على عمر بن هبيرة :

كان عمر بن هبيرة بن معيّة بن سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقّاً له ، واستعان عليه بقومه ، فلقوه في بعلبك، فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه ، وفرّقوه[٧] بالسياط حتى انتزعوا حقّه منه ، فقال عبد الله في ذلك :

---

(١) المعوّل : ما يعوّل عليه ويعتمد .
(٢) المراغم : المهرب والمتسع .
(٣) الأوطار : الحاجات .
(٤) شأى : سبق .
(٥) أكدوا : قل خيرهم وعطاؤهم .
(٦) الخال : أخو الأم . ويخول : يدعي أنه خال وليس به .
(٧) التفريق : التخويف .

ألا أبلغ بني سعدٍ رسولاً ودونهم بُسَيطة فالمعاطُ[١]
أميطوا عنكم ضرط ابن ضرطٍ فإنَّ الخبثَ مثلهم يُماط[٢]
ولي حقٌ فراطة أوّلينا قديماً والحقوق لها افتراط[٣]
فما زالت مباسطتي ومجدي وما زال التهايط والمياط[٤]
وجدّي بالسياط عليك حتى تُركت وفي ذُنابك انبساط[٥]
متى ما تعترضْ يوماً لحيّ تلاقِك دونه سُعرٌ سباط[٦]
من الحيَّينِ ثعلبة بن سعدٍ ومرّةَ أخذُ جمعهم اعتباط[٧]
تراهم في البيوت وهم كسالى وفي الهيجا اذا هيجوا نِشاط

والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها :

نأتك ولم تخشَ الفراق جَنوبُ وشطّت نوًى بالظاعنين شَعوبُ[٨]
طربتَ الى الحيّ الذين تحمّلوا ببُرْقةِ أحوازٍ وأنت طروب
فظلتُ كأنّي ساورتني مُدامةٌ تمّى بها شكسُ الطِباع أريب[٩]
تمرٌ وتستحلي على ذاك شَربُها لوجه أخيها في الاناء قطوبُ

(١) بسيطة : أرض في البادية بين الشام والعراق ، سلكها ابو الطيب المتنبي لما هرب من مصر . والمعاط : لعله مكان .

(٢) يماط : يكشف .

(٣) الفراطة : السابقة . لها افتراط : يخاف فوتها .

(٤) التهايط والمياط ضدان ، وهما الدنوّ والتباعد .

(٥) الذنابى : الذنب .

(٦) السعر جمع أسعر : القليل اللحم الظاهر العصب . والسباط : الطوال .

(٧) الاعتباط : إلقاء النفس في الحروب غير مكره .

(٨) شعوب : مفرقة .

(٩) ساورتني : أخذت برأيي . والشكس : الصعب الخلق .

كميت اذا صبت وفي الكأس وردة ... لها في عظام الشاربين دبيب[١]
تذكرت ذكرى من جنوبَ مصيبة ... ومالك من ذكرى جنوب نصيب
وأنّى ترجّي الوصلَ منها وقد نأت ... وتبخلُ بالموجود وَهْي قريب
فما فوقَ وجدي إذ نأتْ وجد واجدٍ ... من الناس لو كانت بذاك تثيب[٢]
برهرهةٌ خَود كأنّ ثيابها ... على الشمس تبدو تارةً وتغيب[٣]

وهي قصيدةٌ طويلة:

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال:

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يُعرّفه آثار عبد الله بن الحجاج، وبلاءه من محاربته، وأنه بلغه أنه أمّنه، ويحرّضه ويسأله أن يوفده اليه ليتولّى قتله، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج، فجاء حتى وقف بين يدَيْ عبد الملك، ثم أنشده:

أعوذ بثوبَيك اللذَين ارتداهما ... كريمُ الثنا من جَيبه المسكُ ينفحُ[٤]
فإن كنتُ مأكولًا فكن أنتَ آكلي ... وإن كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

فقال عبد الملك: ما صنعتَ شيئاً. فقال عبد الله:

لأنتَ وخيرُ الظافرين كرامُهم ... عن المذنب الخاشي العقاب صَفوحُ
ولو زلقتْ من قبلِ عفوك نعله ... ترامى به دَحض المقام بريح[٥]

---

(١) الكميت: الذي خالط حمرتها سواد. والوردة. الحمراء.

(٢) الواجد بالجيم: المشوق.

(٣) البرهرهة: المرأة البيضاء الشابة والناعمة. والخود بالفتح: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة.

(٤) الثناء: ما اثنيت به على المرء من مدح أو ذم.

(٥) الدحض بفتح الدال وسكون الحاء، وفي الاصول بالراء. البريح: المتعب.

نمى بك إن خانت رجالًا عُرُوقهم أرومٌ ودينٌ لم يَخُنكَ صحيحُ (١)
وعُرفٌ سرى لم يَسرِ في الناس مثله وشأوٌ على شأو الرجال مَتوحُ (٢)
تداركني عفوُ ابن مروان بعدما جرى لي من بعد الحياة سنيحُ (٣)
رفعتُ مريحاً ناظريَّ ولم أكد من الهمّ والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك الى الحجاج : إني قد عرفت من خُبث عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علماً به ، إلا أنه اغتفلني متنكِراً ، فدخل داري ، وتحرّم بطعامي ، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي ، وأعاذني فأعذته ، وفي دون هذا ما حظر عليّ دمه ، وعبد الله أقلُّ وأذلُّ من أن يوقع أمراً ، أو ينكثَ عهداً في قتله خوفاً من شرّه ، فإن شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه ، وإن كفر ما أُتيَ وشاقّ الله ورسوله وأولياءه فالله قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه ، من الملحدين ، فلا تعرِض له ولا لأحدٍ من أهل بيته إلا بخيرٍ ، والسلام .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا الخزنبل عن عمرِو بن أبي عمرو الشيباني ، قال :

كانت في القريتين (٤) بركةٌ من ماء ، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دعكنة ، لا يدخل البركة معه أحدٌ إلا غطّهُ (٥) حتى يغلبه ، فغطّ يوماً فيها رجلاً من قيسٍ بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هارباً ، فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ : اللهم اصببْ علينا أبا الأُقيرع عبد الله بن الحجاج . فكان أوّل رجلٍ

(١) الاروم : الاصل .

(٢) الشأو : السبق والغاية . والمتوح : البعيد .

(٣) السنيح : السانح . وكانت العرب إذا جرت الطير من شمال الإنسان إلى يمينه تفاءلوا ويسمى بالسانح ، فإذا مر من الميامن إلى المياسر تشاءموا ويسمى بالبارح .

(٤) القريتان : قرية بحمص .

(٥) غطه : غطسه .

انحدرت به راحلته ، فأناخها ونزل ، فقال ابن هبيرة للوليد : هذا أبا الأقيرع والله يا أمير المؤمنين ، أيهما أخزى الله صاحبه به . فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرّضٌ للناس وقد صدّوا عنه . فقال له : يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله ، أو أقتله فلا ترضى قومُه إلّا بمثل ذلك ، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال . فقال دعكنة : يا أمير المؤمنين هو في حلّ وأنا في حلّ . فقال له الوليد : دونك . فتكأكأ[1] ساعةً كالكاره حتى عزم عليه الوليد ، فدخل البركة ، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به الى قعرها ، ولزمه حتى وجد الموت ، ثم خلّى عنه ، فلما غطَّه غطَّةً ثانية ، وقام عليه ثم أطلقه حتى تروّح ، ثم أعاده وأمسكه حتى مات ، وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبيُّ فغضب الوليد وهمّ به ، فكلّمه يزيد وقال : أنت أكرهته ، أفكان يُمكّن الكلبيَّ من نفسه حتى يقتله ؟ فكف عنه . فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك :

نجّاني اللهُ فرداً لا شريك له ... بالقريتين ونفسٌ صُلبةُ العودِ
وذِمّة مِن يزيدٍ حالَ جانبها ... دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهود
لولا الإله وصبري في مغاطستي ... كان السليم وكنت الهالك المودي

صوت

يا حبّذا عملُ الشيطان من عملٍ ... إن كان من عمل الشيطان حُبّيها[2]
لنظرةٌ من سليمى اليومَ واحدةٌ ... أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

الشعر لناهض بن ثُومة الكلابي ، أنشدنيه هاشم بن محمدٍ الخزاعي ، قال : أنشدنا الرياشيّ قال : أنشدنا ناهضُ بن ثومة أبو العطاف الكلابي هذين البيتين لنفسه . وأخبرني بمثل ذلك عمي عن الكراني عن الرياشي . والغناء لأبي العبيس ابن حمدون ثقيلٌ أول يُنشد بالوسطى .

---

(١) تكأكأ : نكص وجبن .

(٢) حبيها : أي حبي إياها .

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهضُ بن ثُومة بن نصيح بن نَهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يَقدَم البصرة فيُكتَبُ عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ يقال له: نافعُ بن أشعر الحارثيّ، فأثرى عليه[1] ناهض. فما قاله في جواب قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ، قصيدةُ ناهضٍ التي أوّلها:

ألا يا اسلما يا أيّها الطللانِ وهل سالمٌ باقٍ على الحدَثانِ
أبينا لنا، حُيّيتُما اليومَ، إننا مبينان عن مَيلٍ بما تسلان
متى العهدُ من سلمى التي بتَّت القُوى وأسماء إن العهد منذ زمان[2]
ولا زال ينهلّ الغمام عليكما سبيلَ الرّبى من وابلٍ ودِجان[3]
فإن أنتما بيّنتما أو أجبتما فلا زلتما بالنبتِ ترتديان
وجُرّ الحريرُ والفرندُ عليكما بأذيال رخصاتِ الأكفِّ هجان[4]

---

(١) فأثرى عليه: كان أكثر منه.

(٢) بتت: قطعت.

(٣) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. والدجان: الامطار الكثيرة.

(٤) الفرند: ضرب من الثياب. والهجان: البيض.

نظرت ودوني قِيدُ رمحين نظرةً بعينين إنساناهما غرقان [1]
إلى ظُعُنٍ بالعاقرين كأنها قرائنُ من دوح الكثيب ثمان [2]
لسلمى وأسماء اللتين أكنّتا بقلبي كنينيْ لوعةٍ وضمان [3]
عسى يُعقبُ الهجرُ الطويل تدانيا ويا ربَّ هجرٍ معقبٍ بتداني
خليليَّ قد أكثرتما اللومَ فاربعا كفانيَ ما بي لو تُركتُ كفاني [4]
إذا لم تصل سلمى وأسماء في الصِبا بحبليهما حَبلي فمن تصلان
فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ومَعواه من نجران حيث عواني [5]
عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه مقيماً بلوذيْ يَذبُلٍ وذقان [6]
لعمري لقد قال ابن أشعر نافعٌ مقالة موطوء الحريم مهان [7]
أيزعم أنّ العامريّ لفعله بعاقبةٍ يُرمى به الرجوان [8]
ويذكر إن لاقاه زلّةَ نعله فجيءْ للذي لم يستبن ببيان
كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ فدَع ما تمنّى زلّت القدمان
أصيب فلم يُعقل وطُلّ فلم يُقَد فذاك الذي يجرى به الأبوان [9]

---

(١) القيد بكسر القاف : القدر والمقدار .

(٢) الظعن بضم الاول والثاني جمع ظعينة وهي : الهودج فيه امرأة أم لا ، وهي أيضاً المرأة ما دامت في الهودج . والعاقرين بفتح الراء : أرضان في وادي العقيق متكافئتان ، ويحيطان بقرية لبني اسد . والقرائن : المتماثلات المتكافئات . والدوح : الشجر . والكثيب : الرمل .

(٣) كنيني : مثنى كنين ، أي مكنون .

(٤) اربعا : أمسكا وتوقفا .

(٥) معواه : صوته .

(٦) اللوذ : جانب الجبل وما يطيف به . ويذبل وذقان : جبلان .

(٧) الموطوء : المداس المحتقر .

(٨) الرجوان ، يقال رمى به الرجوان أي استهين به استهزاء وطرح في المهالك . والرجا : الناحية .

(٩) لم يعقل : لم تؤد ديته . والطل : هدر الدم . لم يقد : يقال أقاد القاتل بالقتيل أي قتله به .

وحقٌّ لمن كان ابن أشعر ثائراً   به الطلُّ حتى يحشر الثقلانِ
ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمى يسومُه   بنو عامرٍ ضَيماً بكل مكان
فلم يبق إلّا قوله بلسانه   وما ضرّ قولٌ كاذبٌ بلسان
هجا نافعٌ كعباً ليدرك وِتره   ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوان
ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه   قوارعُ منها وُضّحٌ وقوان [١]
وقد خضَّبوا وجهَ ابنِ علبة جعفرٍ   خضاب نجيع لا خضاب دهان [٢]
فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ   بسيف ولم يطعنهم بسنان
فما لك مُهجّى يا ابن أشعر فاكتعم   على حجر واصبر لكل هوان
اذا المرء لم ينهض فيثأر بعمّه   فليس يُجلّى العارُ بالهذيان
أبي قيسُ عيلانٍ وعمّيَ خندفٌ   ذَوا البذخِ عند الفخر والخطران [٣]
اذا ما تجمّعنا وسارت حذاءنا   ربيعة لم يُعدَل بنا أخوان
أليس نبيُّ الله منّا محمدٍ   وحمزة والعباس والعمران
ومنا ابن عباسٍ ومنا ابن عمه   عليٌّ إمامُ الحق والحسنان
وعثمان والصِّدّيقُ منا وإننا   لنعلم أن الحقّ ما يَعدان
ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم   هَلمّوه أولا ينطقنّ عمان

قال : فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار ، فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري : أخرسنا أخرسه الله !

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً ، وهو الذي يقول :

ألا مَن لقلبٍ في الحجاز قسيمه   ومنه بأكنافِ الحجاز قسيمُ

---

(١) القوارع : الاصابات . الوضح : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تبدي وضح العظم . والقواني : الشديد الحمرة .

(٢) النجيع : دم الجوف .

(٣) الخطران : أن يرفع الانسان رمحه وسيفه مرة ثم يضعها أخرى .

معاودِ شكوى أن نأت أمُّ سالمٍ كما يشتكي جُنحَ الظلام سليمُ[١]
سليمُ لِصِلٍّ أسلمته لما بـه رُقًى قلَّ عنه دفعهـا وتميمُ[٢]
فلم تَرِمِ الدار البريصاء فالصفـا صَفاها فخَلّاهـا فأين تريمُ[٣]
وقفتُ عليهـا بازِلًا ناهجيَّةً اذا لم أزُعهـا بالزمام تعومُ
كنازاً من اللاتي كأنَّ عظامها جُبِرْنَ عـلى كسر فهنَّ عثومُ[٤]

الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض :

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولدِ قُثَم بن جعفر بن سليمان عن أبيه ، قال :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدّي قثم فيمدحه ، ويصله جدّي وغيره ، وكان بدوياً جافياً كأنّه من الوحش ، وكان طيّب الحديث ، فحدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه ، وكان بَرّاً به ، قال : فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي ، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً[٥] قد ضمّ بعضها الى بعض ، واذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ تحكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحد العيدَين : الأضحى او الفطر . ثم ثاب إليّ ما عزَب عن عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى ؟

---

(١) السليم : اللديغ .

(٢) الصل : الحية . الرق : التعاويذ . والتميم : جمع تميمة .

(٣) الخل بالفتح : الطريق النافذ في الرمل . وتريم : تفارق .

(٤) كناز : كثيرة اللحم صلبته . والعثوم : المنجبرة على غير استواء .

(٥) الخصاص : البيوت من القصب ، جمع خص .

فبينا أنا واقفٌ متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قَوراء[١] ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِد في وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شابٌ ينال فروع شعره مَنكبيه ، والناس حوله سِماطان[٢] ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجلٌ يدي ، وقال : اجلس فإن هذا ليس بأمير . قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثكلَ أمّاه ، لربّ عروسٍ رأيته بالبادية أهون على أهله من هَنِ أمه[٣] . فلم أنشبْ[٤] أن دخل رجالٌ يحملون هَناتٍ[٥] مدوّراتٍ ، أمّا ما خفّ منها فيحمل حملاً ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثم أُتينا بخرقٍ بيضٍ فأُلقيَتْ بين أيدينا ، فظننتها ثياباً ، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرَقاً أقطِّعها قمصاً ، وذلك أني رأيت نسجاً مُتلاحماً لا يبين له سدًى ولا لحمة ، فلما بسطه القوم بين أيديهم اذا هو يتمزّق سريعاً ، واذا هو — فيما زعموا — صِنفٌ من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ ، وحار وباردٍ ؛ فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التَّخم والبشم ؛ ثم أُتينا بشرابٍ أحمر في عِساس[٦] ، فقلت : لا حاجة لي فيه ، فإني أخاف أن يقتلني .

وكان الى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام ، وإن شربت الماء هَمى[٧]

(١) القوراء : الواسعة .

(٢) السماطان : الصفان .

(٣) الهن : الفرج .

(٤) فلم أنشب ، يقال ما نشبت أفعل كذا أي ما زلت .

(٥) هنات : أشياء ، جمع هنة .

(٦) عساس بكسر العين جمع عس بالضم : هي القداح الكبيرة .

(٧) همى بطنه : أي انطلق .

بطنك . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي ، قالوا : لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف[1] فأوص . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه ، فتداخاني من ذلك صلف لا أعرفه من نفسي ، وبكاء لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله ، واقتدار على أمري أظن معه أني لو أردت نيل السقف لبلغته ، ولو ساورت[2] الأسد لقتلته ، وجعلت ألتفت الى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم أسنانه وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أقول له : يابن الزانية ! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة ، أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية مشنجة[3] الطرفين دقيقة الوسط ، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً ؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه هنة سوداء كفيشلة الحمار[4] ، فوضعها في فيه ، وضرط ضراطاً لم أسمع — وبيت الله — أعجب منه ، فاستتم بها أمرهم ، ثم حرك أصابعه على أجحرة فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكلاً بعضه لبعض ، كأنه ، علم الله ، ينطق . ثم بدا ثالث كز[5] مقيت عليه قميص وسخ ، معه مرآتان ، فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان ، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان[6] لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم التبط[7] به على

(١) اختلف : أصابه إسهال .

(٢) ساورت الاسد : واثبته .

(٣) المشنجة : المتقبضة .

(٤) الفيشلة : الحشفة ورأس كل مدور .

(٥) الكز : الجهم المتقبض . والمقيت : الممقوت .

(٦) الاجذمان : من قولهم « أجذم » ، أي مقطوع اليد .

(٧) التبط به ، المعروف « لبط به » أي صرع .

الارض ، فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه[١] بالدراهم حذفاً منكراً .

ثم أرسل النساء الينا : أن أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهنّ من بعدٍ ، وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه له[٢] ، فعلتِ الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرها ، فيها خيوطٌ أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت – وربِّ الكعبة – واذا هي أحسن قينةٍ[٣] رأيتها قط[٤] ، وغنى عليها ، فأطربني حتى استخفني من مجلسي ، فوثبتُ فجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ، ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَت إلا قريباً . فقال : هذا البربط[٤] ؟ فقلت : بأبي أنت وأمي ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير[٥] . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المَثنى[٦] . قلت : فالثالث ؟ قال : المَثلث[٧] . قلت : فالأعلى ؟ قال : البم[٨] . قلت : آمنت بالله أوّلا ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال : فضحك أبي ، والله ، حتى سقط ، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكه ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ، ويُطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه .

---

(١) يحذفونه : يرمونه .

(٢) لا آبه له : لا أفطن أو نسيته ثم فطنت له .

(٣) القينة : المغنية .

(٤) البربط : العود .

(٥) الزير : أدق أوتار العود .

(٦) المثنى : من أوتار العود بعد الاول .

(٧) المثلث : من أوتار العود .

(٨) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عليّ بن محمد النوفلي ، عن أبيه ، قال : كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب ، فأتاه أعرابيٌّ ، فقال له : حدّث أبا عبد الله – يعني الهيثم بن النّخعي – بما رأيت في حاضر المسلمين . فحدثه بنحوٍ من هذا الحديث ، ولم يُسمّ الأعرابيَّ باسمه ، وما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي حدّث به النوفلي عنه .

الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله :

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعرُ ناهض بن ثومة قال : كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّج امرأةً من بني كلاب ، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجلُ من زوجته فطلّقها ، وأقام بموضعه في بني كلاب ، وكانوا لا يزالون يستخفّون به ويظلمونه ، وإن رجلًا منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها ، فزاحمته ، لكنها ألقته على ظهره فتكشّف ، فقام مُغضباً بسيفه الى إبل الكعبي ، فعقر منها عدةً ، وجلاها عن الحوض ، ومضى الكعبيّ مستصرخاً بني كلابٍ على الرجل ، فلم يُصرخوه ، فساق باقيَ إبله واحتمل بأهله حتى رجع الى عشيرته ، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم ، فغضبوا له ، وركبوا معه حتى أتوا حلّة بني كلاب ، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم ، ومضى الرجل فجمع عشيرته ، وتداعت هي وكعبٌ للقتال ، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً ، وتمادى الشرّ بينهم ، حتى تساعى حلماؤهم في القضية ، فأصلحوها على أن يُعقل القتلى والجرحى ، وتُردّ الإبل ، وتُرسل من العاقر عدة الابل التي عقرها للكعبي ، فتراضوا بذلك واصطلحوا ، وعادوا الى الإلفة ، فقال في ذلك ناهض ابنُ ثومةَ :

أمِن طلل بأخطب أبدتـه نجاء الوبـل والدِّيَمُ النِّضاحُ [١]

---

(١) أخطب : اسم جبل بنجد . وأبدته . أوحشته . نجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي قد هراق ماءه . والديم : جمع ديمة . والنضاح : التي تنضح بالماء .

وَمَرُّ الدهر يوماً بعد يوم ... فما أبقى المساء ولا الصباحُ
فكل محلَّة غنيت بسلمى ... لريدات الرياح بها نُواح [1]
تطلّ على الجفون الحزن حتى ... دموع العين ناكزةٌ نزاح [2]

وهي طويلةٌ يقول فيها :

هنيئاً للعدى سخطٌ ورَغمٌ ... وللفرَعين بينهما اصطلاحُ
وللعين الرقادُ فقد أطالت ... مساهرةً وللقلب انتجاح
وقد قال العداةُ نرى كلاباً ... وكعباً بين صلحهما افتتاح
تداعَوا للسلام وأمرِ نُجح ... وخير الأمر ما فيه النجاح
ومدّوا بينهم بحبال مجدٍ ... وثدي لا أَجدُّ ولا ضياح [3]
ألم ترَ أنَّ جمع القوم يُخشى ... وأن حريم واحدهم مباح
وأن القِدح حين يكون فرداً ... فيهصر لا يكون له اقتداح [4]
وإنك إن قبضت بها جميعاً ... أبت ما سُمت واحدها القداح
أنا الخطَّار دون بني كلاب ... وكعبٍ إن أُتيح لهم مُتاح [5]
أنا الحامي لهم ولكل قرمٍ ... أخٌ حامٍ اذا جد النِضاح [6]
أنا الليث الذي لا يزدهيه ... عُواء العاويات ولا النُّباح
سل الشعراء عني هل أقرت ... بقلبي أو عفت لهم الجراح [7]

---

(١) غنيت : عمرت . الريدات : جمع ريدة ، وهي الريح الكثيرة الهبوب .

(٢) تطل : أراد أنها تهدر الحزن وتبطله ، وذلك لكثرة ما استنزفت من الدمع . والناكز : التي فني ماؤها ، والنزاح كذلك .

(٣) الاجد : المقطوع . والضياح : اللبن الرقيق الممزوج .

(٤) القدح : العود . ويهصر : يكسر . والاقتداح : الضرب به .

(٥) الخطار : الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً . والمتاح : يتاح ويقدر .

(٦) القرم : السيد . النضاح : الدفاع ، يقال هو يناضح عن قومه ، أي يذب عنهم .

(٧) عفت : زالت وانقطعت .

فما لكواهل الشعراء بُدٌّ من القتب الذي فيه لحاحُ [١]
ومن توريك راكبه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا [٢]

ما وقع بين بني نمير وبني كلاب :

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره ، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر ، وكانت للكلابِ على بني نُمير ؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم ، ولجأت الى مالك بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر ، فمنع تميماً من إنجادهم ، وقال : ما كنا لنُلقيَ بين قيس وخندف دماء نحن عنها أغنياء ، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة ، فإن سعيتم في صلح عاوناً ، وإن كانت حمالة [٣] أعنّا ، فأمّا الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها . فقال ناهض بن ثُومة في ذلك .

سلام الله يا مالِ بن زيد عليك وخير ما أهدي السلاما
تعلم أننا لكم صديق فلا تستعجلوا فينا الملاما
ولكنا وحيٌ بني تميم عداةٌ لا نرى أبداً سلاما
وإن كنا تكافَفنا قليلاً كحرف السِّيف ينهار انهداما [٤]
وهَيضُ العظم يُصبح ذا انصداع وقد ظنّ الجهول به التئاما [٥]
فلن تنسى الشبابَ المُرد منا ولا الشِّيب الجحاجحَ والكراما [٦]
ونَوحَ نوائح منّا ومنهم مآتم ما تجفّ لهم سجاما [٧]

---

(١) القتب : الرحل . اللحاح : العقر والكسر .

(٢) التوريك : الاعتماد على الورك . وألاحوا : أعرضوا .

(٣) الحمالة : الدية التي يحملها قوم عن قوم .

(٤) تكافّفنا : كف بعضنا عن بعض . السيف بكسر السين : جانب الشاطىء .

(٥) الهيض : الكسر بعد الجبور .

(٦) الجحاجح : السادة من القوم ، جمع جحجح .

(٧) السجام ، يقال سجم العين والدمع والماء يسجم سجوماً وسجاماً ، اذا سال .

فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يرجّي الجاهلون لهم تماما
ألا قلْ للقبائل من تميم ... وخُصّ لمالكٍ فيها الكلاما
فزيدوا يا بني زيدٍ غُبيراً ... هواناً إنه يدني الفطاما
ولا تُبقوا على الأعداء شيئاً ... أعزّ الله نصركم ودَاما
وجدت المجد في حيَّيْ تميم ... ورهط الهذلق الموفي الذماما[1]
نجوم القوم ما زالوا هُداةً ... وما زالوا لآبيهم زماما[2]
هم الرأس المقدّم من تميم ... وغاربها وأوفاها سناما[3]
اذا ما غاب نجمٌ آب نجم ... أغرّ ترى لطلعته ابتساما
فهذي لابن تُومة فانسبوها ... اليه لا اختفاء ولا اكتتاما[4]
وإن رَغمت لذاك بنو غُبيرٍ ... فلا زالت أنوفهم رغاما[5]

قال : يعني بالهذلق الهذلقَ بن بشير ، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وابنيه علقمة وصباحا .

قال : وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا غبيراً ، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض :

ألا هل أتى كعباً على نأيِ دارهم ... وخذلانهم أنا سررنا بني كعبِ
بما لقيت منا غبيرٌ وجمعها ... غداةَ أتينا في كتائبنا الغُلب[6]
فيا لك يوماً بالحمى لا ترى له ... شبيهاً وما في يوم شيبان من عتب

---

(١) الهذلق : هو ابن بشير أخو بني عتيبة ابن الحارث بن شهاب .

(٢) الآبي : الكاره .

(٣) الغارب : الكاهل أو ما بين السنام والعنق .

(٤) الاكتتام : الاختفاء .

(٥) رغم : ذل . وانوفهم رغام اي ذليلة .

(٦) الغلب : جمع غلباء ، وهي العزيزة الممتنعة .

أقامت نمير بالحمى غير رغبة   فكان الذي نالت نمير من النهب
رؤوس وأوصال يزايل بينها   سباع تدلت من أبانين والهضب [1]
لنا وقعات في نمير تتابعت   بضيم على ضيم ونكب على نكب [2]
وقد علمت قيس بن عيلان كلها   وللحرب أبناء بأنا بنو الحرب
ألم ترهم طرا علينا تحزبوا   وليس لنا إلا الرديني من حزب [3]
وإنا لنقتاد الجياد على الوجى   لأعدائنا من لا مدان ولا صقب [4]
ففي أي فج ما ركزنا رماحنا   مخوف بنصب للعدا حين لا نصب [5]

أخبرنا جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني غرير بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأس الكبش، قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يابني ربيعة خرتما   وعولتما والحرب ذات هرير [6]
وصدقتما قول الفرزدق فيكما   وكذبتما بالأمس قول جرير
فإن أنتما لم تقذعا الخيل بالقنا   فصيرا مع الأنباط حيث تصير [7]

---

(١) يزايل: يفرق. الابانان: جبلان.

(٢) النكب كالنكبة، وهي المصيبة.

(٣) الرديني: الرمح المنسوب الى (ردينة)، وهي امرأة كانت تقوّم الرماح.

(٤) الوجى: الحفاء، وهو أن يرق القدم او الحافر، وفي الصحاح: هو الوجع. والمداني: القريب. وكذلك الصقب.

(٥) النصب: يقال نصبه الشر وناصبه، إذا أظهره له.

(٦) خرتما: ضعفتما. وعوّل الرجل: رفع صوته بالبكاء والصياح.

(٧) القذع: الكف والمنع. النبط: جيل من العجم ينزل بين العراقين سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء.

تسومكما بغيا نميرٌ هضيمةً ستنجد أخبارٌ بهم وتغور [١]

قال : فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر ، حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنّ واردات [٢] ، فقتلوا واجتاحوا ، وفضحوا نميراً ، ثم انصرفوا ، فقال ناهض ابن ثومة يجيب عُمارة عن قوله :

يحضِّضنا عمارةُ في نمير ليشغلهم بنا وبه أرابوا [٣]
ويزعم أننا خُرنا وأنا لهم جارُ المقربة المصاب
سلوا عنا نميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تُهاب
ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت لهم سعد وضبة والرباب
ونحن نكرّها شُعثاً عليهم عليها الشِّيبُ منا والشباب
رغبنا عن دماء بني قُرَيع الى القلعين إنهما اللباب [٤]
صبحناهم بأرعنَ مكفهرٍ يدفّ كأن رايته النقاب [٥]
أجشّ من الصواهل ذي دويٍ تلوح البيض فيه والحراب [٦]
فأشعل حين حلّ بواردات وثار لنقعه ثمّ انصباب [٧]
صبحناهم بها شعثَ النواصي ولم يُفتق من الصبح الحجاب
فلم تُغمد سيوف الهند حتى تعيلت الحليلة والكعاب [٨]

---

(١) تنجد : تأتي نجدا . تغور : تأتي الغور .

(٢) واردات : اسم مكان عن يسار طريق مكة للذاهب إليها .

(٣) يحضضنا : يحملنا عليهم . أرابوا : تشككوا .

(٤) القلعان : هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبدالله بن الحارث بن نمير .

(٥) الارعن : يقال جيش أرعن اي له فضول . يدف : يدب ويسير بلين .

(٦) الاجش : الغليظ الصوت .

(٧) اشعلت الغارة : تفرقت .

(٨) تعيلت : اهملت لموت عائلها . والكعاب : من نهد ثديها وبرز .

صوت

أعرفت من سلمى رسومَ ديار بالشط بين مُخفِّق وصحار [1]
وكأنما أثرُ النعاج بجوّها بمدافع الرَّكبَين ودعُ جواري [2]
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياءَ جاهلةً عن الأخبار
فكأنَّ عيني غَربُ أدهم داجنٍ متعوِّد الإقبال والإدبار [3]

الشعر للمخبل السعدي ، والغناء لإبراهيم ، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن اسحاق . قال الهشامي : فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل ، ولعنان بنت خوط خفيف رمل .

---

(١) الشط : موضع باليمامة . والمخفق : رمل في أسفل الدهناء من ديار بني سعد .

(٢) الجوّ : ما أتسع من الارض واطمأن وبرز . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مسيل الوادي . والركبان موضع .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة . والادهم : الاسود ، عنى به البعير . والداجن : البعير السانى ، أي الذي يستقى عليه .

أخبار المخبل ونسبه

قال ابن الكلبي : اسمه الربيع بن ربيعة ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة . وقال ابن حبيب وأبو عمرو : اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعرٌ فحل ، من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، ويكنى أبا يزيد . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضَوا وأبو يزيد وذو القروح وجَرول

طبقته في الشعراء :

ذو القروح : امرؤ القيس . وجرول : الحطيئة . وأبو يزيد : المخبل . وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل . وهو من المقلين ، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً ، وأحسبه مات في خلافة عمرَ أو عثمان (رضي الله عنهما) ، وهو شيخ كبير . وكان له ابن ، فهاجر الى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً ، حتى بلغ خبره عمر ، فردّه عليه .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد . قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ ، عن ابن الأعرابي قال :

هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ،

فجزع عليه المخبّل جزعاً شديداً، وكان قد أسنّ وضعف. فافتقر الى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يُغلب على عقله، فعمد على إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك، وأعطاه مالًا وفرساً، وقال: أنا أكلِّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعل غنمت مالك، وأقمت في قومك، وإن أبى استنفقت ما أعطيتك ولحقت به، وخلّفت إبلك لعيالك. ثم مضى الى عمر – رضوان الله عليه – فأخبره خبر المخبّل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيهلكني شيبان في كلّ ليلة ... لقلبي من خوف الفراق وجيبُ [١]
أشيبان ما أدراك أن كل ليلة ... غبقتك فيها والغبوق حبيب [٢]
غبقتك عُظماها سَناماً او انبرى ... برزقك برّاق المُتون أريب [٣]
أشيبان إن تأبى الجيوش بجدّهم ... يقاسون أياماً لهنّ خطوب [٤]
ولا همّ إلا البزّ أو كلّ سابح ... عليه فتًى شاكي السلاح نجيب [٥]
يذودون جُند الهُرمُزان كأنما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب [٦]
فإن يك غصني أَصبح اليوم ذاوياً ... وغصنك من ماء الشباب رطيب
فإني حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت ... فمشي ضعيفٌ في الرجال دبيب
اذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان أن لن يعقّني ... تعقّ اذا فارقتني وتحوب [٧]

---

(١) الوجيب: الخفقان.

(٢) الغبوق: الشرب في العشي.

(٣) عظماها: تفضيل من العظم. براق: عنى به السيف. الاريب: المقتال.

(٤) حدّهم: سيفهم.

(٥) البز: السلاح. وفي الاصول. «البر». السابح: الفرس يسبح في جريه.

(٦) الهرمزان والهرمز والهارموز: الكبير من ملوك العجم. وتلوب: تحوم.

(٧) تحوب بالحاء المهملة: نائم.

فلا تُدخلنَّ الدّهر قبرك حوبةً يقوم بها يوماً عليك حسيبُ [١]

— يعني بقوله «حسيب» الله عز ذكره —

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان الى أبيه :

قال : فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له ، فكتب الى سعد يأمره أن يُقفل شيبان بن المخبل ويردّه على أبيه ، فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان وردّه فسأله الإعفاء عنه ، وقال : لا تحرمنّي الجهاد . فقال له : إنّها عزمةٌ من عمر ، ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك . فانصرف اليه ، ولم يزل عنده حتى مات .

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهريّ ، قالا :

حدثنا عمر بن شبّة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه ، فلا يزال أبوه يقول : أحسن رعية إبلك يا بنيّ ، فيقول : أراحني الله من رعية إبلك . ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى ، وانحدر الى البصرة ، وشهد فتح تُستر [٢] ، فقال : فذكر أبوه الأبيات ، وزاد فيها قوله :

اذا قلتُ ترعى قال سوف تريحني من الرّعي مِذعان العشي خَبوب [٣]

قال : أبو يزيد وحدّثناه عتاب بن زيادٍ ، قال : حدثنا ابن المبارك ، قال حدثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ، ولم يقل : شيبان بن المخبل ، ولكنه قال : «انطلق رجلٌ الى الشام» ، وذكر القصة والشعر .

---

(١) الحوبة : الذنب .

(٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان .

(٣) المذعان : الناقة السلسة المنقادة . والخبوب : من الخبب ، وهو ضرب من العدو .

الزبرقان لا يزوّج أخته خليدة المخبل :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، قال : خطب المخبَّل السعدي الى الزبرقان بن بدرٍ أخته خليدة، فمنعه إياها، وردّه لشيء كان في عقله ، وزوّجها رجلاً من بني جُشم بن عوفٍ ، يقال له : مالك بن أميَّة بن عبد القيس ، من بني محارب ، فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الُجلاس ابن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالاً ، ولم يعلم به أحدٌ ، ففقد ولم يعلم له خبر ، فبينا جارُ الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الُجلاس ليلةً يتحدّث إذ غلط ، فحدّث هزّالا بقتله الرجل ، وذلك قبل أن يتزوّج هزّالٌ الى الزبرقان ، فأتى هزّال عبد عمروٍ بن ضَمرة بن جابر بن نهشلٍ فأخبره، فدعا هزّالٌ قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت ، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه ، ورجع هزالٌ الى الحيّ وضرب عبد عمرو حتى لجأ الى أخواله بني عُطارد بن عوفٍ، فقالت أمرأة مالك بن أمية المقتول :

أجيران ابن ميـة خبّروني ... أعينٌ لأبن ميّـة أم ضِمارُ (١)
تجلّل خزيَها عوفُ بن كعب ... فليس لنسلهم منهـا اعتذار

قال : فلما زوّج الزبرقان أخته خليدة هزّالا بعد قتله جاره عيب عليه، وعُيّر به ، وهجاه المخبل ، فقال :

لعمرك إن الزبرقـان لدائم ... على الناس تعدو نوكه ومجاهله (٢)
أأنكحت هزّالا خليدة بعدما ... زعمت بظهر الغيب أنـك قاتله
فأنكحته رَهوا كأن عِجانهـا ... مَشَقُّ إهابٍ أوسع السَّلخ ناجله (٣)

---

(١) الضمار من المال : ما لا يرجى رجوعه .

(٢) النوك : الحمق .

(٣) العجان : الاست . والناجل : الشاق للجلد .

يلاعبهــا فوق الفراش وجاركم بذي شُبرمانٍ لم تَزَيَّــلْ مفاصله [١]

قال : ولجّ الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم ، وكان الزبرقان أسودهما ، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته :

أنبئتُ أنّ الزبرقــان يسُبُّني سفهاً ويكره ذو الحِرَين خصالي [٢]

قال : وإنما سماه ذا الحرينِ لأنه كان مُبَدَّنا ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبّه بهما وشبّههما بالحِرَين . ويقال : إنه إنما عيّره بأخته وابنته ، ولم يكن للمخبَّل ابن في الجاهلية ، قال :

أفــلا يفاخرني ليعلم أيُّنا أدنى لأكرم سُودَدٍ وفعال

فلما بلغ الى قوله :

وأبوك بدر كان مشترط الخُصَى وأبي الجوادُ ربيعةُ بنُ قتال [٣]

فلما أنشده هذا البيت ، قال :

وأبوك بدرٌ كان مشترط الخصى وأبي ... ...

ثم انقطع عليه كلامه ، إمّا بشرق أو انقطاع نفسٍ ، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله : « وأبي » . فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين ، فقال : صدقت ، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ . فغلبه الزبرقان ، وضحكوا من قوله وتفرّقوا ، وقد انقطع بالمخبل قوله :

أخبرنا اليزيديّ ، قال : حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب ، قال : كان

---

(١) شبرمان بضم أوّله موضع . وتزيل : تفرق .

(٢) ذو الحرين : صاحب الفرجين .

(٣) مشترط الخصى ، المشترط : القاطع . والخصى : جمع خصية وخصى كقفل .

زرارة بن المخبّل يَليط[1] حوضه ، فأتاه رجلٌ من بني عِلباء بن عوف ، فقال له : صارعني . فقال له زرارة : إني عن صراعك لمشغولٌ . فجذب بحجزته وهو غافلٌ فسقط ، فصاح به فتيان الحي : صُرع زرارة وغُلِب . فأخذ زرارة حجراً ، فأخذ به رأس العلباوي ، فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه الدية ، فتحملها وتخلّصه ، وكسا المخبل حلةً حسنةً ، وأعطاه ناقة نجيبةً ، فقال المخبل يمدحه :

لعمرُ أبيك لا ألقى ابن عمٍّ على الحدثان خيراً من بغيضِ
أقلَّ ملامـة وأعزَّ نصراً اذا ما جئتُ بالأمر المريض
كساني حُلّـةً وحبا بعنس أُبسّ بها اذا اضطربت غُروضي[2]
غداة جنى بُنيَّ علـيَّ جرماً وكيف يداي بالحرب العضوض[3]
فقد سدّ السبيل أبو حميـد كما سدّ المخاطبـة ابن بيض

خبر ابن بيض :

— أبو حميد : بغيضُ بن عامرٍ . وأما قوله : «كما سدّ المخاطبة ابن بيض» ، فإنّ ابن بيض : رجل من بقايا قوم عاد ، كان تاجراً ، وكان لقمان بن عادٍ يجيز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم ، فأجازه سنة وسنتين ، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ ، فأتى قومه فنزل فيهم ، ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم : إن لقمان صائر اليكم ، وإنّي أخشاه اذا علم بموتي على مالي ، فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه ، وضعوه في طريقه اليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقُّه ، فادفعوه اليه واتّقوه ، وإن تعدّاه رجوت أن يكفيَكم الله إيّاه . ومات

---

(١) يليط : يطين .

(٢) العنس : الناقة الصلبة . أبس يقال بس الإبل : ساقها سوقاً ليناً وزجرها . والغروض : جمع غرض بالفتح ، وهو للرحل كالحزام للسرج .

(٣) العضوض : الشديدة .

الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: «سدّ ابن بيضٍ الطريق» فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرتْ ذلك الشعراء، فقال بشامة ابن عمرو:

كثوبِ ابن بيضٍ وقاهم به فسدّ على السالكين السبيلا

قال ابن حبيب: ولما حشدت بنو علباء للمطالبة بدمِ صاحبهم، حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل، ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قُتِل خطأ، فلا تُواقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبلوها وانصرفوا، فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك:

فاز المخالس لما أن جرى طلقاً أمّا حُطيم بن عِلباء فقد غُلبا[١]
إني رميت بجلمود على حنق مني اليه فكانت رميةً غربا[٢]
ليثا إليّ يشقّ الناس منفرجاً لحياهُ عنّانةٌ لا يتّقي الخشبا[٣]
فأورثتني قتيلاً إن لقيتُ وإن أفلتَ كانت سماع السّوء والحَرَبا[٤]

ثم أخذ بنو حازم جاراً لبني قُشير، فأغار عليه المُنتشِر بن وهب الباهلي، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتى انتهى الى المخبل، فلما سأله قال له: إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقة، وإن شئت سعيت لك في إبلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل:

إنّ قشيراً من لقاح ابن حازم كراحضة حيضا وليست بطاهرِ[٥]

(١) المخالس: الذي يأخذ غيره خلسة.
(٢) الجلمود: الحجر. والرمية الغرب: التي لا يدرى من رماها.
(٣) عنانة: مبالغة من العنّ، وهو اعتراض الموت.
(٤) الحرب: الهلاك.
(٥) الراحضة بالحاء المهملة: الغاسلة.

فلا يأكلنها الباهلي وتقعدوا لدى غرض أرميكمُ بالنواقر[١]
أغرّك أن قالوا لعزة شاعر فناك أباه من خفير وشاعر

فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله ، فردّها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل ، فقال المخبل في ذلك :

تدارك حزنٌ بالقنا آلَ عامر قفا حضن والكرّ بالخيل أعسرُ[٢]
فإني بذا الجار الخفاجيّ واثقٌ وقلبي من الجار العباديّ أوجر[٣]
اذا ما عقيليٌّ أقام بذمّة شريكين فيها فالعبادي أوجر[٤]
لعمري لقد خارت خفاجة عامراً كما خيرَ بيتٌ بالعراق المشقَّر[٥]
وإنك لو تعطي العبادي مِشقصا لراشي كما راشى على الطبع أجْر[٦]

– راشى من الرّشوة –

المخبل وخليدة بنت بدر :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا الرياشي ، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدر ، أخت الزبرقان بن بدر ، بعد ما أسنّ وضعف بصره ، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة ، وقالت له إني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها . فقال : ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك ؟ قالت : لا عليك ، قال : بلى والله أسألك . قالت : أنا بعض ما هتكتَ بشعرك ظالماً ،

(١) النواقر : بالقاف ، أي الدواهي .
(٢) قفا حضن ، أي خلفه . وحضن : جبل بأعلى نجد .
(٣) الاوجر : الخائف .
(٤) الاوجر هنا : الكاره الناقض للعهد .
(٥) المشقر : موضع ببلاد العرب . وخاره : صار خيراً منه . وخير : اصطفى .
(٦) المشقص : النصل العريض ، وقيل : سهم يرمي به .

أنا خليدة بنت بدرٍ . فقال : واسوأتاه منك ؛ فإني أستغفر الله عز وجل ، وأستقيلك وأعتذر اليك . ثم قال :

لقد ضلَّ حلمي في خليدة إنني ... سأعتب نفسي بعدها وأتوبُ
فأقسم بالرحمن إنّي ظلمتها ... وجُرتُ عليها والهجاء كذوب

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هَوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ، ويقول :

فجزى الإله سراة قومي نضرةً ... وسقاهم بمشارب الأبرارِ
قومٌ اذا خافوا عِثار أخيهم ... لا يُسلمون أخاهم لعثار
أمثال علقمة بن هوذة إذ سعى ... يخشى عليَّ متالف الأبصار
أثنوا عليَّ وأحسنوا وترافدوا ... لي بالمخاض البزل والأبكار [١]
والشَّول يتبعها بنات لبونها ... شَرقاً حناجرها من الجرجار [٢]

أخبرنا أبو زيد ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن حبيب . وأخبرني عمي ، قال: حدثنا الكراني ، قال : حدثنا العمري ، عن لقيطٍ قالوا :

المخبل والزبرقان وعبدة وعمرو يحكمون في شعرهم :

اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا ، وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فنحروا جزوراً ، واشتروا خمراً ببعير ، وجلسوا يشوون ويأكلون ، فقال بعضهم : لو أنّ قوماً طاروا من

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق . والبزل : ما بلغ من الإبل التاسعة . والابكار : النوق التي ولدت أوّل بطن .

(٢) الشول جمع شائلة : ما اتى عليها من حملها او وضعها سبعة اشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . وابن اللبون : ولد الناقة إذا كان من العلم الثاني واستكمله او اذا دخل في الثالثة . الجرجار : عشبة لها زهرة صفراء .

جودة أشعارهم لطرنا. فتحاكموا الى أوّل من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي، وقال الزيدي: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعة بن حُذار: وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ[1] أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء.

أخبرنا الزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرئ القيس يقال له رَوقٌ، مُجاوراً في بكر بن وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه، فقال له: إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها، وإن شئت سعيتُ لك. فقال: أن تسعى لي أحبُّ إليّ. فخرج المخبل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدُّوا الى رَوح بن حَسّان بن حارثة بن منذرِ
كوماء مدفأةً كأنّ ضروعها حماءُ أجفر[2]
تأبى الى بصص تَسحّ المحض باللبن الفضنفر[3]

فقالوا: نعم ونُعمة. فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدّة إبله.

---

(١) المزادة: الراوية. وقيل لا تكون إلا من جلدين بينهما ثالث لتتسع.

(٢) الكوماء: الناقة العظيمة الضخمة السنام. والمدفأة: الكثيرة الوبر والشحم. والاجفر يقال: جفر ولد الشاة، إذا عظم واستكرش او بلغ اربعة اشهر. والحماء: الاست.

(٣) تسع: تنزل. والمحض: اللبن الخالص. وفي البيت تحريف ظاهر.

وقال ابن حبيب في هذه الرواية : «كان رجل من بني ضبة» .

صوت

اسلُ عن ليلى علاكَ المشيبُ وتصابي الشيخ شيءٌ عجيبُ
واذا كان النسيب بسلمى لذّ في سلمى وطاب النسيب
إنما شبهتها إذ تراءت وعليها من عيون رقيب
بطلوع الشمس في يوم دَجنٍ بُكرةً أو حان منها غروب
إنني فاعلم وإن عزّ أهلي بالسُّويداء الغداة غريب[١]

الشعر لغيلان بن سلمة الثّقفيّ ، وجدتُ ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري ، والغناء لابن زُرزورٍ الطائفي ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، عن يحيي المكي ، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه ولم يجنّسه[٢] .

(١) السويداء : موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام .

(٢) لم يجنسه : لم يذكر نوع لحنه .

أخبار غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمة بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ — وهو ثقيف . وأمّه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف .

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، وأسلم ابنه عامر قبله ، وهاجر ، ومات بالشام في طاعون عمواس[1] وأبوه حي .

وغيلان شاعرٌ مقل ، ليس بمعروف في الفحول .

وصف بادية بنت غيلان :

وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيتٌ المخنّثُ لعمرو بن أم سلمة أمّ المؤمنين ، أو لأخيه سلمة[2] : « إن فتح الله عليكم الطائف فسَلْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لك بادية بنتَ غيلان ، فإنها كحلاء ، شموعٌ نجلاء[3] ، خمصانة هيفاء[4] ، إن مشت تثنَّت ، وإن جلسَتْ تبنت[5] ، وإن تكلَّمت تغنت ، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ ، وبين فخذيها كالإناء المكفأ[6] » .

---

(١) عمواس بالكسر والفتح وسكون الميم أو فتحها وفتح الاول : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، كانت العاصمة في القديم ، ومنها كان ابتداء الطاعون في ايام عمر بن الخطاب ، ثم فشا في ارض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة .

(٢) في اللسان (بني) : « وروى شمر ان مخنثاً قال لعبد الله بن ابي امية » ثم ساق الخبر .

(٣) الشموع : المزاحة اللعوب . والنجلاء : الواسعة العينين .

(٤) الخمصانة : الضامرة البطن . والهيفاء : الدقيقة الخصر .

(٥) تبنت : اي صارت كالمبناة ، وهي القبة من أدم ، وذلك لسمنها وكثرة لحمها .

(٦) كذا في اللسان و حـ . وفي سائر النسخ : « المكفوء » وهما سيان ، يقال كفأ الاناء وأكفأه : قلبه . يعني بذلك ضخم ركبها ونهوده .

وغيلان فيما يقال أحد مَن قال مِن قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وآله : (لولا أُنزِلَ هذا القرآن على رجلٍ من القريتين) .

اتهام ولده عمار بسرقته وما كان بينهما من تدابر :

قال ابن الكلبي : حدثني أبي ، قال : تزوّج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص ، فولدت له عمَّاراً وعامراً ، فهاجر عمَّار الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغه خبره عمد خازنٌ كان لغيلان الى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه ، وأخبر غيلان أنّ ابنه عمّاراً سرق ماله وهرب به ، فأشاع ذلك غيلان وشكاه الى الناس ، وبلغ خبره عماراً فلم يعتذر الى أبيه ، ولم يذكر له براءته مما قيل له ، فلما شاع ذلك جاءت أمةٌ لبعض ثقيفٍ الى غيلان ، فقالت له : أيُّ شيء لي عليك إن دللتك على مالك ؟ قال : ما شئت . قالت : تبتاعني وتعتقني ؟ قال : ذلك لكِ . قالت : فاخرج معي . فخرج معها ، فقالت : إني رأيت عبدك فلانا قد احتفر ها هنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ، ويتفقده في اليوم مرّاتٍ ، وما أراه إلا المال . فاحتفر الموضع فإذا هو بماله ، فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها ، وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عماراً ، فقال : والله لا يراني غيلان أبداً ، ولا ينظر في وجهي . وقال :

حلفتُ لهم بما يقول محمدٌ وبالله إنّ الله ليس بغافلِ
برئتُ مِن المال الذي يدفنونه أُبرّئُ نفسي أن ألطّ بباطلِ [1]
ولو غير شيخي من معدٍّ يقوله تيممته بالسيف غير مُواكل
وكيف انطلاقي بالسلاح الى امرئٍ تُبشِره بي يبتدرن قوابلي

فلما أسلم غيلان ، خرج عامرٌ وعمّارٌ مغاضبين له مع خالد بن الوليد ، فتوفي عامر

(١) ألط : ألصق .

بعمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذٍ ، وهو صاحب شنوءة يوم تثليث[١] ، وهو قتل سيّدهم جابر بن سنان أخا دِهنة ، فقال غيلان يرثي عامراً :

غيلان يرثي ولده عامراً :

عيني تجود بدمعها الهتّان سحاً وتبكي فارس الفرسانِ
يا عامُ مَن للخيل لمّا أحجمتْ عن شدة مرهوبة وطعان
لو أستطيع جعلت منّي عامراً بين الضلوع وكلّ حيٍّ فان
يا عين بكّي ذا الحزامة عامراً للخيل يومَ تواقُف وطعان
وله بتثليثات شدّةُ مُعلَمٍ منه وطعنة جابر بن سنان[٢]
فكأنه صافي الحديدة مِخذَمٌ مما يُحير الفرس للباذان[٣]

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكّري ، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة ، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان ، فتخطّى بعضها الى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب ، فضرب أبو عقيل الراعي واستخفّ به ، فشكا الباهليُّ ذلك الى غيلان ، فقال لأبي عقيل :

ألا من يرى رأي امرئٍ ذي قرابة أبى صدره بالضغن إلا تطلعا
فسلمك أرجو لا العداوة إنما أبوك أبي وإنّا صفقنا معا[٤]
وإنّ ابن عم المرء مثل سلاحه يقيه اذا لاقى الكميَّ المقنّعا
فإن يكثر المولى فإنّك حاسدٌ وإن يفتقر لا يُلف عندك مطمعا

(١) شنوءة : قبيلة . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . ويوم تثليث : من ايام العرب بين بني سليم ومراد .

(٢) المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب .

(٣) المخذم : القاطع . يحير : يرد ويرجع . والباذان : اسم للذين دخلوا حديثاً في الإسلام .

(٤) الصفق : الضرب . وهو أيضاً ضرب الأيدي عند المبايعة.

فهذا وعيدٌ وادّخارٌ فإن تعُدْ وجدِّك أعلمْ ما تسلَّفتَ أجمعا [١]

ونسخت من كتابه ، قال : لما أسنّ غيلان وكثرت أسفاره ملّته زوجته ، وتجنّت عليه ، وأنكر أخلاقها ، فقال فيها :

يا ربَّ مثلك في النساء غريرةٍ بيضاء قد صبَّحتها بطلاقِ
لم تدرِ ما تحت الضلوع وغرَّها مني تحمُّل عِشرتي وخَلاقي

ونسخت من كتابه : إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفسهم وأحلافهم ، ثم ساروا الى ثقيفٍ بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافاً لثقيف ، فلما بلغ ثقيفاً مسيرُ بني عامر استنجدوا بني نصر ، فخرجت ثقيف الى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غَيلان بن سلمة بن معتِّب ، فلقوهم وقاتلتهم ثقيفُ قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم ، وظهرت عليهم ثقيفُ ، فأكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان في ذلك ، ويذكر تخلُّف بني نصر عنهم :

ودِّع بذمٍّ اذا ما حان رحلتنا أهل الحظائر من عوفٍ ودهمانا
القائلين وقد حلّت بساحتهم جسرٌ تحسحس عن أولاد هِصّانا [٢]
والقائلين وقد رابت وطابُهم أسيف عوفٍ ترى أم سيف غيلانا [٣]
أغنُوا الموالِيَ عنّا لا أبالكم إنّا سنُغني صريحَ القوم مَن كانا [٤]
لا يمنع الخطر المظلوم قُحمته حتى يرى ... بالعين من كانا [٥]

ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعمُ جموعاً من اليمن ، وغزت ثقيفا

---

(١) تسلف في المادة والشيء : اقترض . والمعنى إن عدت فسأقف على ما وقع منك .

(٢) هصان : قبيلة .

(٣) راب : خثر وفسد . والوطاب : سقاء اللبن .

(٤) الصريح : الخالص النسب .

(٥) القحمة بالقاف تفتح وتضم : الاقتحام في الشيء والمهلكة .

بالطائف ؛ فخرج إليهم غيلانُ بن سلمة في ثقيف ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فهزمهم وقتل منهم مَقتلةً عظيمة ، وأسر عدّةً منهم ، ثم منّ عليهم وقال في ذلك :

ألا يا أختَ خَثعمَ خبّرينا ... بأيّ بلاءِ قومٍ تفخرينا
جَلبنا الخيل من أكناف وَجٍ ... وليثٍ نحوكم بالدّارعينا [١]
رأيناهنّ مُعلمةً رواحا ... يُقيتان الصباح ومعتدينا [٢]
فأمست مُسيَ خامسةٍ جميعاً ... تُضابعُ في القياد وقد وجينا [٣]
وقد نظرت طوالعكم الينا ... بأعينهم وحققنا الظنونا
الى رجراجةٍ في الدار تُعشى ... اذا استنّت عيون الناظرينا [٤]
تركن نساءكم في الدار نَوحاً ... يبكّون البعولة والبنينا [٥]
جمعتم جَمعكم فطلبتمونا ... فهل أُنبئتَ حال الطالبينا

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ ، قال : أخبرني محمد بن سعد الشامي ، قال : حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره ، حتى صدرنا عن الأُبُلّة ، ثم مرّ بالطَّف وهو يريد الطابق [٦] ، فأنشدني له :

(١) وج : اسم واد بالطائف . وليث ، بالكسر : واد بأسفل السراة . والدارعون : لابسو الدروع .

(٢) المعلمة : المميزة . يقيتان ، يقال اقات الشيء : قدر عليه . والصباح : الغارة تفجأ صباحاً .

(٣) مسي خامسة : في مساء الليلة الخامسة . تضابع : تمد اضباعها في الجري . والقياد : المقود ، ما تقاد به الدابة . وجين : حفين ووجعن .

(٤) الرجراجة : الكتيبة العظيمة . تعشى من العشا ، وهو سوء البصر . واستنت : أسرعت .

(٥) النوح : جمع نائحة .

(٦) الطابق : نهر ببغداد . وفي الأصول : «الطائف» .

وليلة أرّقتْ صحابَكَ بالطَّـــفّ وأخرى بجنب ذي حُسمِ[١]
فالجسرُ فالقصران فالنّهر المُربَــدُ بين النّخيـل والأُجم[٢]
معانق الواسط المُقـدَّم أو أدنو من الارض غير مقتحم[٣]
أستعمل العنس بالقياد الى الـــآفاق أرجو نوافـل الطُّعم[٤]

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر ابن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمر بن عبـد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال:

لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية، قال: «يا بنيّ، قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدْتُ أُمهاتكم فلن تزالوا بخيرٍ ما غدوتم من كريم وغدا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكلّ رمكاء[٥] مكينةٍ ركينةٍ، أو بيضاء رزينة، في خِدر بيت يُتبع، أو جدٍّ يُرتجى، وإياكم والقصيرة الرَّطلة[٦]، فإنَّ أبغض الرجال إليّ أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصيرُ الرَّطل». ثم أنشأ يقول:

وحُرّة قومٍ قد تنوّق فِعلها وزيّنها أقوامُهـا فتزيّنتْ

(١) الطف: مكان بالعراق قتل به الحسين. ذو حسم: موضع.

(٢) الجسر: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة. والقصران بالصاد: ناحيتان كبيرتان بالري.

(٣) الواسط: المقدم وأول الشيء ويقصد به قادمة الرحل.

(٤) العنس: الناقة الصلبة.

(٥) الرمكاء: ما كان في لونها حمرة مختلطة بسواد.

(٦) الرطلة بفتح الراء وكسرها: المرأة الحمقاء الضعيفة.

رحلت اليها لا تُرَدُّ وسيلتي وحَمّلتها من قومهـا فتحمّلت

وفود غيلان على كسرى :

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني ، قال :

كان غيلان بن سلمة الثقفيُّ قد وفد الى كسرى فقال له ذات يوم : يا غيلان، أيُّ ولدك أحبُّ اليك ؟ قال : « الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يَقدم » . قال له : ما غذاؤك ؟ قال : خبزُ البر . قال : قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغذاؤك غِذاء العرب ، إنما البرُّ جعل لك هذا العقل .

قال : الكراني ، قال العمري : روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتمَّ مِن هذه الرواية، ولم أسمعه منه . قال الهيثم : حدثني أبي ، قال :

خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلى خطر ، ما قدومنا على ملكٍ جبّارٍ لم يأذن لنا في القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمتجر ؟ ! ولكن أيّكم يذهب بالعير ، فإن أصيب فنحن براء من دمه، وإن غنم فله نصف الرّبح ؟ فقال غيلان بن سلمة : دعوني اذاً فأنا لها . فدخل الوادي ، فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رآني أبو غيلان إذ حصرت عني الأمور الى أمر له طبــق[١]
لقال رُغبٌ ورُهب يُجمعان معا حبُّ الحياة وَهول النفس والشفق[٢]

---

(١) حسر : انكشف . الطبق : الحال والخطر ، والذي له ما بعده .

(٢) الرغب : الرغبة .

إمّا بقيتَ على مجدٍ ومَكرمة أو أُسوة لك فيمن يُهلك الورق [١]

ما دار بين غيلان وبين كسرى :

ثم قال : أنا صاحبكم . ثم خرج في العير ، وكان أبيض طويلًا جعداً ضخماً ، فلما قدم بلاد كسرى تخلّق [٢] ولبس ثوبَين أصفرين ، وشهر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أذن له ، فدخل عليه وبينهما شُبّاك من ذهب ، فخرج اليه الترجمان؛ وقال له : يقول لك الملك : مَن أدخلك بلادي بغير إذني ؟ فقال : قل له : لست من أهل عداوةٍ لك ، ولا أتيتك جاسوساً لضدّ من أضدادك ، وإنما جئت بتجارةٍ تستمتع بها، فإن أردتها فهي لك ، وإن لم تُردها وأذنتَ في بيعها لرعيّتك بعتها ، وإن لم تأذن في ذلك رددتها .

قال : فإنّه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فسجد ، فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لم سجدت ؟ فقال : سمعت صوتاً عالياً حيث لا ينبغي لأحدٍ أن يعلو صوته إجلالًا للملك، فعلمت أنه لم يُقدِم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاماً له . قال : فاستحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحته [٣] ، فلما أُتي بها رأى عليها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحمقه، وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا اليك بهذه لتجلس عليها . قال : قد علمتُ ، ولكني لما أتيتُ بها رأيتُ عليها صورة الملك ، فلم يكن حقّ صورته على مثلي أن يجلس عليها ، ولكن كان حقّها التعظيم ، فوضعتها على رأسي ، لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي . فاستحسن فعله جداً ، ثم قال له : ألك ولد؟ قال : نعم .

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) تخلق : تطيب بالخلوق .

(٣) المرفقة : المتكأ والمخدة .

قال : فأيّهم أحبُّ اليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يؤوب . فقال كسرى : زِه ، ما أدخلك عليّ ودلّك على هذا القول والفعل إلا حظّك ، فهذا فِعل الحكماء وكلامهم ، وأنت من قومٍ جُفاةٍ لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟ قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البُرّ ، لا من اللبن والتمر . ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكساه وبعث معه من الفرس مَن بنى له أُطماً[1] بالطائف ، فكان أوّل أُطم بني بها .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال :

رثاؤه لأخيه نافع :

استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدُومة الجندل ، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه :

ما بالُ عيني لا تغمّض ساعةً … إلا اعترتني عَبرةٌ تغشاني
أرعى نجوم الليل عند طلوعها … وَهناً وهُنّ من الغروب دوان[2]
يا نافعاً مَن للفوارس أحجمت … عن فارس يعلو ذُرى الأقران
فلو استطعت جعلتُ منّي نافعاً … بين اللهاة وبين عَكدِ لساني[3]

قال : وكثر بكاؤه عليه ، فعوتب في ذلك ، فقال : والله لا تسمح عيني بمائها فأضنّ به على نافع . فلمّا تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل

(١) الأُطم بضمتين : القصر وكل حصن مبني بحجارة ، وكل بيت مربع مسطح .

(٢) الوهن : نحو منتصف الليل أو بعده بساعة .

(٣) اللهاة : قطعة من اللحم مشرفة على الحلق . والعكد : وسط الشيء .

له فيه، فقال: «بَلِيَ نافع، وبلي الجزع، وفني وفنيت الدموع، واللّحاق به قريب».

صوت

ألا علّلاني قبل نوح النوادب وقبل بُكاء المُعوِلات القرائبِ
وقبل ثَوائي في تُرابٍ وجندلٍ وقبل نشوز النفس فوق الترائب[1]
فإن تأتني الدّنيا بيومي فجاءة تجدني وقد قضّيتُ منها مآربي

الشعر لحاجز الأزدي، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

(١) نشوز النفس: ارتفاعها.

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيدَعان بن مالك بن نصر ابن الأزد . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، وفي ذلك يقول :

قومي سلامان إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريم الحلف والحسب
إنّي متى أدعُ مخزوماً ترِيْ عُنُقاً ... لا يرَعشون لضرب القوم من كثب [١]
يُدعى المغيرة في أولى عديدهم ... أولاد مَرأَسةٍ ليسوا من الذنب [٢]

وهو شاعر جاهلي مقلّ ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثني العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوف بن الحارث الأزدي ، أنه قال لابنه حاجز بن عوف : أخبرني يا بنيّ بأشدّ عدوك . قال : نعم ، أفزَعتني خثعم فنزوت نزواتٍ ، ثم استفزّتني الخيل واصطفّ لي ظبيان ، فجعلت أنهنها [٣] بيديّ عن الطريق ، ومنعاني أن أتجاوزهما في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعتْ بنا ، فسبقتها . فقال له : فهل جارك

---

(١) العنق : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٢) مرأسة : رآسة .

(٣) النهنهة : الرد والكف .

أحدٌ في العدوِ ؟ قال : ما رأيت أحداً جاراني إلّا أُطيلس أغيبر من النقوم ، فإنا عدونا معاً فلم أقدِر على سبقه .

– قال : النقوم بطن من الأزدِ من ولد ناقم ، واسمه عامر بن حوالة بن الهنو ابن الأزد –

نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

من كتاب بخط المرهبيّ الكوكبيّ ، قال : أغار عوف بن الحارث بن الأخثم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرماً من بني هلال[1] ، وقد عصب على يد فرسه عصاباً ليظلع[2] فيطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا في طلبه ، وانهزم من بين أيديهم ، وطمعوا فيه ، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان ، فأصيب يومئذٍ بنو هلال ، وملأ القوم أيديهم من الغنائم ، ففي ذلك يقول حاجز بن عوف :

صباحك واسلمي عنا أماما ... تحيّة وامقٍ وعِمي ظلاما
برهرهةٌ يحار الطرف فيها ... كحقّةِ تاجر شُدّت ختاما[3]
فإن تمس ابنةُ السهميّ منّا ... بعيداً لا تكلّمنا كلاما
فإنكِ لا محالة أن تريني ... ولو أمست حبالكم رماما
بناجية القوائم عيسجورٍ ... تَدارك نِيُّها عاماً فعاما[4]

(١) الصرم ، بالكسر : الجماعة .

(٢) الظلع : غمز في المشي شبيه بالعرج .

(٣) برهرهة : بضة غضة . والحقة بضم الحاء : وعاء من خشب أو من عاج .

(٤) الناجية : السريعة ، ولا يوصف بها البعير . والعيسجور : الناقة الصلبة السريعة . تدارك : تلاحق . والني بكسر النون وفتحها : الشحم .

سلي عنّي اذا اغبرّت جمادى   وكان طعام ضيفهم الثاما [1]
ألسنا عِصمة الأضياف حتى   يَضحّى مالهم نَفَلا تواما [2]
أبي رَبع الفوارس يوم داجٍ   وعمي مالكٌ وضع السّهاما [3]
فلو صاحبتنا لرضيت منا   اذا لم تغبق المائة الغلاما [4]

يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشِر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد اذا غنموا الربع ، لأنّ الرياسة في الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم : « الغطاريف » وهم أسكنوا الأسدَ بلد السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة اذا وجبت عليهم ، فغزتهم بنو فُقَيم بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالك بن سلامان ، وهو عمّ أبي حاجز ، وقال : « هيهاتَ ، ترك الرُّبع غدوة° » فأرسلها مثلاً ، فقال له الحارث : أتراك يا مالك تقدِر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذاك . فقال : أعطني ولو جَعباً – والجعب : البعر في لغتهم – لئلا تسمع العرب أنك منعتني . فقال مالك : « فمن سماعها أفرّ » ، ومنعه الربيع ، فقال حاجز في ذلك :

ألا زعمت أبناء يشكر أننا   بربعهم باؤوا هنالك ناضلُ [6]

(١) اغبرت جمادى : قل الخير وذلك في الشتاء . والثام : نبت ضعيف .

(٢) ضحى إبله : رعاها وقت الضحى . والنفل : الهبة والعطية . والتوام : تسهيل تؤام ، وهو المزدوج .

(٣) ربعهم : أخذ منهم المرباع ، وهو ربع الغنيمة .

(٤) تغبق : تسقي الغبوق ، وهو الشرب بالعشي .

(٥) ترك الربع غدوة : مثل « الصيف ضيعت اللبن » .

(٦) باؤوا : فخروا . الناضل : الغالب .

ستمنعنا منكم ومن سوء صُنعكم   صفائح بيض أخلصتها الصياقلُ
وأسمرُ خطّيٌ اذا هُزّ عاسلٌ   بأيدي كماةٍ جرّبتها القبائل [١]

وقال أبو عمرو : جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدوان ، فدلّهم على خثعم ، فأصابوا منهم غِرّة وغنموا ما شاؤوا ، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعّدونه ويرصدونه ، فقال :

وإنّيَ من إرعادكم وبروقكم   وإيعادكم بالقتل صُمٌّ مسامعي [٢]
وإني دليل غير مخفٍ دلالتي   على ألفِ بيتٍ جدُّهم غير خاشع
ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى   كذا كلُّ مشبوح الذراعين نازع [٣]
على أيّ شيء لا أبا لأبيكم   تشيرون نحوي نحوكم بالأصابع

عمرو بن معد يكرب يطعن حاجزاً :

وقال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد يكرب ، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان ، فالتقوا واقتتلوا ، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزاً فأنفذ فخذه ، فصاح حاجز : يا آل الأزد ! فندم عمرو وقال : خرجت غازياً وفجعت أهلي . وانصرف ، فقال عُزَيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو حاجزاً ، فقال :

أعجز حاجزٌ منّا وفيه   مثلثلة كحاشية الإزارِ [٤]
فعز عليّ ما أعجزت منّي   وقد أقسمت لا يضربك ضار

(١) العاسل : الرمح المهتز .

(٢) الايعاد : التهديد .

(٣) المجاسد : الثياب المصفرة بالزعفران .

(٤) المثلثلة : القربة التي تفيض دما .

فأجابه حاجز فقال :

إن تذكروا يوم القريّ فإنــه بَواءٌ بأيامٍ كثيرٍ عديدهــا [١]
فنحن أبحنا بالشخيصة واهناً جهاراً فجئنا بالنساء نَقودها [٢]
ويوم كَراء قد تدارك ركضنا بني مالكٍ والخيل صُعرٌ خدودها [٣]
ويوم الأراكات اللواتي تأخّرت سراة بني لهبان يدعو شريدها [٤]
ونحن صبحنا الحيَّ يوم تنومةٍ بملومة يهوى الشجاعَ وئيدُها [٥]
ويوم شروم قد تركنا عصابة لدى جانب الطرفاء حُمراً جلودها [٦]
فما رغمت حلفاً لأمرٍ يصيبها من الذل إلا نحن رغماً نزيدها

خثعم تحيط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو :

وقال أبو عمرو : بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم ، وكان معه بشير بن أخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم . ففعلا ، وكانت في ساق حاجز شامةٌ ، فنظرت اليها امرأةٌ من خثعم ، فصاحت : يا آل خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : أكفيكم سلاحه أو عَدوه . فقالوا : لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثله ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسرّ بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي ، حتى قاربه ، فصاحت بـه خثعم :

---

(١) القري : واد . البواء : الكفء ، والنظير .

(٢) الشخيصة : اسم مكان .

(٣) كراء : ثنية بالطائف .

(٤) الأراكات : أودية قرب مكة .

(٥) الملومة : الكتيبة المجتمعة .

(٦) شروم : قرية كبيرة باليمن بها عيون وكروم . والطرفاء : نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة .

يا عوف ارم حاجزاً. فلم يُقدم عليه، وجبُن، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الذمام، فاقتل عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وترُهُ، لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه، فأخذ قوس بشير بن أخيه فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونجا به نحو خثعم، فنزل حاجز عنه، فرّ فنجا وقال في ذلك:

فِدى لكما رجليّ أمي وخالتي ... بسعيكما بين الصفا والأثائبِ [1]
أوان سمعتُ القوم خلفي كأنهم ... حريق أباه في الرياح الثواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم ... يُضيء لدى الأقوام نار الحُباحب [2]
فغير قتالي في المضيق أغاثني ... ولكن صَريح العَدْو غير الأكاذب
نجوت نجاه لا أبيك تبثه ... وينجو بشير نجوَ أزعرَ خاضب [3]
وجدتُ بعيراً هاملًا فركبته ... فكادت تكون شرَّ ركبة راكب [4]

حاجز يغير على بني هلال:

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حُجَّاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز:

(١) الأثائب: جمع أثأب، وهو شجر ينبت في بطون الأودية.

(٢) الحباحب: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج.

(٣) لا أبيك: لعله أراد: لا وأبيك. ويقال نجا ينجوا نجواً: خلص. والأزعر: القليل الشعر. والخاضب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، وهو الذكر من النعام.

(٤) الهامل: المتروك سدى ليلًا ونهاراً.

يا ضمرُ هل نلناكم بدمائنا ... أم أهل حذونا نَعلكم بمثالِ
تبكي لقتلى من فُقيم قُتِلوا ... فاليوم تبكي صادقاً لهلال
ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفة على الأكفال [1]
يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقحت على الدكّاء بعد حِيال [2]

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد، ولا عُرف له خبر، فكانوا يرون أنه مات عطشاً أو ضلّ، فقالت أخته ترثيه:

أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حيّاً ... فيسلك بين جندف والبهيم [3]
ويشربَ شربةً من ماء ترج ... فيصدر مِشية السبع الكليم [4]

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة، قال:

كان حاجز الأزدي مع غاراته كثيرَ الفرار، لقي عامراً فهرب منهم فنجا، وقال:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي ... عشيةَ بين الُجرف والبحر من بعرِ [5]
عشيةَ كادت عامرٌ يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكر [6]

---

(١) المردفة: التي اركبت خلف الراكب. والأكفال جمع كفل: العجز.

(٢) الدكاء: رابية من طين. والحيال: العقم.

(٣) جندف: جبل باليمن. والبهيم: جبل أيضاً.

(٤) ترج وبيشة: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن.

(٥) فرتي: فراري. والجرف بضم الجيم: موضع باليمن. والبعر: مكان بين مكة واليامة، ماء لبني ربيعة بن عبد الله بن كلاب.

(٦) راغية البكر: صوته. والبكر: الفتى من الإبل، يراد به بكر ناقة صالح، وهو مثل في الشؤم.

فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجله ... وقد كاد يلقى الموت في خلفة الصقر [١]
بمثلي غداة القوم بين مقنّع ... وآخر كالسكران مرتكز يفري [٢]

وفرّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبيّ، ففاته حاجز، وقال في ذلك:

وكأنما تبع الفوارس أرنبا ... أو ظبيَ رابيةٍ خُفافا أشعبا [٣]
وكأنما طردوا بذي نمراته ... صدعا من الأروى أحسَّ مكلّبا [٤]
أعجزتُ منهم والأكفُّ تنالني ... ومضت حياضهم وآبوا خُيّبا
أدعو شَنوءة غثّها وسمينها ... ودعا المرقّع يوم ذلك أكلبا [٥]

قال يخاطب [٦] عوض أمسى:

أبلغ أميمة عوض أمسى بزّنا ... سلباً وما إن سرّها أن نُنكبا
لولا تقارب رأفة وعيونها ... حمشاً مصعداً ومصوّبا

صوت

يا دار من ماويّ بالسهب ... بنيت على خطب من الخطب [٧]

---

(١) أخطت: أخطأت. وخلفة الصقر: اختلافه مرة بعد مرة.

(٢) يفري: يبالغ في النكاية والقتل.

(٣) الرابية والرباة: كل ما ارتفع عن الأرض. والظبي الاشعب: البعيد ما بين القرنين.

(٤) الصدع بالعين المهملة تصحيح الشنقيطي: الفتى الشاب القوي من الاوعال وقيل هو الوسط منها. والاروى: أنثى الوعل، او هو تيس الجبل.

(٥) شنوءة بالشين: قبيلة، وكذلك أكلب.

(٦) وقال يخاطب، زيادة عن بعض الاصول.

(٧) السهب: اسم موضع.

إذ لا ترى إلا مُقاتلة وعجانسا يُرقلن بالرّكب[١]
ومُدجّجاً يسعى بشكّته مُحمرّةً عيناه كالكلب[٢]
ومعاشراً صدأ الحديد بهم عَبَقَ الهناء مخاطم الجرب[٣]

الشعر للحارث بن الطفيل الدّوسي ، والغناء لمعبد ، رمل بالبنصر ، من رواية يحيي المكي ، وفيه لابن سريج خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله أعلم .

---

(١) العجانس : جمع عجنس : الشديد الضخم من الإبل .

(٢) الشكة : السلاح .

(٣) الهناء يقال هنأ الإبل يهنؤها مثلثة النون : طلاهـا بالهناء ، ككتاب وهو القطران . عبق الهناء ، أي يحكي عبق الهناء . والعبق : مصدر عبق به ، أي لصق . والمخاطم : جمع مخطم كمجلس ومنبر : مقدم أنفها وفمها .

اخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غَنم بن دوس بن عبد الله بن عُدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضاً، وهو أول من وفد من دوس على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم وعاد الى قومه، فدعاهم الى الإسلام.

أخبرني عمي قال: حدثنا الخزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وفود الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه:

أنّ الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكة حاجاً، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة، وكان رجلاً يعصو – والعاصي البصير بالجراح، ولذلك يقال لولده: بنو العاصي – فأرسلته قريشٌ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عنده، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام، فقال له: إنّي رجلٌ شاعرٌ، فاسمع ما أقول. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هات. فقال:

لا وإله الناس نألَمُ حربَهم ولو حاربتنا مُنهبٌ وبنو فهم

ولمَّا يكن يومٌ تزول نجومه تطير به الرُّكبان ذو نبإٍ ضخم
أسلماً على خسف ولستَ بخالدٍ ومالي من واقٍ اذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناسَ خيفة ويصبح طيرٌ كانساتٍ على لحم [1]

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أقول فاستمع ، ثم قال : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» . ثم قرأ : «قل أعوذ برب الفلق» ، ودعاه الى الاسلام فأسلم ، وعاد الى قومه ، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماء ، حتى نزل بروق ، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نور في طرف سوطه ، فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : نار أحدثت على القدوم ثم على بروق لا تطفأ . فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه الى الاسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه ، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة ، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع ، فلقيه بطريق يزخرخ ، وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول :

يا طولها من ليلةٍ وعناءها على أنها من بلدة الكفر نجّت

ثم أتى الطفيل بن عمرو النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : ما وراءك ؟ فقال : بلادٌ حصينة وكفر شديد . فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : «اللهم اهد دوساً» ثلاث مراتٍ . قال أبو هريرة : فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خِفت أن يدعو على قومي فيهلكوا ، فصحت : واقوماه ! فلما دعا لهم سُرّيَ عني ، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه ، فقال له : لم أحبَّ هذا منك يا رسول الله . فقال له : إن فيهم مثلك كثيراً . وكان جندب بن عمرو ابن حممة بن عوف بن غويّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنهب

(١) كانسات : مقيات .

ابن دوس يقول في الجاهلية : إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو . فخرج حينئذٍ في خمسةٍ وسبعين رجلاً حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلموا . قال أبو هريرة : ما زلت ألوي الآجرة[١] بيدي ، ثم لويت على وسطي حتى كأني بجاد[٢] أسود ، وكان جندب يقرّبهم الى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً ، فيسلمون .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارث بن الطفيل ، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهمان بن نصر بن زهران .

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرّح بن النعمان ابن الجبّار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر ، سيد آل الحارث ، كان يقول لقومه : أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان رياستكم . وكان ضِمادُ يتعيف[٣] ، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلّها ، فكانت دوسُ اتباعاً لهم ، وكان القتيلِ من آل الحارث تؤخذ له ديتان ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة ، فقال غلامان من بني الحارث يوماً : ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون الى أمره فلنقتله . فأتياه ، فقالا : يا عم ، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه . فأخرجاه من منزله ، فلما تنحيا به قال له أحدهما : يا عم ، إن رِجلي قد دخلت فيها شوكة ، فأخرجها لي . فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله ، فعمدت دوس الى سيّد بني الحارث ، وكان نازلاً بقَنونى[٤] فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي ، وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها ، فجعلت الناقة ترغو وتحنّ الى الإبل ، فنزل الشيخ الى

(١) الآجرة : واحدة الآجر ، الطين المحروق .

(٢) البجاد : كساء مخطط من اكسية الاعراب يشتملون به .

(٣) يتعيف : يتكهن .

(٤) قنونى : من اودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

الغيضة ليعرف شأن الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتوا أهله ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا[١] بهم فقاتلوهم فتناصفوا ، وظفرت بنو الحارث بغلمة من دوس فقتلوهم ، ثم إن دوساً اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلاً ، فقالوا : من يكلمنا ، من يمانينا[٢] حتى نغزو أهل ضماد ؟ فكان ضماد قد أتى عكاظ ، فأرادوا أن يخالفوه الى أهله ، فمروا برجل من دوس وهو يتغنى :

فأن السلم زائدة نواها وإن نوى المحارب لا تروب[٣]

فقالوا : هذا لا يتبعكم ، ولا ينفعكم أن تبعكم ، أما تسمعون غناءه في السلم . فأتوا حممة بن عمرو ، فقالوا : أرسل الينا بعض ولدك . فقال : وأنا إن شئتم . وهو عاصب حاجبيه من الكبر . فأخرج معهم ولده جميعاً ، وخرج معهم ، وقال لهم : تفرقوا فرقتين ، فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا ، وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضاً . ففعلوا ، فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحي من آل الحارث ، وقتلوا ابناً لضماد ، فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها ، وصرخ في آل الحارث ، فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوس تجمع بإزائه ، وهم مع ذلك يتغاورون[٤] ويتطرف بعضهم بعضاً[٥] ، وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ : إن كنت تحرز[٦] أهلي ، وإلا أقمت عليهم . فقال له : أنا أحرزهم من مائة ؛ فإن زادوا فلا . وكانت تحت ضماد امرأة من دوس ، وهي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر ، فلما أغارت دوس على بني الحارث قصدها

---

(١) يقال نذر بالعدو : علمه فحذره .

(٢) ماناه : لزمه ، وانتظره ، وداراه .

(٣) تروب : تفتر .

(٤) يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

(٥) يقال : تطرف عليهم ، أي اغار . اللسان (طرف) .

(٦) تحرز : تحصن .

أخوها ، فلاذت به ، وضمت فخذها على ابنها من ضمادٍ ، وقالت : يا أخي اصرف عني القوم ، فإني حائض لا يكشفوني . فنكز سية القوس في درعهـا ، وقال : لست بحائض ، ولكن في درعك سَخلةٌ بكذا مِن آل الحارث ، ثم أخرج الصبيَّ فقتله ، وقال في ذلك :

ألا هل أتى أمّ الحصَين ولو نأت ... خِلافتنا في أهله ابن مُسرِّحِ
ونضرةُ تدعو بالفناء وطلقها ... ترائبه ينفحن من كل مَنفحِ [١]
وفرّ أبو سفيان لما بدا لنـا ... فِرار جبانٍ لأمّه الذلّ مُقرحِ [٢]

قال : فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يومُ حضرة الوادي ، فتحاشدَ الحيّان ، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم ، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبل ، وأتتهم دوس ، وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هنداً وجندلة وفطيمة ونضرة ، فبنين بيتاً ، وجعلن يستقين الماء ، ويحضِّضن [٣] . وكان الرجل اذا رجع فاراً أعطينه مُكحلة ومجمراً [٤] ، وقلن : معنا فانزل — أي إنك من النساء — وجعلت هندُ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول :

مَن رجلٌ ينازل الكتيبه ... فذلكم تَرني به الحبيبه

فلما التقوا رمى رجلٌ من دوس رجلاً من آل الحارث ، فقال : خُذها وأنا أبو الزبن [٥] ، فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث بحضرة الوادي : يا قوم زُبنتم

(١) الطلق ، اصل معناه الظلي ، ويقال ايضاً : ناقة طلق : لاعقال عليها . والترائب : عظام الصدر . ينفحن : ينضحن بالدم .

(٢) مقرح : مجروح .

(٣) التحضيض : الحث .

(٤) المكحلة : وعاء الكحل . والمجمر : ما يوضع فيه الجمر .

(٥) الزبن : الدفع . وحرب زبون : يدفع بعضها بعضاً . وزابنه : دافعه .

فارجعوا . ثم رجل[1] آخر من دوس، فقال : خذها وأنا أبو ذِكْر[2] . فقال ضماد : ذهب القوم بذكرها ، فاقبلوا رأيي وانصرفوا . فقال : قد جبنت يا ضماد . ثم التقوا ، فأبيدت بنو الحارث . هذه رواية أبي عمرو .

وأمّا الكلبي فإنه قال : كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف ، وكان لهم ديتان ، ولسائر قومه دية ، وكانت لهم على دوس إتاوةٌ يأخذونها كل سنة ، حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدّوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب ، ثم يدخل ، فيجيء الدوسي ، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه : ما هذا التطوُّل الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بنيّ ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا ، فأعرِض عن ذكره . فأعرض عن هذا الأمر ، وإن رجلاً من دوس عرّس بابنةِ عم له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكري ، ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك ، فجمع دوساً وقام فيهم فحرّضهم وقال : الى كم تصبرون لهذا الذلّ ، هذه بنو الحارث ، تأتيكم الآن تقاتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراماً أو تموتوا كراماً . فاستجابوا له ، وأقبلت اليهم بنو الحارث فتنازلوا ، واقتتلوا ، فظفرت بهم دوس ، وقتلتهم كيف شاءت ، فقال رجل من دوس يومئذٍ :

قد علمت صفراء حرشاء الذيل[3] شرّابة المحض تروكٌ للقيل[4]
ترخي فروعاً مثل أذناب الخيل أنّ بروقا دونها كالويل
ودونها خرطُ القتاد بالليل[5]

(١) اي ثم رمي رجل آخر .
(٢) ابو ذكر : اي ابو الصيت والثناء .
(٣) الحرشاء : الخشنة .
(٤) المحض : الخالص . والقيل بالياء : اللبن يشرب نصف النهار . ويقال هو شروب للقيل .
(٥) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو :

يا دار مِن ماويّ بالسَّهبِ ... بُنيت على خَطبٍ من الخطبِ
إذ لا ترى إلا مقاتلةً ... ومجانساً يُرقِلن بالركب [١]
ومُدجّجاً يسعى بشِكّته ... محمرّةٌ عيناه كالكلب [٢]
ومعاشرا صدأ الحديد بهم ... عبق الهناء مخاطم الجُرب [٣]
لما سمعت نزالِ قد دعيت ... أيقنت أنهم بنو كعب
كعب بن عمرو لا لكعب بني الـ ... ـعنقاء والتِّبيان في النسب
فرميت كبش القوم مُعتمداً ... فمضى وراشوه بذي كعب [٤]
شكّوا بحقويه القداح كما ... ناط المعرّض أقدح القضب [٥]
فكأنّ مُهري ظلّ مُنغمساً ... بشبا الأسنة مَغرةُ الجأب [٦]
يا ربّ موضوعٍ رفعتُ ومر ... فوع وضعت بمنزل اللِّصب [٧]
وحَليل غانية هتكتُ قرارها ... تحت الوغى بشديدة العضب [٨]
كانت على حُبّ الحياة فقد ... أحللتها في منزل غرب [٩]

(١) العجانس : ومفردها عجنس كعملس : الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل وبطء .

(٢) الشكة : السلاح .

(٣) الهناء بالكسر : القطران . والمخاطم : ما يقاد منه البعير مكان الخطام .

(٤) الكبش : الرئيس . راشوه حابوه من الرشوة ، والكلام تهكم . وذي كعب : الرمح .

(٥) شكوا : يقال شكه بالرمح انتظمه وفي السلاح دخل . والحقو : الخصر . والقداح : السهام . ناط : علق . والمعرض : الرامي الذي يعرض القوس عرضاً اذا أضجعها ثم رمى عنها . والاقدح جمع قدح بالكسر : السهم قبل أن يراش أو ينصل . والقضب جمع قضيب ، وهو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق .

(٦) المغرة بالفتح : لون الى الحمرة . والجأب : موضع .

(٧) اللصب بالكسر : مضيق الوادي . واللواصب : الآبار البعيدة القعر .

(٨) العضب : الطعن والقطع .

(٩) الغرب : البعيد .

«جانيك مَن يجني عليك وقد تُعدي الصِّحاح مبارك الجرب [١]»

هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج؛ وليس هو في هذه القصيدة، ولا وُجد في الرواية، وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تضيف المغنون شعراً الى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً اذا اختلف الرويّ والقافية.

صوت

صرفت هواك فانصرفا ولم تدع الذي سلفا
وبنتَ فلم أمت كلفا عليك ولم تمت أسفا
كلانا واجد في النا س ممن ملّه خلفا

الشعر لعبد الصمد بن المعذّل، والغناء للقاسم بن زُرزور، رملٌ بالوسطى. وفيه لعمرَ الميداني هزجٌ.

(١) الصحاح: الصحيحة من الإبل.

أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غَيلان بن الحكم بن البختريّ بن المختار بن ذريح ابن أوس بن همّام بن ربيعة بن بشير بن حُمران بن حِدرجان بن عساس بن ليث ابن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزارٍ . وقيل : ربيعة بن ليث بن حمران .

وجدت في كتابٍ بخط أحمد بن كامل : حدثني غيلان بن المعذّل أخو عبد الصمد ، قال : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد ، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعمي . والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دُعمي . ويكنى عبد الصمد أبا القاسم ، وأمه أم ولد يقال لها : الزّرقاء . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان ، شديد العارضة ، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً ، إلا أنه كان عفيفاً ، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وعبد الصمد أشعرهما ، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجدّه غيلان شاعرين ، وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير ، والمعذّل بن غيلان هو الذي يقول :

الى الله أشكو لا الى الناس أنني ... أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلّةً في إخوة وأقاربٍ ... وذي رحم ما كان مِثلي يُضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قُدرةٌ ... لفاض عليهم بالنوال ربيعها

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرّد، وأنشدناه محمد بن خلف ابن المرزبان عن الرّبعي أيضاً. قالا: وهو القائل:

ولست بميّالٍ الى جانب الغنى اذا كانت العلياء في جانب الفقرِ
وإنّي لصبّارٌ على ما ينوبُني وحسبك أنّ الله أثنى على الصبر

أخبرني محمد بن خلفٍ، قال: حدثنا النّخعي واسحاق، قال: هجا أبان اللاحقي المعذّل بن غَيلان، فقال:

كنت أمشي مع المعذّل يوماً ففسا فَسوةً فكدت أطيرُ
فتلفتُّ هل أرى ظَرِبانا[1] من ورائي والأرض بي تستدير
فإذا ليس غيره واذا إعصارُ ذاك الفساء منه يفور
فتعجّبت ثم قلت لقد أعرف، هذا فيما أرى خنزير

فأجابه المعذّل فقال:

صحّفتْ أمُّك إذ سمّتك بالمهد أبانا
قد علمنا ما أرادت لم تُرِدْ إلا أتانا
صيّرتْ باءً مكان التاء والله عِيانا
قطع الله وشيكاً مِن مُسمّيك اللسانا

المعذل وعبد الله بن سوار:

أخبرني عمي قال: حدثنا المبرد قال: مرّ المعذّل بن غيلان بعبد الله بن سوّار العنبري القاضي، فاستنزله عبد الله، وكان من عادة المعذّل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

---

(١) الظربان: دويبة صغيرة منتنة جداً، ويقال إنها اذا فست في ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى.

أَمِن حق المودةِ أن نُقضِّي ذِمامكم ولا تقضوا ذماما
وقد قال الأديب مقال صِدقٍ رآه الآخرون لهم إماما
اذا أكرمتكم وأهنتموني ولم أغضب لذلكم فذاما[1]

قال : وانصرف ، فبكَّر اليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أبا عمرو مغضباً . فقال : أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك . قال : ذَنبك أشد من عذرك ، وما لي أنا أعرف خبر حقوقك ، وأَنت لا تعرف خبر حقوقي ؟! فما زال عبد الله يعتذر اليه حتى رضيَ عنه .

هجاء عبد الصمد لشروين المغني :

حدثني الحسن بن علي الخفاف ، قال : حدثنا ابن مهرويه عن الحمدوني ، قال : كان شروين حسن الغناء والضرب ، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه ، وتُلوّح له بخرقة حمراء ، ليظنَّها امرأةً تطالعه ، فكان حينئذٍ يغنّي أحسن ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك ، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور ، فقال يهجوه :

مَن حلّ شروين له منزلا فلتنهه الأُولى عن الثانيه
فليس يدعوه الى بيته إلّا فتًى في بيته زانيه

هجاؤه لزان متزوّج زانية :

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني أبو عمرو البصري ، قال : قال عبد الصمد بن المعذّل في رجلٍ زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأةٌ تزني ، فقال :

---

(١) أي ماذا يسمى ذلك .

إن كنتِ قد صفَّرتِ أذن الفتى | فطالما صفَّر آذانا
لا تعجبي إن كنتِ كشخنته | فإنَّما كشخنتِ كشخانا[1]

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية :

أخبرني جعفر بن قُدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال : حدثنا سوّار بن أبي شراعة ، قال :

كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري ، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنة الغناء ، وكان ابن الجوهري شيخاً همّاً قبيح الوجه ، فتعشَّقت فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه ، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً ، فاجتمعت معه مراراً في منزله ، وكان عبد الصمد يعاشره ، فكان الفتى يكاتمه أمره ، ويحلف له أنَّه لا يهواها ، فدخلت عليهما ذات يومٍ بغتةً ، فبقيَ الفتى باهتاً لا يتكلَّم ، وتغير لونُه وتخلَّج في كلامه ، فقال عبد الصمد :

لسانُ الهوى ينطقْ | ومَشهدُه يَصدقْ
لقد نمَّ هذا الهوى | عليك وما يُشفق
إذا لم تكن عاشقاً | فقلبك لِمْ يخفق[2]
ومالك اممَّا بدَتْ | تحارُ فلا تنطق
أشمسٌ تجلَّت لنا | أم القمرُ المشرق

الغناء في هذه الأبيات لزاذٍ ، ويقال للقاسم بن زرزور ، رملٌ مطلقٌ .

---

(١) كشخن الرجل : صار لا يغار واتهم بالديانة ، وهي أن يرى الرجل العمل الفاضح في أهله ولا يغار .

(٢) لم يخفق : أي لماذا يخفق .

قال : ثم طال الأمر بينهما ، فهربت اليه جملةً ، فقال عبد الصمد في ذلك :

الى امرئٍ حازم ركبَتْ ... أيَّ امرئٍ عاجزٍ تركتْ
فتنةٌ ابن الجوهريِّ لقد ... أظهرَتْ نُصحا وقد أفِكت
أكذَبتها عزمةٌ ظهرت ... لا تبالي نفس مَن سفكت
ظفرتْ فيها بما هويَت ... ونجت من قُرب من فركت [1]
ثم خدودٌ بعدها لُطِمت ... وجيوبٌ بعدها هُتكت
وعيون لا يُرقّأن على ... حُسن وجه فاتهنّ بكت
خرَجت والليل معتكرٌ ... لم يَهُلها أيةً سلكت
وعيون الناس قد هجعت ... ودجى الظلماء قد حلكت
لم تخف وجداً بعاشقها ... حُرمةَ الشهر الذي انتهكت
ورأت لمّا سقت كمداً ... أنها في دينها نسكت
مُلِئت كفٌ بها ظفرت ... دون هذا الخلق ما ملكت
أيُّ ملك اذا خلا وخلت ... فشكا أشجانه وشكت
تجتلي من وجهه ذهباً ... وهو يجلو فضّةً فتكت
هكذا فعلُ الفتاة اذا ... هي في عشاقها محكت [2]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال : حدثني بعض أصحابنا قال :

هجاؤه لجار له يمشي مشية منكرة :

نظر عبد الصمد بن المعذّل الى جارٍ له يخطر في مشيته خطرةً منكرة ، وكان فقيراً رثَّ الحال ، فقال فيه :

---

(١) فركت : كرهت .

(٢) محكت : لجت وأمعنت . ومن معانيه عسر الخلق .

يتمشّى في ثوب عَصبٍ من العُرْ ي على عظم ساقه مسدولِ[1]
دبَّ في رأسه خُمــارٌ من الجو ع سُرَى خمرة الرحيق الشمول[2]
فبكى شجوه وحنَّ الى الخُـبز ونادى بزفرةٍ وعويـل
من لقلبٍ متيَّم برغيفيـن ونفسٍ تاقت الى طِفشيـل[3]
ليس تسمو الى الولائم نفسي جلَّ قدرُ الأعراس عن تأميلي[4]
هاتِ لوناً وقُل لتلك تغنّي لست أبكي لدارسات الطُّلول

رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي :

أخبرنا سوّار بن أبي شراعة ، قال : كان بالبصرة طُفيليٌّ يُكنَّى أبا سلمة ، وكان اذا بلغه خبرُ وليمة لبس لِبس القضاة ، وأخذ ابنَيه معه وعليهما القلانس الطوال ، والطيالسة الرقاق[5] ، فيقدّم ابنيه ، فيدقّ الباب أحدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سلمة . ثم لا يلبث البواب حتى يتقدّم الآخر ، فيقول : افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة . ويتلوهم ، فيدقّون جميعاً الباب ، ويقولون : بادر ويلك ، فإنّ أبا سلمة واقف . فإن لم يكن عرفهم فتح لهم ، وهاب منظرهم ، وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتفت اليهم ، ومع كل واحد منهم فِهرٌ مدوَّر يسمونه[6] « كيسان » ، فينتظرون حتى يجيء بعض من دعي ، فيفتح له الباب ، فإذا فُتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب ، فلا يقدر البواب على غلقه ، ويهجمون

(١) العصب : ضرب من البرود .

(٢) الخمار : ألم الخمر وصداعها ، ومثله الخمرة بالضم . والشمول : الباردة .

(٣) الطفشيل : نوع من المرق ، أو ضرب من الطعام .

(٤) التأميل : التثبت في الامر والنظر .

(٥) القلانس : ألبسة الرأس . والطيالسة : ملابس سود .

(٦) الفهر : الحجر .

عليه فيدخاون . فأكل أبو سلمة يوماً على بعض الموائد لقمةً حارّة من فالوذج[١] ، وبلعها لشدّة حرارتها ، فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة ، فقال عبد الصمد بن المعذّل يرثيه :

أحزان نفسي عليها غيرُ مُنصرمه وأدمعي من جفون الدهر منسجمه[٢]
على صديقٍ ومولًى لي فُجعتُ به ما إن له في جميع الصالحين لُمَه[٣]
كم جفنةٍ مثل جَواب الحوض مُترعةٍ كوماء جاء بها طبّاخُها رذِمه[٤]
قد كلّلتها شحومٌ مِن قَليّتها ومن سَنام جزورٍ عَبطةٍ سنمه[٥]
غُيّبتَ عنها فلم تعرف له خبرا لهفي عليك وويلي يا أبا سلمه
ولو تكون لها حيّاً لما بَعُدت يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمه[٦]
قد كنت أعلم أنّ الأكل يقتله لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه
اذا تعمّم في شبليه ثم غدا فإنّ حوزةَ من يأتيه مصطلمه[٧]

شعره في فتى عشقه :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه ، قال :

---

(١) الفالوذج : حلوى من الماء والدقيق والعسل .

(٢) منسجمة : منصبة سائلة .

(٣) اللمة ، بالضم : المثل والشكل .

(٤) الكوماء : المرتفعة . والرذمة : التي تسيل دسما .

(٥) الجزور . الناقة المذبوحة . والعبطة : ما ذبحت من غير علة . والسنمة : العظيمة السنام .

(٦) الجاحم الحطمة : النار الشديدة .

(٧) الشبلان : عنى بها الولدين . والمصطلمة : المستأصلة .

كان عبد الصمد بن المعذّل يتعشّق فتًى من المغنين ، يقال له أحمد ، فغاضبه الفتى وهجره فكتب اليه :

صوت

سَلْ جَزَعي مُذ صددت عن حالي هل خطر الصبر على بالي
لا غيَّر الله سوء فعلك بي إن كنت أعتبتُ فيك عذّالي
ولا ذممتُ البكا لي عليك ولا حمدتُ حسنَ السلوّ من سال
لو كنت أبغي سواك ما جهلتْ نفسيَ أنّ الصدود أعفى لي[1]

لجحظة في هذه الأبيات رملٌ مطلق .

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال : حدثني عليُّ بن محمد النوفلي ، فقال :

هجا عبد الصمد بن المعذّل قينةً بالبصرة قال فيها :

تفترُّ عن مضحك السّدريّ إن ضحكت كَفَّ الأتان رأت إدلاء أعيار[2]
يفوحُ ريحُ كنيفٍ من ترائبها سوداء حالكةٌ دهماء كالقار[3]

قال : فكسدت والله تلك القينة بالبصرة ، فلم تُدعَ ولم تُستتبع حتى أخرجتْ عنها .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا المبرد ، قال :

---

(١) أعفى : أطيب وأحسن .

(٢) السدري ، عنى به أبا نبقة السدري كرف الاتان : شم بول الاتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته . الادلاء : يقال أدلى الفرس أو البعير : أخرج ذكره ليبول . والاعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

(٣) الترائب : عظام الصدر ، أو ما بين الثديين ، أو أربع أضلاع من جانبي الصدر ، أو موضع القلادة .

كتب عبد الصمد بن المعذل الى بعض الامراء رُقعةً فلم يجبه عنها ، لشيء كان بلغه عنه ، فكتب اليه :

قد كتبتُ الكتاب ثم مضى اليو م ولم أدرِ ما جواب الكتابِ
ليتَ شِعري عن الأمير لماذا لا يراني أهلاً لردّ الجواب
لا تدعني وأنت رفّعتَ حالي ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي
إن أكن مذنباً فعندي رجوعٌ وبلاء بالعذر والإعتاب
وأنا الصادق الوفاء وذو العهـ ـد الوثيق المؤكد الأسباب

هجاؤه للمهلبي الذي كان يخدع الفتيات :

أخبرني الحرمي بن علي ، قال : حدثني أبو الشبل ، قال :

كان بالبصرة رجلٌ من ولد المهلّب بن أبي صُفرة ، يقال له : صبيانة ، وكان له بستان بِسريٍّ في منزله ، فكان يدعو الفتيات اليه ، فلا يعطيهنّ شيئاً من الدراهم ، ويُقصر بهنّ على ما يحملنه من البستان معهنّ ، مثل الرُّطب والبقول والرياحين ، فقال فيه عبد الصمد قوله :

قومٌ زناةٌ ما لهم دراهم جذرهم النّمام والحماحِم[١]
أنذل من تجمعه المواسم خَسُّوا وخسَّت منهم المطاعم
فعدلهم إن قِسته المظالم

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني سَوّار بن أبي شُراعة ، وأخبرنا به سوار أجازة ، قال : حدثني أبي ، قال :

لمّا هجا الجماز عبد الصمد بن المعذّل جاءني فقال لي : أنقذني منه . فقلت له :

---

(١) الجذر : الاصل . والنام نبت طيب . والحماحم : الحبق البستاني العريض الورق .

أمثلك يَفرَق[١] من الجماز ؟ فقال : نعم ، لأنه لا يبالي بالهجاء ، ولا يَفرَق منه ، ولا عِرض له ، وشعره ينفق[٢] على من لا يدري . فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه :

ابن المعـذّل مَن هو ومَن أبوه المعـذّلْ
سألت وَهبان عنـه فقال بَيضٌ محـوّل[٣]

قال : وكان وَهبان هذا رجلًا يبيع الحمام ، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه ، وجعل يغشى المجالس ، ويحلف أنّه ما قال : إن عبد الصمد بيضٌ محوّل ، ويسألهم أن يعتذروا اليه؛ فكان هذا منه قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ، ويقول لي : ألم أُقل لك إنّ آفتي منه عظيمةٌ ، والله لدَوران وهبان على الناس يحلف لهم : إنه ما قال : إني بيضٌ محوّل ، أشدُّ عليّ من هجائه لي . فبعثت الى وهبان فأحضرته ، وقلت له : يا هذا ، قد علمنا أنّ الجماز قد كذب عليك ، وعذرناك فنحبُّ أن لا نتكلف العذرَ الى الناس في أمرنا ، فإنّا قد عذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحويّ صِهر المبرد ، قال : حدثني اسحاق ابن محمد النخعي قال : قال لي أبو شُراعة القيسيّ :

بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعذّل هجاه ، واجتمعا عند أبي واثلة السَّدوسيّ ، فقال له مضرطان : بلغني أنك هجوتني . فقال له عبد الصمد : من أنت حتى أهجوَك ؟ قال : هـذا شرٌّ من الهجاء . فوثب الى عبد الصمد يضربه ، فقال الحمدويّ ، وهو اسماعيل بن ابراهيم بن حَمدَوَيه ، وحمدويه جدُّه ، وهو الذي كان يقتل الزنادقة :

---

(١) يفرق : يخاف ويفزع .

(٢) ينفق : يروج وينتشر .

(٣) محول : أي حضنه غير أبويه .

ألذُّ من صُحبة القناني أو اقتراحٍ على قِيانِ[١]
لكزُ فتًى من بني لكيزٍ يُهدى له أهون الهوان[٢]
أهوى له بازلٍ خِدَبٌّ يطحن قرنيه بالجران[٣]
فنال منه ثُؤور قوم باليد طوراً وباللِّسان[٤]
وكان يفسو فصار حقّاً يضرط من خوف مضرطان

قال: وبلغ عبد الصمد شعرُ الحمدوي، فقال: أنا له. ففزع الحمدويُّ منه، فقال:

ترَحٌ طُعِنتُ به وهمٌّ واردٌ إذ قيل إنّ ابن المعذّل واجد[٥]
هيهات أن أجد السبيل الى الكرى وابنُ المعذّل من مزاحي حارد[٦]

فرضي عنه عبد الصمد.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدثني ابراهيم بن عُقبة اليشكريُّ، قال:

قال لي عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس، حتى لم يبق خاصٌّ ولا عامٌّ إلا رواهما، وهما:

ابن المعذل مَن هو ومن أبوه المعذّل

---

(١) القناني: جمع قنينة.
(٢) الكز: الضرب. ولكيز كزبير ابن أفصى بن عبد القيس.
(٣) الخدب: هو الجمل الشديد الصلب. والقرنان: الجانبان.
(٤) الثؤور: جمع ثأر.
(٥) الترح: الهم.
(٦) الحارد: الغضبان المغتاظ.

سألتُ وهبان عنـــه فقال بيضٌ محـوَّل

فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى[1] فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكّر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

نسبُ الجمّاز مقصو ر اليــه مُنتهاهُ
يتراءى نسبُ النـا س فمـا يخفى سِواه
يتحـاجى في أبي الجـمّاز من هُو كاتباه
ليس يدري مَن أبو الجـــمّاز إلا مَن يراه

شعره في بستان له:

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبد الصمد بستانٌ نظيف عامر، فأنشدنا لنفسه فيه:

اذا لم يزرنيَ نَدمانيـه[2] خلوتُ فنادمتُ بستـانيَهْ
فنادمتـه خَضِراً مُونقاً يُهيّج لي ذكر أشجانيه
يقرّب مفرحـة المستلذِ ويُبعـد همي وأحزانيه
أرى فيه مثل مداري الظِّباء تظـلُّ لأطلائهـا حانيه[3]
ونَوْرَ أقاحٍ شتيتِ النبات كما ابتسمت عجباً غانيـه[4]
ونرجسه مثـل عين الفتاة الى وجه عاشقهـا رانيه[5]

---

(١) يتحاجى: يتفاطن، من الاحجية، وهي مثل اللغز في الكلام.

(٢) الندمان، بالفتح: النديم على الشراب، والندماء أيضاً.

(٣) المداري: القرون. والطلا: ولد الظبي ساعة يولد، وهو أيضاً الصغير من كل شيء.

(٤) النور: الزهر. والاقاحي: جمع أقحوانة، نبت تشبه به الاسنان.

(٥) الرانية من رنا: اذا أدام النظر في سكون.

شعره في يزيد والجارية التي عشقها واشتراها :

أخبرني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب ، قال :

كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جاريةً من جواري القيان ، يقال لها : عُلَيم ، وكان يعاشر عبد الصمد ، ويزيد يومئذٍ شابٌ حديث السن ، وكان عبد الصمد يسمّيه ابني ، ويسمي الجارية ابنتي ، فباع الفتى بستاناً له في مَعقل ، وضيعةً بالقندَل[1] ، فاشترى الجارية بثمنها ، فقال عبد الصمد :

بُنَيَّتي أصبحتْ عروساً تُهدى من ابني الي عروس
زُفَّتْ اليه لخيرِ وقتٍ فاجتمعا ليلة الخميس
يا معشر العاشقين أنتم بالمنزل الأرذل الخسيس
يزيد أضحى لكم رئيساً فاتّبعوا مَنهج الرئيس
مَن رام بلّا لرأس أير ذلّل نفساً بجلّ كيس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني يزيد بن محمدٍ المهلبي ، قال :

بلغ عبد الصمد بن المعذّل أنّ أبا قِلابة الجرمي تدسّس الى الجماز لمّا بلغه تعرّضه له ، وهجاؤه إياه ، لحمله على الزيادة في ذلك ، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضده ، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابة حتى أخمه ، فقال عبد الصمد فيها :

يا مَن تركتُ بصخرة صمّاءَ هامته أميمه[2]
إن الذي عاضدْتَه أشبهته خُلقاً وشيمه[3]
وكفعل جدّتك الحديثة فعل جدّته القديمه

---

(١) نهر معقل : نهر معروف بالبصرة ، والقندل : موضع بالبصرة ذكر في أخبار مكة .

(٢) الاميم : المشجوج الرأس ، الذي بلغت الطعنة أم دماغه .

(٣) الشيمة : الطبع والسجية . والسيمة : العلامة .

فتناصرا ، فابنُ اللئيـــمة ناصرٌ لابنِ اللئيمه

حدثني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني أبو العيناء ، قال : كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ يعاشره ويأنس به ، فتزوَّج اليه أمير البصرة ، وكان من ولد سليمان ابن علي ، فنبُل الرجل وعلا قدره ، وولّاه المتزوّج اليه عمـلاً ، فكتب اليه عبد الصمد :

أَحُلت عمَّا عهـدت من أدبـك ... أم نلتَ مُلكاً فتهتَ في كتُبِك (١)
أم هل ترى أنَّ في مناصفة الإخــوان نقصاً عليـك في حسبك
أم كان ما كان منك عن غضبٍ ... فأيُّ شيء أدناك من غضبـك
إنَّ جفاء كتاب ذي ثقـة ... يكون في صدره «وأمتع بك»
كيف بإنصافنا لديك وقـد ... شاركتَ آل النبيِّ في نسبك
قلْ للوفاء الذي تقـدّره ... نفسك عندي مَلِلت من طلبك
أتعبتَ كفَّيك في مواصلـتي ... حسبك ماذا كفيت من تعبـك

فأجابه صديقه :

كيف يحول الإخـاء يا أملي ... وكلُّ خـيرٍ أنال من نسبكْ
إن يك جهلٌ أتاك مِن قِبَـلي ... فاعْنِ بفضلٍ عـليَّ من أدبك
أنكرتَ شيئاً فلست فاعـله ... ولا تراه يُخطُّ في كتبـك

حدثني الأخفش ، قال : حدثنا المبرد ، قال :

كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثير الكذب ، كان معروفاً بذلك ، فوعده وعداً فأخلفه ، ومطله به مَطلًا طويلاً ، فقال عبد الصمد :

لي صاحبٌ في حديثه البركهْ ... يزيد عند السكون والحركهْ

---

(١) حلت : تغيرت .

لو قال « لا » في قليل أحرفها لردَّها بالحروف مشتبكه

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني سوّار بن أبي شُراعة ، قال :

كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعذل ، ويجتمعان في دار رجل من بني المنجاب له جارية مُغنّية ، وكان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشمي دون عبد الصمد ، فقال فيهم عبد الصمد :

قل ليحيى مللتُ من أحبابي فلْيَنكهم ما شاء من أصحابي
قد تركنا تعشُّقَ المُرد لمّا أن بلَونا تنعُّم العزّاب
وشنئنا المؤاجرين فملنا بعد خُبرٍ الى وصال القحاب[١]
حبَّذا قينةٌ لأهل بني المنجاب حلّت في رحبة المنجاب
صدَقتَ إذ يقول لي خُلِقَ الأحراح ليس الفقاح للأزباب[٢]
حبّذا تلك إذ تُغنّيك يا يحيى وتسقيك من ثنايا عِذاب
« ذكر القلب ذِكرَةً أمَّ زيدٍ والمطايا بالسُّهب سهب الركاب[٣] »
حبّذا إذ ركبتها فتجافت تتشكى اليك عند الضراب
وتغنّت وأنت تدفع فيها غيرَ ذي خِيفة لهم وارتقاب
« إن جَنبي عن الفراش لنابٍ كتجافي الأسرّ فوق الظِّراب[٤] »
ليت شعري هل أسمعنَّ اذا ما زاح عني وساوسُ الكتّاب
مِن فتاةٍ كأنها خُوطُ بانٍ مَجَّ فيها النعيم ماء الشباب[٥]

(١) شنئنا : أبغضنا . المؤاجر : الذي ينال الاجر لقاء الاستمتاع به . والخبر : الاختبار .

(٢) الاحراح : الفروج . والفقحة : حلقة الدبر .

(٣) السهب : موضع .

(٤) الأسر : البعير به ورم في جوفه . والظراب : جمع ظرب ككتف ، وهو ما نتأ من الحجارة وكان طرفه حاداً .

(٥) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

إذ تغنّيك خلف سَجفٍ رقيق[1] نغماتٍ تحبُّها بصواب
شفّ عنها محقّق جَنَدِيٌّ[2] فهي كالشمس من خلال سَحاب
ربَّ شِعرٍ قد قلته بتباهٍ ويُغرّى به ذوو الألباب[3]
قد تركت الملحّنين اذا ما ذكروه قاموا على الأذناب

قال : وشاعت الأبيات بالبصرة ، فامتنع مولى الجارية مِن مُعاشرة الهاشمي ، وقطعه بعد ذلك .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، قال : حدثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيّ ، قال : حدثني أحمد بن صالح الهاشمي ، قال :

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سليمان مائلاً الى عبد الصمد ابن المعذّل ، وكان عبد الصمد يهجو هشاماً الكرنباني ، فجرى بين ابنَيْ هشام الكرنباني – وهما أبو واثلة وإبراهيم – وبين الحرّ بن عبد الله ، لحاء في أمر عبد الصمد ، لأنهما ذكراه وسبّاه ، فامتعض له الحسين وسبّهما عنه ، فرميا الحسين بابن المعذّل ، ونسباه الى أنّ عبد الصمد يرتكب القبيح ، وبلغ الحسين ذلك ، فلقيهما في سكة المِربَد ، فشدّ عليهما بسوطه وهو راكب ، فضربهما ضرباً مبرّحاً ، وأفلت أبو واثلة ، ووقع سبيبُ[4] السوط في عين ابراهيم ، فأثّر فيها أثراً قبيحاً ، فاستعان بمشيخةٍ مِن آل سليمان بن علي ، وهرب أبو واثلة الى الامير علي بن عيسى وهو والي البصرة ، فوجّه معه بكاتبه ابن فِراس الى باب الحسين

(١) السجف : الستر .

(٢) المحقق : المحكم النسج من الثياب ، أو الذي له وشي على صورة الحق . والجند : بلد من بلاد اليمن .

(٣) يغرى : من التغربة ، وهي بمعنى الإغراء .

(٤) السبيب : ذؤابة السوط .

ابن عبد الله ، فطلبه وهرب حسين الى المحدثة[١] ، فلما كان من الغد جاء حسين الى صالح بن اسحاق بن سليمان ، والى ابن يحيي بن جعفر بن سليمان ، ومشيخة من آل سليمان ، فصاروا معه الى علي بن عيسى ، وأقبل عبد الصمد بن المعذّل لما رآهم ، فدخل معهم لنصرة حسين ، فكلّموا عليّ بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد ، فقال : أصلح الله الأمير ، هؤلاء أهلك ، وأجِلّة أهل مِصرك ، تصدّوا اليك في ابنهم وابن أخيهم ، وهو وإن كان حدثاً لا ينبسط للحجّة بحداثته ، فإن ها هنا من يعبّر عنه ، وقد قلت أبياتاً ، فإن رأى الأمير أن يأذن في إنشادها فعلَ . قال : قل . فأنشده عبد الصمد قوله :

يا ابن الخلائف وابن كلّ مُباركٍ ... رأس الدعائم سابقَ الأغصانِ
إنّ العلوج على ابن عمك أصفقوا ... فأتوك عنه بأعظم البهتان[٢]
قَرفوه عندك بالتعدّي ظالماً ... وهم ابتدَوه بأعظم العدوان
شتموا له عِرضاً أغرّ مهذّباً ... أعراضهم أولى بكل هوان
وسَموْا بأجسامٍ اليه مَهينةٍ ... وُصلت بألأم أذرع وبنان
خُلقت لمدّ القلس لا لتناولٍ ... عِرض الشريف ولا لمدّ عنان[٣]
لم يحفظوا قرباه منك فينتهوا ... إذ لم يَهابوا حرمة السلطان
أيُذَلُّ مظلوماً وجدُّك جده ... كيما يعزّ بذلّه عِلجان
وينال أقلفُ ، كِبلاء بلاده ، ... ذلّ ابن عمّ خليفة الرحمن[٤]
إني أعيذك أن تُنال بك التي ... تطغى العلوجُ بها على عَدنان

(١) المحدثة بضم الميم : ماء ونخل في بلاد العرب ، ولها جبل يسمى عمود المحدثة .

(٢) العلوج : جمع علج وهو كبير العجم . أصفقوا : اجتمعوا .

(٣) القلس : الحبل الضخم من ليف أو خوص أو غيرهما . عنى أنهم ملاحون ضعاف الشأن .

(٤) الأقلف : الذي لم يختن .

فدعا عليُّ بن عيسى حُسيناً، فضمه اليه، فقال: انصرف مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنباني وابنيه، فعذلهم[1] في أمره، ثم أصلح بينهم بعد ذلك.

أخبرني عليُّ بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: كان عبد الصمد ابن المعذّل يعاشر عبد الله بن المسيَّب ويألفه، فبلغه أنه اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها اليه:

عَتبي عليكَ مُقارنُ العذرِ قد زال عند حفيظتي صبري
لكَ شافعٌ مني إليَّ فما يَقضي عليك بهفوةٍ فكري
لمّا أتاني ما نطقتَ بهِ في السُّكر قلت جناية السكر
حاشا لعبد الله يذكرني مُستعذباً بنقيصتي ذكري
إن عاب شعري أو تحيَّفه فليَهنه ما عاب من شعري
يا ابن المسيب قد سبقتَ بما أصبحتَ مرتهناً به شكري
فتى خُمرتَ فأنت في سَعةٍ ومتى هَفوت فأنت في عذر
تَركُ العتاب اذا استحقَّ أخٌ منك العتاب ذريعة الهجر

أخبرني الأخفش، قال: حدثنا المبرّد، قال:

دعا عبد الصمد بن المعذّل شرْوين المغنيَ، وكان مُحسناً متقدِماً في صناعته، فتعالل عليه ومضى الى غيره، فقال عبد الصمد: والله لأَسِمَنّه مِيسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلّا بعد أن يبذل عِرضه وحريمه. فقال فيه:

مَن حلَّ شروين له منزلا فلتنهَهُ الأولى عن الثانيه
فليس يدعوه الى بيته إلا فتًى في بيته زانيه

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ الى أن خرج الى بغداد وسُرَّ مَن رأى.

---

(١) عذلهم: لامهم.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وأحمد بن العباس العسكريّ ، قالا : حدثنا الحسن بن عليل العنزي ، قال : حدثنا الفضل بن أبي جرزة ، قال :

كان أبو قِلابة الجرميّ وعبد الصمد بن المعذّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبي أرادوا المسير الى بيت بَجرٍ البكروي ، وكانت له جاريةٌ مغنية ، يقال لها : جبلة ، وكان أبو رِهم اليها مائلًا يتعشّقها ، ثم اشتراها بعد ذلك ، فلما أرادوا الدخول اليها وافاهم أبو رِهم ، فأدخلوه وحده وحجبوهم ، فانصرفوا الى بستان ابن أبي عيينة ، فقال أبو قلابة : لا بدّ أن نهجوَ أبا رهم . فقالوا : قل . فقال :

ألا قل لأبي رهمٍ سيهوى نعتك الوصفُ
كما حالفك الغيُّ كذا جانبك الظَّرف
أتانا أنه أهدى الى بجرٍ من الشَّغف [1]
حُزَيمات من الصِّير فهلّا معه رُغف [2]
فنادَوا قسّمي فينا فقد جاءكم اللطف [3]

فقال له عبد الصمد : سخنت عينك أيشٍ هذا الشعرُ ، بمثل هذا يُهجى مَن يُراد به الفضيحة . فقال أبو قلابة : هذا الذي حضرني ، فقل أنت ما يحضرك . فقال : أفعله وأجوّد . فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رِهم ، وأوّل قصيدةٍ هجاه بها قوله :

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا وألقوا الرّيط واشتملوا القلوسا [4]

---

(١) الشغف ، بالفتح والتحريك : أن يبلغ الحب شغاف القلب .

(٢) الحزيمات : جمع حزيمة . وفي كل الاصول بالخاء المعجمة . والصير : سمكات مملوحات .

(٣) اللطف ، بالضم والتحريك : البر والتكرمة والتحفي .

(٤) الريط جمع ريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة . والقلس : الحبل الضخم من حبال السفينة .

بني العبد المُقيم بنهر تيرَى[1] لقد أنهضتُ طيركم نحوسا
حرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ فلا يُمسي بأمكم عَروسا
اذا ركد الظلام رأت عُسيلًا[2] يحثُّ على نداماه الكؤوسا
ويُذكرهم أبو رهم بهجرٍ فيستدعي الى الحُرَم النفوسا
ويُخليهم هشامٌ بالغواني ويُحمي الفضل بينهم الوطيسا[3]
فتسمع في البيوت لهم هبيباً كما أهملت في الزَّرب التيوسا[4]
لقد كان الزناة بلا رئيس فقد وجد الزناة بهم رئيسا
هم قبلوا الزناء وأنشؤوه وهم وسموا بجبهته حبيسا[5]
لئن لم تنف دعوتهم سَدوسٌ لقد أخزى الإله بهم سدوسا

وقال فيه :

لو جاد بالمال أبو رهم كجوده بالأخت والأمّ
أضحى وما يُعرف مِثلٌ له وقيل أسخى العُرب والعُجم
من بَرَّ بالحرمة إخوانه أحقُّ أن يُشكر بالشتم

وله فيه من قصيدة طويلة :

هو والله مُنصفٌ زوجه زوجُ زوجته
يقسم الأير عادلًا بين حِرْها وفقحته

---

(١) نهر تيرى : بلد في الاهواز حفره أردشير الاصغر .

(٢) عسيل : اسم علم .

(٣) الوطيس : التنور . ويقال حمي الوطيس : اشتدت الحرب .

(٤) الهبيب : صوت التيس عند السفاد . والزرب بالزاي : موضع الغنم . والتيس : الذكر من الظباء والمعز والوعول .

(٥) قبلوا الزناء : كانوا له كالقابلة ، وهي التي تتلقى المولود . والانشاء والتنشئة : التربية . والحبيس : الموقوف ، أي وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حبيس .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا العنزي، قال: حدثني أبو الفضل بن عبدان، قال:

وصف عبد الصمد لنزهة:

خرج عبد الصمد بن المعذّل مع أهله الى نزهة وقال:

قد نزلنا بروضةٍ وغديرٍ وهجرنا القصر المنيف المشيدا [1]
بعريشٍ ترى من الزاد فيه زُكرتي خمرةٍ وصقراً صيودا [2]
وغريرين يطربان الندامى كلما قلتُ أبديا وأعيدا [3]
غنّياني، فغنّياني بلحن سلس الرّجع يصدع الجلمودا
«لا ذعرتُ السَّوامَ في فلق الصُّبح مغيراً ولا دعيتُ يزيدا» [4]
حيّ ذا الزورَ وانهَهُ أن يعودا إنّ بالباب حارسَينِ قعودا [5]
من يزُرنا يجد شِواءَ حُبارى وقديراً رخصاً وخمراً عتيدا [6]
وكراماً معذّلين وبيضاً خلعوا العُذر يسحبون البرودا [7]
لستُ عن ذا بمقصرٍ ما جزاني قرّبت لي كريمةٌ عنقودا

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذّل الى الأفشين بسرّ من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من

(١) المنيف: المرتفع. والمشيد: ما طلي بالجص ونحوه.
(٢) الزكرة، بالضم: زقيق للشراب.
(٣) الغرير: من لا تجربة له.
(٤) السوام: الابل الراعية.
(٥) الزور: الزائر، ويطلق كذلك على الزوّار والزائرين.
(٦) الحبارى: طائر. والقدير: ما يطبخ في القدر. والرخص: اللين.
(٧) المعذل: من يعذل كثيراً لإفراط جوده. والعذر مع تسكين الذال للشعر: جمع العذار، وهو من اللجام ما سال على خد الفرس.

أحسن الناس ، وهو واقفٌ على باب الخليفة مع أولادِ القوّاد ، فأنشدنا لنفسه فيه ، قال :

أيها اللاحظي بطرفٍ كليلٍ   هل الى الوصل بيننا من سبيلِ
عِلم الله أنني أتمنى   زورةً منك عند وقت المقيل
بعد ما قد غدوتَ في القُرطق الجو   نِ تهادى وفي الحسام الصقيل [1]
وتكفّيتَ في المواكب تختا   ل عليها تميل كلَّ مَميل [2]
وأطلتَ الوقوف منك بباب القصر   تلهو بكلّ قال وقيل
وتحدّثتَ في مطاردة الصَّيد   بخبرٍ به ورأيٍ أصيل [3]
ثم نازعتَ في السنان وفي الرمح   وعلم بمرهفات النصول
وتكلّمتَ في الطِراد وفي الطَّعن   ووثبٍ على صِعاب الخيول [4]
فإذا ما تفرّق القومُ أقبلتَ   كريحانةٍ دنت لذبول
قد كساك الغبار منه رداءً   فوق صُدغ وجَفن طرفٍ كحيل
وبدت وُردة القسامة من خدِّك   في مُشرقٍ نقيٍ أسيل [5]
ترشح المسك منه سالفة الظبيِ   وجيدُ الأدمانة العطبول [6]
فأسوف الغبار ساعة ألقا   ك برشف الخدّين والتقبيل [7]
وأحلُّ القباء والسيف من خَصرك   رِفقاً باللطف والتعليل [8]

(١) القرطق : القباء ، معرب كرته . والجون : الابيض والاسود ، من الاضداد .

(٢) تكفيت ، أي تكفأت وتمايلت .

(٣) الخبر ، بالضم والكسر : العلم بالشيء .

(٤) الطراد : مزاولة الصيد .

(٥) الوردة ، بالضم : الحمرة . والقسامة : الحسن .

(٦) السالفة : ما تقدّم من العنق . والادمانة : الشديدة السمرة . والعطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

(٧) السوف : الشم .

(٨) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . والتعليل : يقال علله بطعام وغيره ، اذا شغله .

ثم تُوتى بما هويتَ من التَّشــريف عنـدي والبر والتبجيل
ثم أجاوك كالعروس على الشّر ب تهادى في مُجسد مصقول[1]
ثم أسقيك بعـد شربيَ مِن ريــقك كأساً من الرحيـق الشمول[2]
وأغنيك إن هويتَ غِنـاء غير مستكرهٍ ولا ممـلول
لا يزال الخلخـال فوق الحشايا مثل أثناء حيـةٍ مقتول
فإذا ارتاحت النفوس اشتيـاقاً وتمنَّى الخليل قرب الخليـل
كان ما كان بيننـا ، لا أسمّيــه ولكنّه شفاء الغليـل

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني الحسن بن عُليل العنزي والمبرّد وغيرهما ، قالوا :

كانت متيّم جاريةً لبعض وجوه أهل البصرة ، فعلقها عبد الصمد بن المعذّل ، وكانت لا تخرج إلا مُنتقبة ، فخرج عبد الصمد يوماً الى نزهةٍ ، وقدِمت متيّم الى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحرّ القاضي ، فاحتاج الى أن يُشهد عليها ، فأمرها بأن تُسفر ، فلما قدم عبد الصمد قيل له : لو رأيت متيّم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله . فقال عبد الصمد قوله :

ولما سرَت عنها القناع متيّمٌ تَروّح منهـا العنبريُّ متيّما
رأى ابن عبيد الله وهو مُحكّمٌ عليها لها طرفاً عليـه محكّما
وكان قديماً كالح الوجه عابساً فلما رأى منها السفور تبسّما
فإن يصبُ قلبُ العنبريِّ فقبله صبا باليتامى قلب يحيي بن أكثما

فبلغ قوله يحيي بن أكثم ، فكتب اليه : عليك لعنة الله، أي شيء أردت مني حتى أتاني شعرك من البصرة ؟ فقال لرسوله : قل له : متيّمٌ أقعدتك على طريق القافية !

(١) المجسد : الثوب المعصفر بالزعفران .

(٢) الشمول : الباردة .

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبدي، قال: حدثني الأنيسي، قال:

كنت عند اسحاق بن ابراهيم وزاره أحمد بن المعذّل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على اسحاق ابن ابراهيم أنشده:

أفضلتَ نُعمى على قومٍ رعيت لهم   حقّاً قديماً من الودّ الذي درسا [١]
وحرمة القصد بالآمال إنّهمُ   أتَوْا سواك فما لاقَوْا به أنسا
لأنت أكرمُ منه عند رفعته   قولًا وفعلًا وأخلاقاً ومُغترسا [٢]

فأمر له بخمسمائة دينار، فقبضها ورجع الى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثّغر، وبلغ عبد الصمد خبره، فقال فيه:

يُري الغزاة بأن الله همّته   وإنما كان يغزو كيسَ اسحاق
فباع زُهداً ثواباً لا نفاد له   وأبتاع عاجل رِفد القوم بالباقي [٣]

فبلغ اسحاق بن ابراهيم قوله، فقال: قد مسّنا أبو السمّ عبد الصمد بشيء من هجائه. وبعث اليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبى الأمير إلا كرماً وظرفاً.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عُليل، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال:

قدم أبو نبقة من البحرين وقد أهدى الى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يُهدِ الى عبد الصمد شيئاً فكتب اليه:

---

(١) درس: عفت آثاره وزالت معالمه لقدمه.

(٢) المغترس: عنى به الاصل.

(٣) الرفد: العطاء.

أما كان في قَسب اليمامة والتمر وفي أدَم البحرين والنَبِق الصُفرِ [١]
ولا في مناديل قسمتَ طريفهــا وأهديتها حظّ لنــا يا أبا بكر
سَرَتْ نحو أقوامٍ فـلا هَناتهم ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أأنت الى طالوت ذي الوفر والغنى وآل أبي حرب ذوي النَّشب الدثر [٢]
ولم تأتني ولا الرياشيَّ تمـرةٌ غَصِصت بباقي ما ادَّخرت من التمر [٣]
ولم يُعطَ منهـا النهشليُّ إداوةً تكون له في القيظ ذُخراً مدى الدهر [٤]
أقول لفتيـانٍ طويتُ لطيّهم عُرى البيد ، منشور المخافة والذعر [٥]
لئن حُكِم السدريُّ بالعدل فيكم لما أنصف السدريُّ في تمر السدر
لئن لم تكن عيناك عذرك لم تكن لدينا بمحمودٍ ولا ظاهر العـذر

أخبرنا الحسن بن عليل ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي ، قال :

وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعُد ، فهجاه ونسبه الى الشؤم ، وكان يقال ذلك في عبد الصمد ، فقال فيه :

يقول ذوو التَّشؤّم ما لقينا كما لقي ابن سهـلٍ من يزيدِ
أتتـه منيَّةُ المأمون لمّا أتاه يزيد من بلدٍ بعيـد
فصيّر منه عسكره خـلاءً وفرّق عنه أفواج الجنود
فقلت لهم وكم مشؤوم قوم أبادَ لهم عديـداً من عديد

---

(١) القسب : التمر اليابس . والأدم جمع أديم ، وهو الجلد . والنبق : حمـل شجر السدر ، الواحدة نبقة .

(٢) أأنت بهمزة الاستفهام أي أتنتسب الى طالوت ذي الوفر . والنشب : المال الاصيـل من الناطق والصامت . والدثر بالفتح : المال الكثير ، لا يثنى ولا يجمع ، وقيل هو الكثير من كل شيء .

(٣) غص بالماء والطعام : اعترض في حلقه شيء ومنعه من التنفس .

(٤) الاداوة : إناء يتطهر به .

(٥) طيهم : نيتهم التي انتووها .

رأيت ابن المعذَّل يالَ عمرو — بشؤم كان أسرع في سعيدِ
فمنه موت جلّةِ آل سلم — ومنه قض آجام البريد [١]
ولم ينزل بدارٍ ثم يمسي — ولمّا يستمع لطمَ الخدود
وكلُّ مديح قومٍ قال فيهم — فإنّ بعقبه «يا عين جودي»
اذا رجلٌ تسمّع منه مدحاً — تنسّم منه رائحة الصعيد [٢]
فلو حصف الذين يُبيح فيهم — أثاروا منه رائحة الطريد [٣]
فليس العزُّ يمنع منه شؤماً — ولا عتباً بأبواب الحديد [٤]

هجاؤه لأخيه أحمد :

حدثني الأخفش ، قال : حدثني المبرد ، قال :

مرّ أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر ، فأنشأ يقول :

إن هذا يرى أرى — أنّه ابن المهلّبِ
أنت والله مُعجبٌ — ولنا غير مُعجب

شعره في غلام له يدعى المغيرة :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثنا أبي وغيره ، وحدثني به بعد آل المعذّل ، قال :

---

(١) القض : الهدم . والآجام : الحصون .

(٢) الصعيد : القبر .

(٣) الحصب : الاقصاء والطرد . أثاروا : هيجوا . والطريد : ما يطرد .

(٤) العتب : جمع عتبة ، وهي أسكفة الباب وما يدور عليه ، وقد عنى عتب أبواب السجون .

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغـلام يقال له : المغيرة ، حسن الصوت حسن الوجه ، وهو يقرأ ويقول القصائد ، فأعجب به ، وقال فيه :

أيها الرافع في المســجد بالصوت العقيره
قتلتني عينك النجـلاء ، والقتل كبيره
أيها الحكام أنتم فاصلو حُكم العشيره
أحـلالًا ما بقلبي صنعت عينا مُغيره

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثنـا زكريا بن مهران بن يحيي ، قال :

جاءنا عبد الصمد بن المعذّل الى منزل محمد بن عمر الجرجاني ، فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى ، فقال لي محمد بن عمر : امض الى منزل عبد الصمد حتى تكتبها ، فمضيت اليه حتى كتبتها ، وهي :

هجرتُ الصِبا أيمـا هَجره وعِفت الغـوانيَ والخمره
طوتني عن وصلهـا سكره بكأس الضيا أيما سَكره

هجاؤه لأبي تمام :

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا بن مهرويه ، قال : حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب ، قال :

جمع بين أبي تمّام الطائي وبين عبد الصمد بن المعذل مجلسٌ ، وكان عبـد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وكان في أبي تمّام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه :

أنت بين اثنتين تبرز للنـا س ، وكلتاهما بوجهٍ مُذالِ (١)

---

(١) المذال : المهان ، أذاله : أهانه .

لست تنفكُّ طالباً لوصالٍ ... من حبيبٍ أو طالباً لنوالِ
أي ماء لحرِّ وجهك يبقى ... بين ذلِّ الهوى وذل السؤال

هجاء أبي تمام له :

قال : فأخذ أبو تمامٍ القرطاس وخلا طويلاً ، وجاء به وقد كتب فيه :

أنيِّ تنظم قول الزور والفنـدِ ... وأنت أنزرُ من لا شيء في العدد[1]
أشرجتَ قلبك مِن بُغضي على حُرَقٍ ... كأنّها حركات الروح في الجسد[2]

نقد عبد الصمد لأبي تمام :

فقال له عبد الصمد : يا ماصَّ بظر أمّه ، يا غثُّ ، أخبرني عن قولك « أنزر من لا شيء » ، وأخبرني عن قولك « أشرجت قلبك » ، قلبي بِفرشٌ او عيبة[3] أو خُرجٌ فأُشرجه ، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك . فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبح منه ، وقام فانصرف ، وما راجعه بحرف .

قال أبو الفرج الأصبهاني : كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضرّ أبا تمامٍ هذا منه ، وما أقلَّ ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام .

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي ، قال : حدثني العنزي ، قال :

كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلاً من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفرّاش ، وكان له ابنٌ أثقل منه ، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو

---

(١) الفند : الكذب .

(٢) أشرجت العيبة : شددتها بخيط او نحوه .

(٣) العيبة : الحقيبة من جلد ، وما يوضع فيه الثياب .

– وكان يخلف بعض أمراء البصرة – وكان الفرّاش هذا يصلّي به، ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده، فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد ابن المعذّل :

غدَرَ الزمان وليته لم يغـدر   وَحدًا بشهر الصوم فِطر المفطرِ
وثوَتْ بقلبك يا محمدُ لوعـةٌ   تَمري بوادر دمعـك المتحدّر [1]
وتقسمتك صبابتان لبينـه   أسف المَشوق وخَلّـة المفكر [2]
فاستبق عينك واحشُ قلبك يأسه   واقرَ السلامَ على خُوان المنذر
سَقياً لدهرك إذ تروّحَ يومُـه   والشمس في عليـاء لم تتهوّر [3]
حتى تُنيـخ بكلكل متزاورٍ   وتمد بلعومـا قَوصَ الخنجر [4]
وتَرود منك على الخوان أناملٌ   تَدَع الخوان سراب قـاعٍ مقفر [5]
ويح الصِحاف من ابن فرّاش اذا   أنحى عليهـا كالهِزَبر الهيصر [6]
ذو دُربة طَبٌّ اذا لمعت له   بُشُرُ الخوان بَدَا بجـلّ المئزر [7]
ودّ ابن فرّاش وفرّاشٌ معاً   لو أنّ شهر الصوم مـدّة أشهر
يُزري على الإسلام قلّـة صبره   وتراه يحمد عِـدّة المتنصِّر
لا تهلكنّ على الصيام صبابةً   سيعود شهرك قابـلًا فاستبشر
لا درّ درّك يا محمـد من فتى   شَين المغيب وغـيرِ زَين المحضر

(١) تمري : تستدر .

(٢) الخلة : الخصلة .

(٣) تروح : راح وانقضى . لم تتهور : لم تسقط .

(٤) المتزاور : المنحرف . القموص : السريع .

(٥) السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

(٦) الهيصر : الاسد يفترس ويكثر ويميل .

(٧) الطب : الخبير .

هجاؤه ليزيد المهلبي :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني محمد البصري وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذّل ، قال :

كان يزيد بن محمدٍ المهلّبي يُعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسأبه ، ويرمي كل واحد منهما صاحبه بالشؤم ، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تِيرَى ونواحيها ، فقال عبد الصمد يهجوه :

أبوك أميرُ قرية نهر تيرى ... ولستَ على نسائك بالأميرِ
وأرزاقُ العباد على إلهٍ ... لهمْ وعليك أرزاق الأيور
فكم في رزق ربك من فقيرٍ ... وما في أهل رزقك من فقير

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثني أحمد بن منصور ، قال :

شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدّهن ، فدخل اليه عبد الصمد ابن المعذّل بعد خروجه عنه ، فأنشده قوله :

بأيمن طائرٍ وأسرّ فالِ ... وأعلى رُتبةٍ وأجلّ حالِ (١)
شربتَ الدهن ثم خرجتَ عنه ... خروجَ المشرفيّ من الصقال
تكشّفَ عنك ما عانيت منه ... كما انكشف الغمام عن الهلال
وقد أهديتُ ريحاناً طريفاً ... به حاجيت مستمعاً سؤالي
وما هو غير ياء بعد حاء ... وقد سبقا بميم قبل دال
وريحان الشباب يعيش يوماً ... وليس يموت ريحان المقال
ولم يك مؤثراً تُفاح شمٍ ... على تفاح أسماع الرجال

(١) أجل : أعظم .

أخبرني جحظة ، قال : حدثني ميمون بن مِهران ، قال : حدثني أحمد بن المغيرة العجليّ ، قال :

كنت عند أبي سهل الإسكافي وعنده عبد الصمد بن المعذل ، فرفع اليه رجلٌ رقعة ، فقرأها فإذا فيها :

هذا الرحيل فهل في حاجتي نظر أو لا فأعلمَ ما آتي وما أذَرُ

فدفعها الى عبد الصمد ، وقال : الجواب عليك . فكتب فيها :

النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ والحرُّ يعــذر من بالعسر يمتذر [1]

ثم قال عبد الصمد لعلي بن سهل : هذا الجواب قولًا ، وعليـك أعزك الله الجواب فِعلًا ، ونُجحُ سَعي الآمل حقٌ واجبٌ على مثلك . فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار .

هجاؤه لابن أخيه :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الأزدي ، قال :

كان لابن المعذّل ابنٌ ثقيلٌ تيّاهٌ شديد الذهاب بنفسه ، وكان مُبغضاً عند أهل البصرة ، فمرّ يوماً بعمّه عبد الصمد ، فلما رآه قال لمن معه :

إن هذا يرى أرى أنــه ابن المهلّبِ
أنت والله مُعجبٌ ولنا غــير معجب

(١) بالعسر : بالصدق .

قال : وقال فيه أيضاً :

لو كان يُعطى المُنى الأعمام في ابن أخٍ … أصبحت في جوف قُرقورٍ الى الصين [1]
قد كان همّاً طويلاً لا يقام له … لو كان رؤيتنا إياك في الحين
فكيف بالصبر إذ أصبحت أكثر في … مجال أعيننا من رمل يَبرين [2]
يا أبغض الناس في عُسر ومَيسرة … وأقذَر الناس في دنيا وفي دين
لو شاء ربّي لأضحى واهباً لأخي … بِرّ تُكلك أجراً غير ممنون
وكان خيراً له لو كان مؤتزراً … في السالفات على غُرمول عِنّين [3]
وقائلٍ ليَ ما أضناك قلت له … شخصٌ ترى وجهه عيني فيضنيني
إن القلوبَ لتطوى منك يا ابن أخي … اذا رأتك على مثل السكاكين

صوت

أتتك العيسُ تنفخ في بُراها … تكشَّفُ عن مناكبها القطوعُ [4]
بأبيض من أمية مضرحيٍ … كأن جبينه سيفٌ صنيعُ [5]

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، والغناء لابن المهربذ ، رملٌ بالبنصر عن الهشامي . والله أعلم .

---

(١) القرقور : ضرب من السفن عظيم طويل ؛ يعني ابن أخيه أحمد بن المعذل . وقد مضى أن الهجاء في أحمد بن المعذل لا ابنه .

(٢) يبرين : موضع من أصقاع البحرين ، رمله موصوف بالكثرة .

(٣) الغرمول : الذكر أو الضخم الرخو .

(٤) العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبرى : جمع برة بضم ففتح ، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير . والقطوع بضم القاف : جمع قطع بالكسر ، وهي الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفي البعير .

(٥) المضرحي : السيد الكريم ، والابيض من كل شيء . والصنيع : السيف المجرب المجلوّ .

أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أم أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرّث بن شِق بن رقبة ابن مخدج من بني كنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف. شاعر إسلاميٌّ متوسط الحال في شعراء زمانه، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فيقاومه وينتصف كلٌّ واحدٍ منهما من صاحبه.

أخبرني محمد بن العبّاس العسكريُّ قال: حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، عن العمري، عن العتبي والهيثم بن عديّ، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم، عن صالح بن حسانٍ قال:

قدِم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص، وكان مروان وجّه به وقال له: القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه. وقال عمي في خبره: كان عبد الرحمن بدمشق، فلما بلغه خبر أخيه خرج اليه فتلقّاه، وقال له: أقِمْ حتى أدخل الى الرجل، فإن كان عزَلك عن مَوجدة دخلت اليه منفرداً. وإن كان عن غير مَوجدة دخلت اليه مع الناس. قال: فأقام مروان ومضى عبد الرحمن أمامه، فلما قدم عليه دخل اليه وهو يعشي الناس، فأنشأ يقول:

أتتك العيس تنفخ في بُراها ... تكشّف عن مناكبها القطوعُ
بأبيض من أمَيّة مضرحيٍّ ... كأنّ جبينه سَيفٌ صنيع

فقال معاوية : أزائراً جئت أم مفاخراً أم مُكاثراً ؟ فقال : أيّ ذلك شئتَ . فقال له : ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له ، فقال : على أيّ الظهر أتيتنا ؟ قال : على فرسي . قال : وما صفته ؟ قال : « أجشُّ هزيم » ، يعرّض بقول النّجاشي له :

ونجى ابن حربٍ سابحٌ ذو عُلالة أجشُّ هزيم والرماح دواني [1]
اذا خلتَ أطراف الرّماح تناله مَرَته به الساقان والقدمان [2]

فغضب معاوية ، وقال : أما إنّه لا يركبه صاحبه في الظُّلَم الى الرّيب ، ولا هو ممن يتسوّر على جاراته ولا يتوثّب على كنائنه [3] بعد هجعة الناس — وكان عبد الرحمن يُتّهم بذلك في امرأةِ أخيه — فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ما حملك على عزل ابن عمك ؟ ألِجنايةٍ أوجبتْ سُخطاً ، أم لرأيٍ رأيته وتدبيرٍ استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته . قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقي أخاه مروان ، فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ، ما أضعفك ، أعرَضتَ للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لبس حُلّته ، وركب فرسه ، وتقلّد سيفه ، ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبيّن الغضب في وجهه : مرحباً بأبي عبد الملك ، لقد زُرتنا عند اشتياقٍ منّا اليك . قال : لاهَا اللهِ ما زرتك لذلك ، ولا قدِمتُ عليك فألفيتك إلّا عاقّاً قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزّيتنا جزاءنا . لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص ، والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ،

---

(١) السابح : الفرس السريع الجري كأنه يسبح بيديه . والعلالة : البقية من السير ومن كل شيء . والاجش : الغليظ الصوت من الإنسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره . والهزيم : الفرس الشديد الصوت .

(٢) مرته : استدرت جريه .

(٣) كنائن : جمع كنة بفتح الكاف : امرأة الابن او الاخ .

والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بني حرب وشرَّفوكم ، وولَّوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى اذا وُليتم وأفضى الأمر إليكم ، أبيتم إلا أثرة وسوء صنيعة ، وقُبحَ قطيعة ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيِّفاً وعشرين ، وإنما هي أيامٌ قلائل حتى يُكملوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ ، ثم هم للجزاء بالحُسنى وبالسوء بالمرصاد .

قال عمي في خبره : فقال له معاوية : عزلتك لثلاثٍ لو لم يكن منهنّ إلا واحدةٌ لأوجبت عزلك : إحداهنّ إنّي أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما ، فلم تستطعْ أن تشتفيَ منه . والثانية كَراهتك لأمر زياد . والثالثة أن ابنتي رَملة استعدتك[1] على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها[2] . فقال له مروان : أما ابن عامرٍ فإني لا أنتصر في سلطاني ، ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقعه . وأمّا كَراهتي أمرَ زياد فإنّ سائر بني أمية كَرِهوه ، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً كثيراً . وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنّي لتأتي عليّ سنةٌ أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً — يعرّض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح — فقال له معاوية : يا ابن الوزغ[3] ، لستَ هناك . فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العدّة — يعني أربعين — ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ! فانخزل معاوية ثم قال :

فإن أكُ في شِرارِكمُ قليلًا ... فإني في خيارِكمُ كثيرُ
بُغاثُ الطَّير أكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقرِ مِقلاتٌ نَزورُ[4]

---

(١) استعدتك : استغاثت بك واستنصرتك .

(٢) أعداه عليه : نصره واعانه .

(٣) الوزغ : جمع وزغة : سام ابرص ، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها .

(٤) بغاث الطير : أضعفها . والمقلات : الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل ، والمرأة التي لا يعيش لها ولد . والنزور : القليلة النسل .

قال : فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له ، وقال : لك العتبى[١] ، وأنا رادُّك الى عملك . فوثب مروان وقال له : كلّا والله وعيشك لا رأيتني عائداً اليه أبداً . وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت لك قطُّ سقطةً مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأيّ شيء يكون منه ومن بني أبيه اذا بلغوا أربعين ؟ وأيَّ شيء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادن مني أخبرك بذلك . فدنا منه ، فقال له : إنّ الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة[٢] لما زُفّت الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي تولّى نقلها اليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّ النظر اليه، فلما خرج من عنده قيل له : يا رسول الله ، لقد أحددت النظر الى الحكم! فقال : « ابن المخزومية ؛ ذلك رجلٌ اذا بلغ ولده ثلاثين – أو قال : أربعين – ملكوا الأمر بعدي » . فوالله لقد تلقّاها مروان من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يسمعنّ هذا أحدٌ منك ، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يقض الله عز وجل أمراً يكن . فقال له معاوية : فأكتمها عليّ يا أبا بحر إذاً ، فقد لعمري صدقتَ ونصحت .

أخبرني اسماعيل بن يونس الشيعي قال ، حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني يعقوب بن القاسم الطّلحي قال : حدثني ثِمالٌ عن أيوب بن دِرباس بن دجاجة قال :

شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن ، الى معاوية . ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف ، وزاد فيه : فقال عبد الرحمن في ذلك :

---

(١) العتبى بالضم : الرضا .

(٢) أم حبيبة ، هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم .

أتقطر آفــاقُ السماء له دماً   اذا قيل هذا الطِّرف أجردُ سابح [١]
فحتى متى لا نرفع الطَّرف ذِلَّةً   وحتى متى تعيـا عليك المنادح [٢]

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين :

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال : حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه ، قال :

كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية ، وقد بعث اليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي – عليهما السلام – فلما وضع بين يدي يزيد في الطَّشت بكى عبد الرحمن ثم قال :

أبلغ أمير المؤمنين فـلا تكن   كموترِ أقواسٍ وليس لهـا نَبل [٣]
لهامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قرابـةً   مِن ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل [٤]
سُميَّةُ أمسى نسلها عـدد الحصى   وبنتُ رسول الله ليس لهـا نسل

فصاح به يزيد : اسكت يا ابن الحمقاء ، وما أنت وهذا ؟ !

بكاء ابن عباس لما حدث بين الامويين والعباسيين :

أخبرني اسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثنا عمر بن شبَّة قال: حدثني هارون

---

(١) الطرف بالكسر : الكريم من الخيل كرم طرفاه ، أي ابواه . والأجرد : القصير الشعر . والسابح : السريع الجري ، كأنه يسبح بيديه .

(٢) تعيا عليك ، أي تعييك وتعجزك . والمنادح : جمع مندوحة ، وهو المتسع من الارض .

(٣) اوتر القوس: شد وترها . والنبل : السهام لا واحد لها ، او واحدها نبلة ، جمعه أنبال ونبال .

(٤) الهام : جمع هامة ، عنى بهـم القتلى من آل الرسول . والهامة : الرأس . والطف : موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين .

ابن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم – يعني بني أميَّة – يتتايعون[1] نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا غلام، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عُمير، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: إن هذا – يعني عبد الرحمن بن الحكم – قال بيتاً أبكاني، وهو:

وما كنتُ أخشى أن ترى الذلَّ نسوتي　　وعبد منافٍ لم تغُلها الغوائلُ

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنما كنا أهل بيتٍ واحد في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل.

ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم قال: حدثني أخي عباس: أن عبد الرحمن بن الحكم كان يُولع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنباء» ويهيم بحبتها، فبلغ ذلك مروان، فشتمه وتوعّده وتحفّظ منه في أمر الجارية، وحجبها، فقال فيها عبد الرحمن:

لعمرُ أبي شنباء إني بذكرها　　وإن شحطت دار بها لحقيقُ[2]
وإني لها، لا ينزع الله ما لها　　عليّ وإن لم ترعه، لصديق
ولما ذكرت الوصل قالت وأعرضت　　متى أنت عن هذا الحديث مُفيق

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمري، ولم أسمعه من العمري، عن الهيثم بن عدي قال:

---

(١) يتتايعون: يتهافتون ويسرعون في اللجاجة.

(٢) شحطت: بعدت.

لمّا ادّعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك – والناس ينسبونها الى ابن مفرغ لكثرة هجائه الى زياد ، وذلك غلط – قال :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مُغلغلةً من الرجل الهجانِ [1]
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ ... وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد إن رحمك من زيادٍ ... كرِحم الفيل من ولد الأتان
وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سُميّةَ غيرِ داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب ، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبد الرحمن الى زياد ، فلما دخل عليه قال له : إيه يا عبد الرحمن ، أنت القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ ... مُغلغلةً من الرجل الهجانِ

قال : لا أيها الأمير ، ما هكذا قلت ، ولكني قلت :

ألا من مُبلغٌ عني زياداً ... مغلغلةً من الرّجل الهجانِ
مِن ابن القرم قرم بني قُصَيٍّ ... أبي العاصي بن آمنة الحصان [2]
حلفتُ بربِّ مكّة والمصلّى ... وبالتوراة أحلف والقران
لأنت زيادةٌ في آل حرب ... أحبُّ إليّ من وُسطى بناني
سُررتُ بقربه وفرحتُ لمّا ... أتاني الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقةٍ وعمٌّ ... بعون الله في هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتى ... فما أدري بغيبٍ ما تراني

(١) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد الى بلد . الهجان : الرجل الحسيب .

(٢) القرم : السيد . الحصان ، بالفتح : العفيفة المصونة .

فرضي عنه زيادٌ ، وكتب له بذلك الى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال : أنشدني ما قلت لزياد . فأنشده ، فتبسم ثم قال : قبح الله زياداً ، ما أجهله ، والله لما قلت له أخيراً حيث تقول :

لأنت زيادةٌ في آل حربٍ

شرٌّ من القول الأول ، ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عُمر بن شبة قال : إستعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غُزاة البحر ، فنكص واستعفى ، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان ، فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث :

شَنِئتك إذ رأيتك حَوْتكياً ... قريب الُخصيتين من الترابِ [١]
كأنك قملةٌ لقحت كشافاً ... لبرغوثٍ ببعرةٍ أوصُوأبِ [٢]
كفاك الغزو إذ أحجمتَ عنه ... حديث السن مُقتبل الشباب [٣]
فليتك حيضةٌ ذهبتْ ضلالاً ... وليتك عند مُنقطع السحاب [٤]

هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الخناط :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدة قال :

---

(١) الحوتكي : القصير الضاوي ، او الشديد الاكل .

(٢) الكشاف : ان تلقح الناقة حين تنتج او ان تحمل عليها في كل سنة ، وذلك اردأ النتاج . والصؤاب : جمع صؤابة : بيض القمل .

(٣) يعني بذلك عبد الملك بن مروان .

(٤) منقطع السحاب : طرفه الذي ينقطع عنده .

لطم عبد الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حنّاطاً، وأخوه مروان يومئذٍ والٍ لأهل المدينة، فاستعداه الحنّاط عليه، فأجلسه مروان بين يديه وقال له: الطمه — وهو أخو مروان لأبيه وأمه — فقال الحنّاط: والله ما أردتُ هذا، وإنما أردت أن أعلمه أنّ فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك. قال: لست أقبلها منك فخذ حقّك. فقال: والله لا ألطمه، ولكنّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنت ترى أن ذلك يُسخطني فوالله لا أسخطُ، فخذ حقك. فقال: قد وهبتها لك، ولست والله لاطمه. قال: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك، أو لله عزّ وعلا. فقال: قد وهبتها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كلُّ ابن أم زائدٌ غيرِ ناقصٍ وأنت ابن أمٍّ ناقصٌ غير زائدِ
وهبتُ نصيبي منك يامر وكلّه لعمرٍو وعثمان الطويل وخالد

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل:

أخبرني هاشم بن محمدٍ أبو دلفٍ الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

نظر عبد الرحمن بن الحكم الى قتلى قريشٍ يومَ الجمل فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عين جُودي بدَمع سَرَبْ على فتيةٍ من خيار العربْ[1]
وما ضرَّهم، غير حَين النفوس أيُّ أمــيرَي قريشٍ غلَب[2]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال:

---

(١) السرب، بالتحريك: السائل المنسرب.

(٢) الحين: الهلاك، أي ما قدر لهم من ذلك.

غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفوه عنه :

عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله ، فمرّ به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ فقال : هذا سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالةٍ . ثم مرّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : قد علمت ما أردت ، إنّما عرّضتَ بقول النجاشي فيّ :

ونجى ابن حرب سابحٌ ذو عُلالةٍ   أجشُّ هَزيمٌ والرمــاحُ دوانٍ (١)
سَليمُ الشَّظى عَبلُ الشَّوى شَنِج النَّسا   كسيد الغضى باقٍ عـلى النَّسلان (٢)

أخرج عني فلا تساكنّي في بلدٍ . فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا اليه معاوية ، وقال له عبد الرحمن : وحتى متى نُستذَلُّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عملك بنفسك . فأنشأ يقول :

أتقطر آفاق السماء لنــا دماً   اذا قلت هذا الطِّرفُ أجرد سابحُ
فحتى متى لا نرفع الطرف ذِلّةً   وحتى متى تعيا عليك المنادح

فدخل مروان على معاوية ، فقال له مروان : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي ؟ أما والله إنّك لتعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا ، ولقلّ ما بقي من الاجل . فضحك معاوية وقال : لقد عفوت لك عنه يا أبا عبد الملك . والله أعلم بالصواب .

---

(١) العلالة : البقية . والاجش : غليظ الصوت . والهزيم : شديد الصوت .

(٢) الشظى : عظم لازق بالركبة او بالذراع . العبل : الضخم مــن كل شيء . الشوى : اليدان والرجلان والاطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . والشنج بكسر الشين : القبض في الجلد . وفرس شنج النسا مدح ، لانه لم تسترخ رجلاه . والنسا بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر . والسيد : الذئب . والغضا : ضرب من الشجر . ويقال ذئب الغضا لانه لا يباشر الناس الا إذا اراد ان يغير ، ويزعمون انه اخبث الشجر ذئاباً .

صوت

قولا لنائل ما تقضين في رُجلٍ يَهوى هواكِ وما جَنَّبته اجتنبا
يُمسي معي جسدي والقلب عندكمُ فما يعيش اذا ما قلبه ذهبا

الشعر لمسعدة بن البختري ، والغناء لعبادل ، ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن اسحاق ، وفيه لعريب ثقيلٌ أول آخر عن ابن المعتز ، ولها فيه أيضاً خفيف رملٍ عنه

أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صُفرة، بن أخي المهلَّب بن أبي صفرة. وقد مضى نسبه متقدِّماً في نسب يزيد بن محمدٍ المهلبي وابن أبي عُيينة وغيرهما:

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنتِ عمرَ بن يزيد الأُسيدي وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة:

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عيسى ابن اسماعيل تينة، عن القحذمي قال:

كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صُفرة، يشبب بنائلة بنت عُمر بن يزيد الأُسيدي أحد بني أَسيد بن عمرو بن تميم، وكان أبوها سيِّداً شريفاً، وكان على شُرَطِ العراق من قبَل الحجَّاج، وفيها يقول:

أنائلَ إنَّني سَلمٌ لأهلك فاقبلي سَلمي

قال القحذمي: وأمُّ نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي، وأمّها الملاءة بنت زرارة بن أوفى الجُرشيَّة، وكان أبوها فقيهاً محدِّثاً من التابعين. وقد شبَّب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها:

قال عيسى: فحدثني محمد بن سلامٍ قال: لا أعلم أنَّ امرأةً شُبِّب بها وبأمّها

وجدتها غير نائلة . فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة ، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد ابن المهلب تزوجها ؛ فقُتل عنها يوم العقر ، وفيها يقول الفرزدق :

اذا ما المَزُونيات أصبحنَ حُسَّراً وبَكَّين أشلاءً على غير نائلِ [١]
فكم طالبٍ بنتَ المُلاءة إنها تذكّر رَيعان الشباب المزايل [٢]

وفي الملاءة أمها يقول الفرزدق :

كم للملاءة من طيفٍ يؤرّقني اذا تجرثمَ هادي الليل واعتكرا [٣]

أخبرني الحرمي بن العلاء قال : حدثني الزبير بن بكارٍ قال : حدثني عبد الرحمن ابن عبد الله قال :

خرَجت عاتكة بنت الملاءة الى بعض بَوادي البصرة فلقيتْ بدويّاً معه سمن فقالت له : أتبيع هذا السمن ؟ فقال : نعم . قالت : أرناه . ففتح نِحياً [٤] فنظرت الى ما فيه ، ثم ناولته إياه وقالت : افتح آخر . ففتح آخر فنظرت الى ما فيه ثم ناولته إياه ، فلما شغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن في استه وجعلت تنادي : يا لثارات ذات النِحيين !

قال الزبير : تعني ما صُنع بذات النِحيين في الجاهلية ؛ فإن رجلاً يقال له : خوّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيا سمنٍ فقال : أريني هذا . ففتحت له أحد النِحيين ، فنظر اليه ثم قال : أريني الآخر . ففتحته ، ثم دفعه اليها ، فلما شغل يديها وقع عليها ، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهب السمن ، فضربت العرب المثل بها ، وقالت : « أشغل من ذات النِحيين » . فأرادت عاتكة بنت

(١) الحسر : كاشفات الوجوه . الاشلاء : الاعضاء ، عنى بها القتلى .
(٢) المزايل : المفارق .
(٣) تجرثم : اجتمع . وهادي الليل : أوّله . اعتكر : اشتد ظلامه .
(٤) النحي ، بالكسر : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة .

الملاءة أنّ هذا لم يفعله أحدٌ من النساء برجلٍ كما يفعله الرّجل بالمرأة غيرها ، وأنّها ثارت للنساء ثأرهنّ من الرجال بما فعلته .

ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبي ربيعة :

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال : حدثنا أبو هفّان عن اسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله : أنّ الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعةٌ ينشدهم ، فقالت لجاريةٍ : من هذا ؟ قالت : عمرُ بن أبي ربيعة ، المنتقل من منزله من ذات وِدادٍ الى أخرى ، الذي لم يدُم على وصلٍ ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل ، أما والله لو كنتُ كبعض مَن يواصل لما رضيتُ منه بما ترضَين ، وما رأيت أدنا من نساء أهــل الحجاز ولا أقرّ منهنّ بخسفٍ ، والله لأمةٌ من إمائنا آنف منهنّ ! فبلغ ذلك عمر عنها ، فراسلها فراسلته ، فقال :

حيِّ المنازل قد عمرن خرابا ... بين الُجرَين وبين رُكن كسابا [١]
بالثِّني من ملكان غيّر رسمها ... مرّ السحاب المُعقبات سحابا [٢]
وذيول مُعصفة الرّياح تجرُّها ... دققا فأصبحت العراص يبابا [٣]
ولقد أراهــا مرّةً مأهولةً ... حسناً جنــابُ محلّها معشابا [٤]
دارُ التي قالت غداة لقيتها ... عند الجمار فمــا عييتُ جوابا

(١) عمر : بقي زمانا . الجرين بهيئة التصغير : موضع بين سواج والنير باللعباء من أرض نجد . كساب بالضم : موضع .

(٢) الثنى من كل نهر او جبل : منعطفه. وملكان بكسر اللام : واد لهذيل على ليلة من مكة .

(٣) دقق التراب بضم ففتح : دقاقه، واحدها دقة بالضم . وفي الاصول : « وقفا » صوابه . العراص جمع عرصة ، بالفتح ، وهي البقعة الواسعة بين الدور . واليباب : المقفرة .

(٤) الجناب : الناحية والفناء .

هذا الذي باع الصديق بغيره ويريد أن أرضى بـذاك ثوابا
قلت اسمعي مني المقال ومَن يُطِع بصديقـه المتملّق الكذّابا
[وتكن لديه حباله أنشوطةً في غير شيء يقطع الأسبابا]
إن كنت حاولتِ العتاب لتعلمي ما عندنا فلقـد أطلت عتابا
أو كان ذلك للبعـاد فإنّه يكفيك ضربك دونك الجلبابا
وأرى بوجهك شرق نُورٍ بيّنٍ وبوجه غـيرك طَخيةً وضبابا (١)

صوت

أسعـداني يا نخلتَيْ حُلوانِ وارثيا لي من ريبِ هذا الزمان
واعلما أنّ ريبه لم يزل يفـرق بين الألّاف والجيران
أسعداني وأيقنـا أنّ نحساً سوف يلقـاكما فتفترقان
ولعمري لو ذقتما ألمَ الفر قةِ أبكاكما كما أبكاني
كم رمتني به صروف الليالي من فراق الأحباب والخلّان

الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لحكمٍ الواديّ ، هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي .

---

(١) الطخية بالفتح : الظلام .

اخبار مطيع بن اياس ونسبه

هو مطيع بن إياس الكناني. ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وذكر اسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر. والدّيل وليث أخوان لأب وأم، أمهما أمّ خارجة، واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: «أسرع من نكاح أم خارجة». وقد ولدت عدّة بطون من العرب حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم لكان مقارباً. فمن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة ابن دودان بن أسد بن خزيمة، والعنبر وأسيّد والهُجيم بنو عمرو بن تميم، وخارجة ابن يشكر - وبه كانت تكنى - ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا، وهو أبو المصطلق.

نكاح أم خارجة:

قال النسابون: بلغ من سرعة نكاحها أنّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خِطبٌ، فتقول له: نِكح.

وزعموا أنّ بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حيّه الى حيّها، فلقيها راكبٌ فلما تبيّنته قالت لابنها: هذا خاطبٌ لي لا شكّ فيه، أفتراه يُعجلني أن أنزل عن بعيري؟ فجعل ابنها يسبّها.

ولا أعلم أني وجدت نسب مطيع متصلاً الى كنانة في رواية أحدٍ إلّا في حديثٍ أنا ذاكره ؛ فإن راويه ذكر أن أبا قُرعة الكنانيّ جدُّ مطيع ، فلا أعلمُ أهو جدُّه الأدنى فأصل نسبه به ، أم هو بعيدٌ منه ، فذكرتُ الخبر على حاله .

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع :

أخبرني به عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعاً ، عن شراحيل بن فراس ، أنّ أبا قرعة الكناني ، واسمه سلمى بن نوفلٍ – قال : وهو جدُّ مطيع بن إياس الشاعر – كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة[1] ، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس ، وكان منه وجلاً ، فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس ، فلما انصرف من المجلس دعا حرسياً فقال : امض الى موضع كذا وكذا من المسجد ، فادعُ لي سلمى ابن نوفلٍ . فمضى فأتاه به ، فقال له الزبير : إيهاً أيّها الضبّ . فقال : إنّي لست بالضبّ ولكنّ الضبَّ بالضَّمر[2] من صخر . قال : إيهاً أيّها الذّيخ[3] . قال : إن أحداً لم يبلغ سنّي وسنّك إلّا سمّي ذيخاً . قال : إنك لها هنا يا عاضّ بظر أمّه . قال : أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة الفسلة ، وايمُ الله ما ها هنا داد أريده على المجلس أحدٌ إلّا قد كانت أمّه كذلك .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال : كان إياس بن مسلم ، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً ، وكان قد وفد الى نصر ابن سيّار بخراسان فقال فيه :

---

(١) المقارضة : تبادل الذم أو المدح .

(٢) الضمر : رملة بعينها .

(٣) الذيخ : ذكر الضباع .

إذا ما نِعالي من خُراسان أقبلت ... وجاوزتُ منهـا مَخرِما ثم مخرما [1]
ذكرتُ الذي أوليتني ونشرتـه ... فإن شئت فاجعلني لشكرك سُلَّما

فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عُروة بن صخر بن يعمر ابن نُفاثة بن عديّ بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً. وفيه يقول الشاعر:

يسوِّد أقـوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بل السيِّد الميمون سلمى بن نوفل

رجع الخبر الى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره

وهو شاعرٌ من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلو العِشرة، مليح النادرة، ماجناً متَّهماً في دينه بالزندقة، ويُكنى أبا سلمى. ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمدَّ بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوّج بها، فوُلد له مطيع.

صلته بالولاة والخلفاء:

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حمّادٍ عن أبيه، وكان منقطعاً الى الوليد ابن يزيد بن عبد الملك، ومتصرّفاً بعده في دولتهم، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقاربهم لا يَكسد عند أحدٍ منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية الى جعفر بن أبي جعفر المنصور، فكان معه حتى مات، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً

(١) عنى بالنعال ذوات النعال، وهي الابل. أو لعلها: «بغالى». مخرم الجبل والسيل: أنفه. والمخارم: الطرق في غلظ.

إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن علي ، وأنّه ولّاه عملًا . وأحسبه مات في تلك الأيام .

رأى بعض الناس فيه :

حدثني عمي الحسن بن محمد ، قال : حدثني محمد بن سعد الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال :

قدم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أرَ قطُّ أظرف لساناً ولا أحلى حديثاً منه ، وكان يحدّثني عن مطيع بن إياس ، ويحيى بن زيادٍ ، وحمادِ الراوية ، وظرفاء الكوفة ، بأشياء من أعاجيبهم وطُرَفهم ، فلم يكن يحدّث عن أحدٍ بأحسن مما كان يحدّثني عن مطيع بن إياس ، فقلت له : كنت والله أشتهي أن أرى مُطيعاً ، فقال : والله لو رأيته للقيتَ منه بلاء عظيماً . قال : قلت : وأيُّ بلاء ألقاه من رجل أراه . قلت : كنت ترى رجلًا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحدٌ إلّا افتضح به .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد ابن حبيب قال : سألت رجلًا من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بنَ إياسٍ عنه فقال : لا تُرِدْ أن تسألني عنه . قلت : ولم ذاك ؟ قال : وما سؤالك إياي عن رجلٍ كان اذا حضر ملكك ، وإذا غاب عنك شاقك ، واذا عُرِفت بصحبته فضحك .

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني عبد الله بن عمرو قال : حدثني أبو توبة صالح بن محمدٍ عن محمد بن جبير ، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : حدثني ابراهيم بن المهدي قال : قال لي

جعفر بن يحيي : ذكر حكمٌ الواديّ ، أنه غنّى الوليد بن يزيد ذات ليلةٍ وهو غلامٌ حديث السنّ ، فقال :

إكليلها ألوانُ ووجهها فَتَّانُ
وخالُها فريدٌ ليس لها جيرانُ
اذا مشتْ تثنّتْ كأنّها ثعبان

فطرِب حتى زحف عن مجلسه إليّ ، وقال : أعِد فدَيتك بحياتي . فأعدُته حتى صحل صوتي[1] ، فقال لي : ويحك ، من يقول هذا ؟ فقلت : عبدٌ لك يا أميرِ المؤمنين أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فديتك ؟ فقلت : مطيع بن إياسٍ الكناني . فقال : وأين محله ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحمل اليه على البريد ، فحمل اليه ، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني ، فدخلت اليه ومطيع بن إياسٍ واقفٌ بين يديه ، وفي يد الوليد طاسٌ من ذهب يشرب به ، فقال له : غنّ هذا الصوت يا واديّ . فغنّيته إياه ، فشرب عليه ، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : عبدك أنا يا أميرِ المؤمنين . فقال له : ادن مني . فدنا منه ، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه ، وقبّل مطيعٌ رجله والأرض بين يديه ، ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس اليه ، ثم تمّ يوُمه فاصطبح أسبوعاً متواليَ الأيام على هذا الصوت .

لحن هذا الصوت هزجٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، والصنعة لحكمٍ . وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية ، ولم يذكروا فيها حضور مطيع .

حدثني به أحمد بن عُبيد الله بن عمّارٍ قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال : بلغني عن حكمٍ الواديّ ، وأخبرني الحسين بن يحيي ، ومحمد بن مزيد ابن أبي الأزهر قالا : حدثنا حماد بن اسحاق قال : حدثني أحمد بن يحيي المكي عن أبيه عن حكم الواديّ قال :

---

(١) صحل صوته : بح .

وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنّين ، فخرج يوماً الينا وهو راكبٌ على حمارٍ ، وعليه درّاعة وشي[١] ، وبيده عقد جوهرٍ ، وبين يديه كيسٌ فيه ألف دينارٍ ، فقال : من غنّاني فأطربني فله ما عليّ وما معي . فغنّوه فلم يطرب ، فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرهم سنّاً فغنّيته :

إكليلها ألوانُ ووجهها فتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس له جيران
اذا مشتْ تثنّتْ كأنّها ثعبان

فرمى اليه بما معه من المال والجوهر ، ثم دخل فلم يلبث أن خرج إليّ رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته .

صحبته لجماعة من الزنادقة :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال :

كان مطيع بن إياسٍ ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيّ ، وابنُ المقفّع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلكٍ ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزندقة .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال : حدثني عليّ بن محمدٍ النوفلي عن أبيه وعمومته ، أنّ مطيع بن إياس وعُمارة بن حمزة من بني هاشم ، وكانا مرميّين بالزندقة ، نزعا الى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالبٍ لمّا خرج في آخر دولة بني أمية ، وأوّل ظهور الدولة العباسية بخراسان ، وكان ظهر على نواحٍ من الجبل : منها أصبهان وقُمّ ونَهاوند ، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانه ولا يفارقانه .

---

(١) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .

قال النوفلي : فحدثني ابراهيم بن يزيد بن الخشك قال :

دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يذبُّ عنه بمنديل — ولم يكن في ذلك الوقت مَذابّ ، إنّما المذابُّ عباسية — قال : وكان الغلام الذي يذبُّ أمردَ حسن الصورة ، يروقُ عين الناظر ، فلما نظر مطيعٌ الى الغلام كاد عقله يذهب ، وجعل يكلِّم ابن معاوية ويُلجلج ، فقال :

إنّي وما أعمـلَ الحجيج له أخشى مُطيع الهوى على فرج [١]
أخشى عليـه مغامساً مرساً ليس بذي رِقبةٍ ولا حَرَج [٢]

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال : حدثنا عليُّ بن محمد النوفلي قال : حدثني أبي عن عمه عيسى قال :

كان لابن معاوية صاحبُ شُرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه ، وكان شيخاً كبيراً دهرياً لا يؤمن بالله ، وكان اذا عسَّ لم يبق أحدٌ إلا قتله ، فأقبل يوماً فنظر اليه ابن معاوية ومعه عُمارة بن حمزة ومطيع بن إياس ، قال :

إنّ قيساً وإنْ تقنَّـع شيباً لخبيثُ الهوى عـلى شمطِه [٣]

أجز يا عمارة . فقال :

ابنُ سبعـين منظراً ومَشيباً وابنُ عَشرٍ يُعَدُّ في سقطه [٤]

---

(١) الحجيج : جماعة الحجاج .

(٢) المغامس : الشديد الشجاع . والمرس : الشديد . الرقبـة : التحفظ والخشية . والحرج : التهيب .

(٣) الشمط : بياض الرأس يخالطه السواد .

(٤) السقط : الفضيحة .

فأقبل على مطيع فقال : أجز . فقال :

وله شُرطةٌ اذا جَنَّه الليـــل فعوذوا بالله من شُرَطِهْ

قال النوفلي : وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً ، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله ، وقالوا له . أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك تُرمى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو أقصرت عنها ! فقال : جرِّبوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين . فانصرفوا عنه ، وقالوا : قبح الله فعلك وعُذرك ، وما استقبلتنا به .

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن حديد قال : أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال : حدثني مطيع بن إياس قال :

قال لي حماد عجرد : هل لك في أن أريك خُشّة صديقي[1] ، وهي المعروفة بظَبْية الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنك إن قعدتَ عنها وخبُثت عينك في النظر أفسدتها عليّ . فقلت : لا والله لا أتكلم بكلمةٍ تسوءك ، ولأسرَّنك . فمضى وقال : والله لا أتكلم ، لئن خالفتَ ما قلت لأخرجنّك . قال : قلت : إن خالفت ما تكره فاصنع بي ما أحببت . قال : امضِ بنا . فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجهاً ، فلما رأيتها أخذني الزَّمع[2] وفطن لي : فقال : اسكت يا ابن الزانية . فسكتُ قليلاً ، فلحظتني ولحظتها أخرى ، فغضب ووضع قُلنسيته عن رأسه ، وكانت صلعته حمراء كأنها استُ قردٍ ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً فقلت :

وارِ السَّوأة السوآ ء يا حمّاد عن خُشَّه
عن الأُتْرجّة[3] الغضّـة والتفاحة الهشّه

---

(١) صديقي ؛ أي صاحبتي . خش : الطيب بالفارسية ، عربته العرب وقالوا في المرأة : خشّه .

(٢) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الانسان .

(٣) الاترجة : فاكهة حامضها يسكن شهوة النساء ، ويجلو اللون والكلف ، وقشره في الثياب يمنع السوس .

فالتفت إليَّ، وقال: فعلتها يا ابن الزانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمّك! وثاورته[1] وثاورها، فشقّت قميصه، وبصقت في وجهه، وقالت له ما تصادقك وتدعُ مثل هذا إلّا زانية! وخرجنا وقد لقي كلّ بلاء، وقال لي: ألم أقُلْ لك يا ابن الزانية: إنّك ستفسد عليَّ مجلسي. فأمسكتُ عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبّني، ويشكوني الى أصحابنا، فقالوا لي: اهجه ودعنا وإيّاه. فقلت فيه:

ألا يا ظبية الوادي وذات الجسدِ الرادِ[2]
وزينَ المصر والدّارِ وزينَ الحيِّ والنادي
وذات المبسم العذب وذات الميسم البادي[3]
أما بالله تستحيينَ من خُلّة حمّاد[4]
لحمّادٌ فتًى ليس بذي عِزٍّ فتنقادي
ولا مالٍ ولا عزٍّ ولا حظٍّ لمرتاد
فتوبي واتّقي الله وبُتّي حبل جرّاد[5]
فقد مُيّزت بالحسن عن الخلق بإفراد
وهذا البين قد حُمّ فجودي منك بالزاد

— في الأوّل والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكمٍ الواديّ رملٌ.

(١) ثاورته: واثبته.

(٢) الراد: مسهل الرأد، وهو الرخص اللين.

(٣) الميسم: أثر الجمال والعتق.

(٤) الخلة: بالضم: الصداقة.

(٥) بتي: اقطعي. والجراد: جلاء آنية الصفر.

قال : فأخذ أصحابُنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها ، وألقوْهـا في الطريق ، وخرجتُ أنا فلم أدخل اليهم ذلك اليوم ، فلما رآها وقرأها قال لهم : يا أولادَ الزنا ، فعلها ابن الزانية ، وساعدتموه عليّ !

قال : وأخذها حكمٌ الواديُّ فغنى فيها ، فلم يبق بالكوفة سقّاء ولا طحّان ولا مكارٍ إلّا غنّى فيها ، ثم غبت مُدةً وقدمتُ ، فأتاني فما سلّم عليّ حتى قال لي : يا ابن الزانية ، ويلك أما رحمتني من قولك لها :

أمـا بالله تستحيين من خُلّة حمّادِ

بالله قتلتني قتلك الله ! والله ما كلّمتني حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدِم هجرها له وسوءَ آرائها فيه ، وآسِفه(١) عليها ، وأغرِه بهـا ! فشتمني ساعةً . قال مطيع : ثم قلت له : قم بنا حتى أمضيَ بك فأريك أختي . قال مطيع ، فمضينا فلما خرجت الينا دعوت قيّمةً لها فأسررت اليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً ، وعرّفتها أنّ الذي معي حمّاد . فضحكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء ، وقد علمتْ بموضعه وعرفته ، فكان أوّل صوت غنّت :

أمـا بالله تستحيين من خُلّة حمّادِ

فقال لها : يا زانية ! وأقبل عليّ فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانيـة . وشاتمته صاحبتي ساعةً ، ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيّظ عليّ فقلت : أنت ترى أني أمرتها أن تغنيَ بما غنّتْ ؟ قال : أرى ذلك وأظنّه ظنّاً ، لا والله ، ولكنّي أتيقّنه ! فحلفت له بالطلاق على بُطلان ظنه ، فقالت : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يفسد هذا المجلس مَن أفسد ذلك المجلس . فقالت : قـد والله فعل . وانصرفنا .

---

(١) آسفه : أغضبه .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه عن رجل من أصحابه قال:

قال يحيي بن زياد الحارثي لمطيع بن إياس: انطلق بنا الى فلانة صديقتي؛ فإنّ بيني وبينها مُغاضبة، لتصلح بيننا، وبئس المصلح أنت. فدخلا اليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيعٌ ساكت، حتى اذا أكثر قال يحيي لمطيع: ما يُسكتك، أسكتَ الله نَأْمتك[1]؟ فقال لها مطيع:

أنتِ مُعتلّة عليه وما زا ل مُهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيي ما سمع، وهشّ له مطيع:

فدعيه وواصلي ابن إياسٍ جُعِلت نفسه الغداة فداك

فقام يحيي اليه بوسادة في البيت، فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئتُ بك يا ابن الزانية! ومطيع يُغوّث[2] حتى ملّ يحيي، والجارية تضحك منهما، ثم تركه وقد سَدِرَ[3].

حدثني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال:

مرض حمّادُ عجردٍ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلّا مطيع بن إياس، وكان خاصّة به، فكتب اليه حمّاد:

كفاك عيادتي مَن كان يرجو ثوابَ الله في صلة المريضِ

(١) النأمة: الصوت.

(٢) التغويث: أن يقول: واغوثاه!

(٣) السادر: المتحير.

فإن تحدث لك الأيامُ سُقماً   يحول جريضه دون القريض [١]
يكن طول التأوّه منك عندي   بمنزلة الطّنين من البعوض

أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال : قدم مطيع بن إياسٍ من سفر فقدم بالرغائب ، فاجتمع هو وحمّاد عجردٍ بصديقته ظَبيـة الوادي ، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العبّاس الى البصرة ، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد ، فلما جلسوا يشربون غنّتْ ظبيةُ الوادي فقالت :

أظنُّ خليـلي غُدوةً سيسير   وربّي على أن لا يسير قديرُ

فما فرغت من الصوت حتى غنّت صاحبة مطيع :

ما أبالي اذا النوى قربتهمْ   ودنونا من حلّ منهم وساروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمادُ يشتمها .

نسبة هذا الصوت

صوت

أُظنُّ خليلي غدوةً سيسير   وربّي على أن لا يسير قديرُ
عجبتُ لمن أمسى محبّاً ولم يكن   له كفنٌ في بيتـه وسرير

غنى في هذين البيتين ابراهيم الموصليُّ ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر ، وفيها لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيفُ رملٍ بالوسطى .

---

(١) الجريض : يقال جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن .

حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني ابراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني قال:

كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عمر بن سعيد، فعاتبه في أمرِ قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيعٌ يهواها حتى اشتهر بها، وقال له: إنّ قومك يشكونك ويقولون: إنك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها! فأنشأ مطيع يقول:

قد لامَني في حبيبتي عُمرُ — واللومُ في غيرِ كُنهِهِ ضجرُ[1]
قال أفِقْ، قلتُ لا، قال بلى — قد شاع في الناس عنكما الخبر
قلتُ قد شاع ما اعتذاريَ ممّا — ليس لي فيه عندهم عُذُرُ
عجزٌ لعمري وليس ينفعني — فكُفَّ عني العتابَ يا عمر
وارجع اليهم وقل لهم قد أبى — وقال لي لا أفيقُ فانتحروا[2]
أعشِقُ وحدي فيؤخذون به — كالترك تغزو فيقتل الخزَرُ[3]

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر الهاشمي قال: حدثني أبي أنّ مطيع بن إياس مرّ بيحيي بن زيادٍ، وحمّاد الراوية وهما يتحدّثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قذف المحصنات. قال: أو في الأرض محصنة فتقذفانها؟!

حدثني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات. وحدّثنيه الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال:

---

(١) الكنه: الوجه والحقيقة.

(٢) يقال انتحروا: تشاحوا عليه فكاد بعضهم ينحر بعضاً من شدّة حرصهم.

(٣) الخزر: اسم جيل من الناس خزر العيون ضيقوها.

أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفي أنَّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك ، فأمر بإحضار الناس فحضروا ، وقامت الخطباء فتكلّموا ، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله ، وفيهم مطيع بن إياس ، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، حدثنا فلانٌ عن فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المهديُّ منا محمد بن عبد الله وأمّه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما ملِئت جورا » وهذا العباس بن محمدٍ أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس ، فقال له : أنشدُك الله هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعم . مخافةً من المنصور . فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي .

قال : ولما انقضى المجلس ، وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدني على كذبه ، فشهدتُ له خوفاً ، وشهد كلُّ من حضر عليَّ بأنّي كاذب ؟ ! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفرٍ ، وكان مطيعٌ منقطعاً اليه يخدمه ، فخافه ، وطرده عن خدمته . قال : وكان جعفر ماجناً ، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه ، وشقّتْ عليه البيعةُ لمحمدٍ . فأخرج أيره ثم قال : إن كان أخي محمدٌ هو المهدي فهذا القائم من آل محمدٍ .

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال : كان مطيع بن إياس يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه ، فكره أبو جعفرٍ ذلك ، لما شُهر به مطيعٌ في الناس وخشيَ أن يُفسده ، فدعا بمطيع وقال له : عزمت على أن تفسد ابني عليَّ وتعلّمه زندقتك ؟ فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظنَّ بي هذا ، والله ما يسمع مني إلا ما اذا وعاه جمَّله وزيّنه ونبّله ! فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضرّه ويغرّه . فلما رأى مطيعٌ إلحاحه في أمره قال له : أتُؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدُقك ؟ قال : أنت آمن . قال : وأيّ مُستصلحٍ فيه ؟ وأيّ نهايةٍ لم يبلغها الفساد والضلال ؟ قال :

ويلك ، بأيّ شيء ؟ قال : يزعم أنّه ليعشقُ امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خطبتها ، وجمع أصحاب العزائم عليها ، وهم يغرونه ويَعِدونه بها ويمنّونه ، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هزل ولا كفر إيمان . فقال له المنصور : ويلك، أتدري ما تقول ؟ قال : الحق والله أقول ، فسل عن ذلك ، فقال له : عُد الى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر ، ولا تعلمه أنّي علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه .

أخبرني عمي قال : حدثني الكراني عن ابن عائشة قال :

كان مطيع بن إياس منقطعاً الى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً ، فقال لمطيع : قد أفسدت ابني يا مطيع . فقال له مطيع : إنما نحن رعيّتك فإذا أمرتنا بشيء فعلنا .

قال : وخرج جعفرٌ من دار حرمِهِ فقال لأبيه : ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن ؟ فقال له أبو جعفر : لعن الله من أشبهك ، ولعنك ! فقال : والله لأنا أشبه بك منك بأبيك – قال : وكان خليعاً – فقال : أريد أن أتزوّج امرأةً من الجنّ ! فأصابه لمم ، فكان يُصرَع بين يدَيْ أبيه والربيع واقف ، فيقول له : يا ربيع ، هذه قدرة الله .

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه : فأصاب جعفراً من كثرة ولعه[1] بالمرأة التي ذكر أنه يتعشّقها من الجنّ صَرَعٌ ، فكان يُصرَع في اليوم مرّاتٍ حتى مات ، فحزن عليه المنصور حُزناً شديداً ، ومشى في جنازته ، فلما دُفن وسوّي عليه قبره قال للربيع : أنشدني قول مطيع ابن إياس في مرثية يحيى بن زيادٍ . فأنشده :

(١) يقال ولع بالشيء ولعاً وولوعاً : لهج به واشتد حبه له .

يا أهليَ ابكُوا لقلبيَ القرح ··· وللدُّموع الذّوارف السُّفُحِ
راُحوا بيحيي ولو تطاوعني الـ ··· أقدار لم يبتكر ولم يرُح[1]
يا خير من يَحسُن البكاءُ له الـ ··· ـيوم ومَن كان أمس للمدَح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحب هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر.

شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة:

أخبرني به عمي أيضاً عن الخراز عن المدائني، فذكر مثله.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرة بن هشام الرّبعي قال: سمعت ابن عائشة يقول:

مرّ مطيع بن إياس بالرُّصافة، فنظر الى جاريةٍ قد خرجت من قصر الرُّصافة كأنها الشمسُ حسناً، وحواليها وصائف يرفَعن أذيالها، فوقف ينظر اليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت الى رجلٍ كان معه وهو يقول:

لمّا خرجنَ من الرّصا ··· فة كالتماثيل الحسانِ
يَحفُفْنَ أحورَ كالغزا ··· لِ يميسُ في جُدُلِ العِنان[2]
قطّعنَ قلبي حسرةً ··· وتقسَّماً بين الأماني
ويلي على تلك الشما ··· ئل واللطيف من المعاني
يا طولَ حَرِّ صبابتي ··· بين الغواني والقيان

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي

---

(١) يبتكر: يخرج بكرة. ويروح: يرجع في الرواح.

(٢) الجدل: جمع جديل، وهو الزمام المجدول. والعنان: سير اللجام، عنى بذلك دقة الخصر.

سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمد بن الفضل بن السكوني:

رحل مطيع بن إياسٍ الى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له، فلما رأته بنته قد صحح العزم على الرحيل بكت، فقال لها:

اسكتي قد حزَزْتِ بالدَّمع قلبي   طالما حَزَّ دمعكنَّ القلوبا
ودَعي أن تقطِّعي الآن قلبي   وتُريني في رِحلتي تعذيبا
فعسى الله أن يُدافعَ عني   ريبَ ما تحذرين حتى أءوبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالي   بعزيزٍ عليه فادعي المجيبا
أنا في قبضة الإله اذا ما   كنت بُعداً أو كنت منك قريبا

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية، فكان أوّلها:

ولقد قلت لابنتي وهي تكوي   بانسكاب الدّموع قلباً كئيبا

وبعده بقية الأبيات:

شعره في قينة أومأ اليها بقبلة فصدته:

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عليُّ بن محمدٍ النوفلي، عن صالح الأضم قال:

كان مطيع بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ، وعندهم قينةٌ تغنيهم، فأومأ اليها مُطيعٌ بقبلةٍ، فقالت له: تُراب! فقال مطيع:

صوت

إنّ قلبي قد تصابى   بعد ما كان أنابا
ورماه الحبّ منه   بسهامٍ فأصابا

قد دهاه شادن يَلـــبس في الجيد سخابا[١]
فهو بدرٌ في نقابٍ فإذا ألقى النقـابا
قلتَ شمسٌ يوم دَجنٍ حسرت عنها السحابا
ليتني منه على كشـحَين قد لانا وطابا[٢]
أحضرُ الناس بما أكـرهه منـه جوابا
فإذا قلت أنِلـني قبـلةً قال تُرابا

لحكم الوادي في هذه الأبيات هزجٌ بالبنصر، من رواية الهشامي.

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أنّ مطيع بن إياس، كان أحضر الناس جواباً ونادرة، وأنه ذات يوم كان جالساً يعدِد بطون قريش، ويذكر مآثرها ومفاخرها، فقيل له: فأين بنو كنانة؟ قال:

بفِلَسطين يُسرعون الرُّكوبا

أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

حلقٌ من بني كنانة حولي بفِلَسطين يُسرعون الركوبا

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال:

فضيحته لأبي دهمان:

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للنـاس تألُّهاً[٣] ومروءةً وسمتاً وحسناً، وكان ربّما دعا مُطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير اليه، ثم قطعه عنه شُغل،

---

(١) الشادن: الظبي الصغير. السخاب: القلادة من القرنفل.

(٢) الكشح: الخاصرة.

(٣) التأله: التنسك والتعبد.

فاشتغل وجاء مطيعٌ فلم يجده ، فلما كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه ، فأنشدهم فيه :

وَيلِيَ ممن جفاني وحُبُّه قد براني
وَطيفه يلقاني وشخصه غير دان
أغرُّ كالبدر يَعشى بحسنه العينان[1]
جاريَّ لا تَعذِلان في حبّه ودعاني
فربَّ يومٍ قصيرٍ في جَوْسق وجنان
بالراح فيه يُحيَّا والقصفِ والريحان[2]
وعندنا قينتان وجهاهما حَسنان
عُوداهما غَردان كأنَّما ينطقان
وعندنا صاحبان للدَّهر لا يخضعان
فكنت أوّل حامٍ وأوّل السَّرَعان[3]
في فتيةٍ غيرِ مِيلٍ عند اختلاف الطِّعان
من كل خوفٍ مخيفٍ في السرّ والإعلان
حمّالِ كلّ عظيم تضيق عنه اليدان
وإنْ ألحّ زمانٌ لم يستكن للزمان
فزال ذاك جميعاً وكلُّ شيء فان
مَن عاذري من خليلٍ مُوافقٍ مِلدان[4]
مُداهنٍ متوانٍ يكنى أبي دهمان[5]

(١) العشا : ضوء البصر .

(٢) القصف : الجلبة والاعلان باللهو ، والمقصود هنا اللهو والغناء .

(٣) سرعان القوم ، بالتحريك : أوائلهم المستبقون .

(٤) الملدان : عني به اللين الناعم .

(٥) المداهن : المنافق .

متى يَعدك لقاء فالنَّجم والفرقدانِ
وليس يُعتِمُ إلّا سكران مع سكران [١]
يسقيه كلُّ غلام كأنه غصن بان
مِن خندريسٍ عُقارٍ كحمرة الأرجوان [٢]

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دهمان، فقال: عليك لعنة الله فضحتني، وهتفت بي، وأذَعت سرّي، لا أكلّمك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرق بين صديقك وعدوّك.

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطّار بالكوفة، قال: حدثني عليُّ بن عُمروسٍ عن عمه عليّ بن القاسم قال:

كنت آلفُ مطيع بن إياس، وكان جاري، وعنّفني في عشرته جماعةٌ، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعتَ منّي أو رأيتَ شيئاً يدلّ على ذلك، أو هل وجدتني أخلّ بالفرائض في صلاةٍ أو صومٍ؟ فقلت له: والله ما اتّهمتك ولكنّي خبّرتك بما قالوا. واستحييت منه. فعجل على السكر ذات يوم في منزله، فنمت عنده ومُطِرنا [٣] في جوف الليل وهو معي، فصاح بي مرّتين أو ثلاثاً، فعلمت أنّه يريد أن يصطبح، فكسلت أن أجيبه، فلما تيقّن أنّي نائمٌ جعل يردّد على نفسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحت جمٌّ بلابل الصدر عصراً أكاتمه الى عصر [٤]

---

(١) يعتم: يدخل في العتمة، وهي ثلث الليل الاول.

(٢) الخندريس: الخمرة القديمة. والعقار: التي تذهب الوعي. والارجوان: الشديدة الحمرة.

(٣) مطرنا: نزل علينا المطر.

(٤) الجم: الكثير. والبلابل: وساوس الصدر وشدّة الهموم.

فقلت في نفسي : هذا يعمل شعراً في فنّ من الفنون . فأضاف اليه بيتاً ثانياً ، وهو قوله :

إن بُحتُ طُلَّ دمي وإن تُركتْ   وَقَدَتْ علـيَّ توقُّدَ الجمر[1]

فقلت في نفسي : ظفرت بمطيع . فتنحنحتُ ، فقال لي : أما ترى هذا المطر وطيبه ، اقعد بنا حتى نشرب أقداحاً . فاغتنمت ذلك ، فلما شربنا أقداحاً قلت له : زعمت أنّك زنديق . قال : وما الذي صحح عندك أنّي زنديق ؟ قلت : قولك : « إن بُحتُ طلَّ دمي » ، وأنشدته البيتين ، فقال لي : كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ فقلت : والله ما سمعت منك ثالثاً . فقال : بلى قد قلت ثالثاً . قلت : فما هو ؟ قال :

ممّا جَنـاه على أبي حسنٍ   عُمرٌ وصاحبـه أبو بكرِ

وحدثني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني ابراهيم بن المدبّر قال : حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال :

جاء مطيع بن إياسٍ الى إخوان له وكانوا على شَراب ، فدخل الغلام يستأذن له ، فلمّا سمع صاحب البيت بذكره خرج مبادراً ، فسمعه يقول :

أمسيتُ جمَّ بلابـل الصدر   دهراً أزجّيـه الى دهرِ[2]
إن فُهتُ طُلَّ دمي وإن كُتِمَتْ   وَقَدَتْ عليَّ توقُّـد الجمر

فلما أحسَّ مطيعٌ بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال :

مما جنـاه علي أبي حسن   عمرٌ وصاحبـه أبو بكرِ

(١) طل دمه ، بالبناء للمجهول : أبيح ، وقيل لم يثأر به .

(٢) أزجيه : أسوقه . وقد سبق برواية أخرى .

وكان صاحب البيت يتشيّع ، فأكبّ على رأسه يُقبّله ويقول : جزاك الله يا أبا مسلم خيراً !

وذكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل الكاتب :

أنّ الرشيد أُتيَ ببنت مطيع بن إياس في الزّنادقة ، فقرأت كتابهم واعترفت به ، وقالت : هذا دينٌ علّمنيه أبي وتُبتُ منه . فقبِل توبتها وردّها الى أهلها .

قال أحمد : ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها : « الفراشيّة » قد رأيتهم ، ولا عقِب لمطيع إلّا منهم .

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال : كان مطيع ابن إياس نازلًا بكرخ بغداد ، وكان بها رجلٌ يقال له : الفهميّ ، مُغنٍّ مُحسِن ، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب الى يحيي بن زياد يدعوه بهذه الأبيات . قال :

عندنا الفهميُّ مسرُو ... رٌ وزمّارٌ مُجيدُ
ومُعاذٌ وعِياذٌ ... وعُميرٌ وسعيد
ونَدامى يُعمِلون الـ ... ـقَلزَ والقَلزُ شديد
بعضهم ريحانُ بعضٍ ... فهم مِسكٌ وعُود

قال : فأتاه يحيي ، فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهديّ ، فضحك منها ، وقال : تنايَك القوم وربّ الكعبة .

قال الكراني : القَلز : المبادلة .

وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه ، عن ابراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني . فذكر أنّ مطيعاً اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته ، واصطبح يوم الأضحى ، وكتب الى يحيي من الليل بهذه الأبيات :

قد شربنا ليلة الأضـ ... ـحى وساقينا يزيدُ

عندنا الفهميُّ مسرو رٌ وزمّار مُجيدُ
وسليمان فَتانا فهو يبدي ويُعيد
ومُعاذٌ وعياذٌ وعُمير وسَعيد
وندامى كلُّهم يَقلِز والقَلز شديد
بعضهم ريحانُ بعضٍ فهمُ مِسكٌ وعود
غابت الأنحس عنهم وتلقّتهم سُعود
فترى القوم جلوساً والخَنا عنهم بعيد
ومطيعُ بن إياس فهو بالقَصف وليد
وعلى كلّ الجديدين وما حلّ جليد

ووجدت في كتاب بعقب هذا : وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنّ عوف بن زياد كتب يوماً الى مطيع : « أنا اليوم نشيطٌ للشُّرب ، فإن كنت فارغاً فسِر إليّ ، وإن كان عندك نبيذٌ طيّب ، وغناء جيّد جئتك » . فجاءته رقعته[1] وعنده حمّاد الراوية وحكمٌ الواديّ ، وقد دعوا غلاماً أمرد ، فكتب اليه مطيع :

نعم لنا نبيذٌ وعندنا حمّادُ
وخيرُنا كثيرٌ والخير مُستزاد
وكلّنا من طربٍ يطير أو يكاد
وعندنا واديُّنا وهو لنا عِماد
ولهوُنا لذيذٌ لم يَلهُهُ العباد
إن تشته فساداً فعندنا فساد
أو تشته غلاماً فعندنا زياد
ما إن به التواء عنّا ولا بعاد

(١) في الاصول : « رقعة » .

قال : فلما قرأ الرقعة صار اليهم ، فأتم به يومه معهم .

مدح مطيع للغمر بن يزيد :

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكُرَيزي عن أبيه قال :

مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها :

لا تَلحَ قلبك في شقائه ودَعِ المتيّم في بلائه (١)
كفكف دموعك أن يَفِضْن بناظرٍ غرقٍ بمائه
ودع النسيبَ وذكره فبحسب مثلك من عنائه
كم لذةٍ قد نلتها ونعيم عيشٍ في بهائه
بنواعمٍ شبهِ الدمى والليلُ في ثِنْيَيْ عمائه (٢)
واذكر فتًى بيمينه حتفُ الزمان لدى التوائه
وإذا أُميّةُ حُصِّلت كان المهذَّب في انتمائه
وإذا الأمورُ تفاقمتْ عِظَماً فمصدرُها برائه (٣)
وإذا أردتَ مديحه لم يُكدِ قولك في بنائه (٤)
في وجهه علم الهدى والمجدُ في عِطفَيْ ردائه
وكأنّما البدر المنير مُشبَّه به في ضيائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحركته ورفعت من ذكره ، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه .

---

(١) لا تلح : لا تلم .

(٢) ثني عمائه : كناية عن شدة الظلام وازدواجه .

(٣) برائه : برأيه ، أي تصدر عن رأيه .

(٤) لم يكد : لم يخب . يقال حفر فأكدى ، أي بلغ الصلابة .

استعطافه ليحي بن زياد :

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه لمطيع بن إياس يستعطف يحيي بن زياد في هِجرةٍ[١] كانت بينهما وتباعُد :

يا سميَّ النبيِّ الذي خصَّ به الله عبده زكريا
فدعاه الإله يحيي ولم يجعل له الله قبل ذاك سمياً
كن بصبٍّ أمسى بحبك براً إنَّ يحيي قد كان براً تقيا

رثاؤه له :

وأنشدني له يرثي يحيي بعد وفاته :

قد مضى يحيي وغودرتُ فرداً نُصبَ ما سرَّ عيونَ الأعادي[٢]
وأرى عينيَ مُذ غاب يحيي بُدِلت من نومها بالسُّهاد
وسّدته الكفُّ مني تراباً ولقد أرثي له من وساد
بين جيرانٍ أقاموا صموتاً لا يُحيرون جواب المنادي
أيها المزن الذي جاد حتى أعشبتْ منه متون البوادي
اسقِ قبراً فيه يحيي فإنّي لك بالشكر مُوافٍ مُغاد[٣]

شعره في جوهر حين بيعت :

نسخت من نسخةٍ بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال :

---

(١) الهجرة : الجفوة والهجران .

(٢) النصب ، يقال هو نصب عيني ، للشيء الظاهر الذي لا يخفى .

(٣) أوفى فلاناً حقّه : أعطاه إيفاء، كوفاه ووافاه. والمغادي : الذي يغادي، أي يباكر .

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يشبّب بها قال فيها — وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم — :

صاح غراب البين بالبين فكدتُ أنقدُ بنصفين
قد صار لي خِدنان من بعدهم همٌّ وغمٌّ شرُّ خِدنين
أفدي التي لم ألقَ مِن بعدها أنساً وكانت قُرّةَ العين
أصبحتُ أشكو فرقة البين لمّا رأت فرقتهم عيني

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي قال : حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال : حدثني ابن خرداذبة قال : خرج مطيع بن إياس ، ويحيي بن زيادٍ حاجّين ، فقدّما أثقالها وقال أحدهما للآخر : هل لك في أن نمضيَ الى زرارة فنقصفَ ليلتنا عنده ، ثم نلحق أثقالنا ؟ فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة . قال : فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين . وقال مطيعٌ في ذلك :

ألم ترني ويحيي قد حججنا وكان الحجّ من خير التجاره
خرجنا طالبَيْ خيرٍ وبِرٍّ فمال بنا الطريق الى زراره
فعادَ الناس قد غنموا وحجّوا وأبنا موقرين من الخساره

وقد روي هذا الخبر لبشّارٍ وغيره .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الفضل بن محمدٍ اليزيدي عن ابراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال :

شعره في ريم :

خرج جماعةٌ من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش ، فخرج يحيي بن زيادٍ الى محمد بن العباس وكنت في صحابته ، فمضى الى البصرة ، وخرج حماد عجردٍ اليها معه ، وعاد حمّادٌ الراوية الى الكوفة ، وأقام مطيع بن إياس ببغداد وكان يهوى جاريةً يقال لها : « ريم » لبعض النخّاسين وقال فيها :

لولا مكانُكِ في مدينتهم لظعنتُ في صحبي الأُلى ظعنوا
أوطنتُ بَغداداً بحبِّكم وبغيرها لولاكم الوطن[١]

قال : وقال مطيعٌ في صبوح اصطبحه معها :

ويومٍ ببغداد نعِمنا صباحه على وجه حوراء[٢] المدامع تُطربُ
ببيت ترى فيه الزجاج كأنّه نجومُ الدّجى بين الندامى تقلَّبُ
يُصرّف ساقينا ويقطب تارةً فيا طيبها مقطوبةً حين يَقطِبُ[٣]
علينا سحيق الزعفران وفوقَنا أكاليل فيها الياسمين المُذهّبُ
فما زِلتُ أُسقى بين صَنجٍ ومِزهَرٍ من الرّاح حتى كادت الشمس تغربُ[٤]

وفيها يقول :

أمسى مطيعٌ كلِفا صبّاً حزيناً دَنِفا[٥]
حُرٌّ لمن يعشقه برقّه معترفا
يا ريمُ فاشفي كبِداً حَرّى وقلباً شُغِفا[٦]
ونوّليني قبلةً واحدةً ثم كفى

قال وفيها يقول :

يا ريمُ قد أتلفتِ روحي فما منها معي إلّا القليلُ الحقيرْ
فأذنبي إن كنتِ لم تذنبي فيّ ذنوباً إنّ ربّي غفور

---

(١) أوطن المكان : اتخذه وطناً .

(٢) الحور : شدّة بياض بياض العين وسواد سوادها .

(٣) يقطب : يمزج .

(٤) الصنج : آلة بأوتار يضرب بها ، معرب .

(٥) الدنف : المريض .

(٦) الحرّى . العطشى .

ماذا على أهلكِ لو جدتِ لي وزُرتني يا ريمُ فيمن يزورْ
هل لكِ في أجرٍ تجازي بـه في عاشقٍ يرضيه منكِ اليسير
يقبل ما جدتِ بـه طائعاً وهو وإن قلَّ لديه الكثير
لعمريَ مَن أنت له صاحبٌ ما غاب عنه في الحياة السرور

قال وفيها يقول :

يا ريمُ يا قاتلـتي إن لم تجودي فعِـدي
بيَّضتِ بالمطل وإخلا فكِ وعـدي كبِدي
حالفَ عيني سُهـدي وما بهـا من رَمَد
يا ليتني في الأحـد أبليتِ مني جسـدي
لمن بـه من شِقوتي أخذتْ حتفي بيـدي

من شعره في جوهر :

أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطّاح لمطيع بن إياس ، يقوله في جوهر جارية بربر :

يا بأبي وجهـك من بينهم فإنه أحسنُ مـا أبصرُ
يا بأبي وجهـك من رائع يشبهه البـدرُ اذا يَزهَر
جاريةٌ أحسنُ من حَليهـا والحَليُ فيـه الدرّ والجوهر
وجِرمُها أطيبُ من طيبهـا والطِّيب فيـه المسك والعنبر [١]
جاءت بهـا بربر مكنونةً يا حبَّذا مـا جَلبتْ بربر
كأنّمـا ريقتهـا قهوةٌ صُبَّ عليهـا باردٌ أسمر [٢]

---

(١) الجرم : الجسم .

(٢) يعني العسل .

أخبرني الحسين بن القاسم قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني منصور بن بشر العُمركي عن محمد بن الزبرقان قال :

كان مطيع بن إياسٍ كثير العبثِ ، فوقف على أبي العمير : رجلٍ من أصحاب المُعلَّى الخادم ، فجعل يعبث به ويمازحه الى أن قال :

ألا أبلـغ لديك أبا العميرِ أراني الله في استكَ نصف أيرِ

فقال له أبو العُمير : يا أبا سلمى ، لو جدت لأحدٍ بالأيرِ كلِّه لجدتَ به الى ما بيننا من الصداقة ، ولكنك بخِّلك لا تزيده كلّه إلا لك . فأفحمه ، ولم يعاودِ العبث به .

قال : وكان مطيع يُرمى بالابنة :

قال : وسقط لمطيع حائط ، فقال له بعض أصدقائه : احمد الله على السلامة ! قال : احمد الله أنت الذي لم تَرُعك هدَّته ، ولم يُصِبكَ غبارُه ، ولم تعدَم أجرةَ بنائه .

أخبرني اسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشِيعيّ قال : حدثنا عمر بن شبَّة قال :

مدحه جرير بن يزيد :

وفد مطيع بن إياسٍ الى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ وقد مدحه بقصيدته :

أمِن آل ليلى عَزمتَ البكُورا ولم تلقَ ليلى فَتشفي الضميرا
وقد كنتَ دهرك فيا خلا لليلى وجارات ليلى زؤورا
ليالي أنت بهـا معجبٌ تهيم اليهـا وتعصي الأميرا
وإذ هي حوراء شِبـهُ الغزا لِ تُبصر في الطَّرف منها فتورا [١]

(١) الفتور : الضعف .

تقول ابنتي إذ رأت حالـتي وقرَّبتُ للبين عنساً وكورا [1]
الى مَن أراك ، وقتك الحتُو فَ نفسي، تجشَّمتَ هذا المسيرا
فقلتُ : الى البجـلّي الذي يفُكّ العنـاة ويُغني الفقيرا [2]
أخي العُرف أشبه عند الندى وحملِ المئينَ أباهُ جـديرا
عشيرِ الندى ليس يرضى الندى يدَ الدّهر بعـد جريرٍ عشيرا
اذا استكثر المجتـدون القليـلَ للمعتفينَ آستقلَّ الكثيرا
اذا عَسُر الخيرُ في المجتـديـن كان لديه عتيـداً يسيرا
وليس بمانعِ ذي حاجـةٍ ولا خاذلٍ مَن أتى مُستجيرا
فنفسي وقتك أبا خـالدٍ اذا ما الكماةُ أغاروا النُّمورا [3]
الى ابن يزيـدَ أبي خالدٍ أخى العرفِ أعملتها عيسجورا [4]
لتلقى فواضل من كفِّـه فصادفت منـه نوالاً غزيرا
فإن يكن الشُّكرُ حسنَ الثّنا ءِ بالعرف مِنّي تجدني شكورا
بصيراً بمـا يستلذّ الرّوا ةُ من مُحكَم الشِعر حتى يسيرا

إجازة جرير له سراً :

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلاً ، ولم يعلم أحد بحضوره ، ثم قال له : قد عرفت خبرك ، وإني متعجّل لك جائزتك ساعتي هذه ، فإذا حضرت غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء ، وأزوِّدك نفقةَ طريقك وأصرفُك ، لئلّا يبلـغ أبا جعفرٍ خبري فيهلكني . فأمر له بمائتي دينار ، فلما أصبح أتاه ، فاستأذنه في الإنشاد ،

---

(١) العنس : الناقة الصلبة . والكور ، بالضم : الرحل أو هو بأداته .

(٢) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .

(٣) الكماة : جمع كمي ، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح . والنمور : جمع نمر ، أراد انهم فاقوا النمور في شجاعتهم .

(٤) العيسجور : الناقة الصلبة والسريعة .

فقال له: يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى، وفي أيّ شيء أنا حتى ينتجعني الشعراء؟ لقد أسأت إليّ لأني لا أستطيع تبليغك محابّك[1]، ولا آمن سخطك وذمّك. فقال له: تسمع ما قلت فإني أقبل ميسورك، وأبسط عذرك. فاستمع منه كالمتكلّف المتكره، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلام كم مبلغ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقة طريقه، ومائة درهم ينصرف بها الى أهله، واحتبس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرف مطيع شاكراً، ولم يعرف أبو جعفر خبره.

أنشدني وكيع عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء:

واهاً لشخص رجوتُ نائله حتى أنثنى لي بودّه صلفا
لانت حواشيه لي وأطمعني حتى اذا قلت نلته أنصرفا

قال: وأنشدني حمّاد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياس، وفيه غناء أيضاً:

خليلي مخلفٌ أبداً يمنّيني غداً فغدا
وبعد غدٍ وبعد غدٍ كذا لا ينقضي أبدا
له جمرٌ على كبدي اذا حرّكته وقدا
وليس بلابثٍ جمرُ الغضى أن يحرق الكبدا[2]

وفي هذه الأبيات لعريب هزج:

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكري قال: حدثنا العنزي عن مسعود بن بشر قال:

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياس: أيُّ الأشياء أطيب عندك؟ قال: «صهباء صافية، تمزجها غانية، بماء غادية».

(١) محابك: ما تحب وتتمنى.

(٢) اللابث: المتوقف.

قال : صدقت .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو عبد الله التميمي قال : حدثنا أحمد بنُ عبيدٍ . وأخبرني عمي قال : حدثنا الكراني عن العمري عن العُتبي قال :

سكر مطيع بن إياسٍ ليلةً ، فعربد على يحيي بن زيادٍ عربدةً[١] قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق :

لا تحلِفاً بطلاقِ مَن أمستْ حوافرها رقيقه
مهلًا فقد علم الأنا مُ بأنها كانت صديقه

فهجره يحيي وحلف ألّا يكلّمه أبداً ، فكتب اليه مطيع :

إن تصلني فتلك اليوم يُرَجى عفوُه الذنبَ عن أخيه ووصلُه
ولئن كنت قد هممت بهجري للذي قد فعلت إني لأهلُه
وأحقُ الرّجال أن يغفر الذّنب لإخوانه الموفّر عقلُه
الكريم الذي له الحسب الثّا قبُ في قومه ومن طاب أصلُه
ولئن كنتَ لا تصاحب إلّا صاحباً لا تزلّ ما عاش نعلُه[٢]
لا تجده وإن جهدتَ ، وأنّى بالذي لا يكاد يُوجَد مثلُه
إنّما صاحبي الذي يغفر الذنب ويكفيه من أخيه أقلُّه
الذي يحفظ القديم من العهد وإن زلّ صاحبٌ قلّ عذلُه
ورَعى ما مضى من العهد منه حين يؤذي من الجهالة جهلُه
ليس مَن يُظهر المودّة إفكاً واذا قال خالف القول فعلُه
وَصله للصديق يوماً فإن طا ل فيومان ثم ينبتّ حبلُه

(١) العربدة : أن يؤذي النديم بما يكره .

(٢) زلة النعل : كناية عن الخطأ .

قال: فصالحه يحيى وعاود عِشرته.

نزوله بدير كعب وشعره في جليس ثقيل:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال: حدثني أبي عن رجلٍ من أهل الشام قال:

كنت يوماً نازلاً بدير كعب، قد قدمت من سفرٍ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ(١) وآلةٌ وعَيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعامٍ فأكل، فدعا الراهب فوهب له دينارين، واذا بينه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ويحدّث الراهب، وأنا أراهما، إذ دخل الدير رجل فجلس معهما، فقطع حديثهما وثقُل في مجلسه، وكان غثَّ الحديث، فأطال. فجاءني بعض غِلمان الرجل النازل فسألته عنه، فقال: هذا مطيع بن إياس. فلما قام الرجل وخرج كتب مطيعٌ على الحائط شيئاً، وجعل يشرب حتى سكر، فلما كان من غدٍ رحل، فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب:

طَرْبةً ما طربتُ في دير كعب كدت أقضي من طربتي فيه نَحبي
وتذكّرتُ إخوتي ونَداما يَ فهاج البكاء تذكار صحبي
حين غابوا شتى وأصبحتُ فرداً ونأوا بين شرق أرضٍ وغَرب
وهمُ ما همُ، لحسبيَ لا أبـ ـغي بديلاً بهم لعمرك حسبي
طلحة الخيرِ منهم وأبو المنـ ـذر خِلّي ومالكٌ ذاك تِربي(٢)
أيها الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي

(١) الثقل، بالتحريك: متاع المسافر وحشمه.

(٢) الترب بكسر التاء: ما ولد معك، واكثر ما يستعمل في المؤنث.

خِفَّ عنا فأنت أثقلُ واللـــه علينا من فَرْسَخي دير كعبِ
ومن الناس مَن يخفّ ومنهم كرحى البزر رُكِّبت فوق قلبي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا الحسين بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل حتى حلف يحيى بن زياد على بُطلان شيء كلّمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

لا تحلفاً بطـلاق مَن أمستْ حوافرُها رقيقه
هيهات قد علِمَ الأمـــير بأنهـا كانت صديقه

فغضب يحيى وحلف ألّا يكلِّم مطيعاً أبـداً، وكانا لا يكادان يفترقان في فرحٍ ولا حُزنٍ، ولا شدّةٍ ولا رخاء، فتباعَد ما بين يحيى وبينه، وتجافيا مدّة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فرط منه الى يحيى؛ فكتب اليه بهذا الشِعر، قال:

كنت ويحيى كيد واحدةٍ نَرمي جميعاً وترانا معـا
إن عضَّني الدّهر فقد عضَّه يُوجعنا ما بعضنـا أوجعا
أو نام نامت أعين أربـعٌ منّا وإن أسهر فلن يَهجعـا
يسرُّني الدّهـر اذا سرّه وإن رماه فلنـا فجّعا
حتى اذا ما الشّيب في مَفرِقي لاحَ وفي عارضـه أسرعا
سعى وُشاةٌ فمَشَوْا بيننـا وكاد حبـل الودّ أن يُقطعا
فلم أُلُمْ يحيى عـلى فِعله ولم أُقـل ملّ ولا ضيّعا
لكنّ أعداء لنـا لم يكن شيطانُهم يرى بنـا مَطمعا
بينا كذا غاش عـلى غرة فأوقد النّيران مستجمعا
فلم يزل يُوقدهـا دائباً حتى اذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسي، عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن

ابن أخي الأصمعي عن عمه . قال اسحاق في خبره : « دخل على إخوانٍ يشربون » ، وقال الأصمعي :

دخل سُراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد ، وعندهما قينةٌ تغنّيهما ، فسقَوه أقداحاً وكان على الريق ، فاشتد ذلك عليه ، فقال مطيع للقينة : غنّي سراعة . فقالت له : أيَّ شيء تختار ؟ فقال : غني :

طبيبيَّ داويتما ظـاهراً فمن ذا يداوي جَوًى باطنا

ففطن مطيعٌ لمعناه ، فقال : أبِك أكل ؟ قال : نعم . فقدَّم اليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم . والله أعلم .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني محمد بن هارون الأزرقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال : حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال :

كان مطيع بن إياس يَهوى ابن مولًى لنا يقال له محمد بن سالم ، فأخرجت أباه الى صنعةٍ لي بالريّ لينظر فيها ، فأخرجه أبوه معه ، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني ، فأنشدني لنفسه :

أيا ويحه لا الصَّبر يملك قلبه فيصبر لمَّا قيـل سار محمدُ
فلا الحزن يُغنيه ففي الموت راحةٌ فحتى متى في جهـده يتجلَّد
قد أضحى صريعاً باديات عظامه سوى أنَّ روحاً بينها تتردَّد
كئيباً عنّي نفسه بلقـائه على نأيه والله بالحزن يشهـد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئبٌ بإلفك أو جاء بطلعتـه الغد
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قوّتي فأصبحتُ مُضنًى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أُغفلت عن نسبتها حتى انتهيت الى هذا الموضع فنسبتها فيه :

صوت

طبيبيَّ داويتما ظـاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا
فقوما اكوياني ولا ترحما ... من الكيِّ مستحصفاً راصنا [1]
ومُرّا على منزل بالغُمَيم ... فإني عهـدتُ به شادنا [2]
فتور القيام رخيم الكلا ... م كان فؤادي به راهنا

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزبير بن بكارٍ ، لعمرو بن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نُفيلٍ القرشي العدويّ ، والغناء لمعبدٍ ، ولحنه ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن اسحاق وعمروٍ ، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبَّه فيه بالأوائل . ولو قال قائل : إنه أحسنُ صنعةٍ له صدَق .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، أن غيلان بن خرشةَ الضَّبيَّ دخل الى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يـدري فيم هُمْ ، حتى غنت القينة :

طبيبيَّ داويتما ظـاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا

وكان أعرابياً جافياً به لوثة [3] ، فغضب ووثب وهو يقول : السوطُ وربِّ غيـلان يداوي ذلك الجوى ! فخرج من عندهم .

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغـيره ، ولكنَّ ذكره ها هنا حسن فذكرته .

---

(١) المستحصف : الشديد .
(٢) الشادن : الغزال الصغير .
(٣) اللوثة : الحمق ومس الجنون .

ومما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

أمسيتُ جَمّ بلابل الصدر دهراً أزَجّيه الى دهرِ
إن فُهتُ طُلّ دمي وإن كُتِمتْ وَقدت عليّ توقّد الجمر

الغناء لحكم الواديّ ، هزج بالبنصر عن حبش الهشامي .

مطيع وجوهر المغنية :

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن اسحاق عن صباح بن خاقان قال :

دخلت علينا جوهر المغنية جاريةُ بربر ، وكانت محسنةً جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بن إياس وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل عليها بنظره وحديثه ، ثم قال :

ولقد قلتُ مُعلناً لسعيدٍ وجعفر
إن أتتني منيّتي فدمي عند بربر
قتلتني بمنعها ليَ من وَصل جوهر

قال : وجوهر تضحك منه .

هجاء مطيع لحماد عجرد :

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيدٍ عن أبي توبة قال :

بلغ مطيع بن إياس، أن حمّاد عجردٍ عاب شعراً ليحيي بن زيادٍ قاله في مُنقذ

ابن بدرٍ الهـلالي، فأجابه مُنقذٌ عنه بجوابٍ، فاستخفَّها حمّاد عجرد، وطعن عليها، فقال فيه مطيع:

أيها الشاعر الذي عاب يحيى ومُنقِذا
أنت لو كنت شاعراً لم تقـل فيها كذا
لست والله فاعلـنّ لدى النقـد جِهبذا [١]
تعدِل الصبر بالرضى شائب الصَّفوِ بالقذى

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال:

كنت جالساً مع مطيع بن إياسٍ، فمرّت بنا مكنونة جـارية المروانية، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلّم، وعيث بها مطيع بن إياسٍ فشتمته، فالتفت إليّ وأنشأ يقول:

فديتُ من مرّ بنا يوماً ولم يتكلّمْ
وكان فيا خـلا منـه كلمـا مرّ سلّم
وإن رآنيَ حيّاً بطرفـه وتبسّم
لقـد تبدّل – فيا أظنّ – والله أعلم
فليت شِعريَ ماذا عليّ في الود ينقم
يا ربِّ إنك تعلم أني بمكنونَ مغرَم
وأنني في هواهـا ألقى الهوان وأعظم
يا لائمي في هواهـا احفظْ لسانك تسلم
واعلم بأنك مها أكرمت نفسك تُكرَم

(١) الجهبذ: النقاد الخبير.

إنّ المملول اذا ما ملّ الوصال تجرّم[1]
أو لا فما ليَ أجنى من غير ذنب وأحرَم

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجوها :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال .

كان مطيع بن إياس يألف جواري بربر ، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول ؛ ولحكم فيه غناء :

خافي اللهَ يا بربرُ لقد أفسدتِ ذا العسكر
اذا ما أقبلت جوهر يفوح المسك والعنبر
وجوهرُ درّة الغوّا ص من يملكها يُجبر[2]
لها ثغرٌ حكى الدرّ وعينا رشإٍ أحور[3]

في هذه الأبيات هزج لحكمٍ الواديّ . قال وفيها يقول :

أنتِ يا جوهر عندي جوهرهْ في قياس الدرر المشتهرهْ
أو كشمسٍ أشرقت في بيتها قذفتْ في كل قلب شرَرَه
وكأني ذائقٌ من فمها كلما قبّلتُ فاها سُكّره
وكأني حين أخلو معها فائز بالجنّة المختضِرَه

قال : فجاءها يوماً ، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها ، فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصحّاف يهواها متخلّ[4] معها ، فقال مطيع يهجوها :

---

(١) تجرم عليه : ادعى عليه ذنباً لم يفعله .

(٢) يجبر : يسر .

(٣) الرشأ : الظبي إذا قوي ومشى مع أمه. أحور : الحور : شدة سواد العين وبياض بياضها.

(٤) متخل : متفرغ .

ناكَ والله جـوهرَ الصَّحّافُ وعليها قميصهـا الأفوافُ [١]
شامَ فيها أيراً له ذا ضلوع لم يشنْه ضعفٌ ولا إخطاف [٢]
جدَّ دفعاً فيها فقالت ترفَّق ما كذا يا فتى تُناك الظِّراف

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال، قال محمد بن صالح بن النطاح: أُنشِد المهديُّ قول مطيع بن إياس:

خـافي الله يا بربرْ لقد أفتنتِ ذا العسكرْ
بريح المسك والعنبر وظبي شـادنٍ أحور [٣]
وجـوهر درّة الغوّا ص من يملكها يُحبر
أما والله يا جـوهر لقد فُقتِ علـى الجوهر
فـلا والله ما المهديُّ أولَى منـك بالمنبر
فإن شئتِ ففي كفيْـكِ خلع ابن أبي جعفر

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! إجمعوا بين هذين قبـل أن تخلعنا هذه القحبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووجدتُ أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن علي أتمّ من رواية إسحاق وهي بعـد البيتين الأوّلين:

زعموها قالت وقد غاب فيها قائماً في قيامـه استحصافُ
وهو في جارة أستها يتلظَّى يا فتى هكذا تُناك الظِّراف
ناكها ضيفها وقبَّل فاهـا يا لقومي لقد طغى الأضياف
لم يزل يرهز الشهيَّـة حتى زال عنها قميصهـا والعطاف [٤]

(١) الأفواف: الرقيق.
(٢) شام: أدخل. والإخطاف: الضمور.
(٣) الظبي الشادن: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن امه.
(٤) يرهز: يحرك. العطاف: الرداء.

وقال هارون بن محمد في خبره :

بيعت جوهر جارية برير ، فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها :

لا تبعدي يا جوهرُ عنّا وإن شطّ المزارُ
وَيلي لقد بعدت ديا رُكِ سُلّمت تلك الديار
يُشفى بريقتها السّقا مُ كأنّ ريقتها العُقار[1]
بيضاء واضحة الجبيـ ـن كأن غُرّتها نهار
القلب قلبي وهو عند الهاشميّة مستعار

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدثنا العنزي قال : حدثنا علي بن منصور المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه الى بستانٍ له بكَلواذي[2] ، فمضى اليها ، فلم يستطِبها ، فقال يهجوها :

بلدة تُمطِر التراب على النا س كما يُمطر السماء الرذاذا
وإذا ما أعاذ ربي بلاداً من خرابٍ كبعض ما قد أعاذا
خربت عاجلاً ولا أمهلت يو ماً ولا كان أهلها كلواذى

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو اسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمَر قال :

كان لمطيع بن إياسٍ مُعامل من تجار الكوفة ، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه ، فكان اذا شرب يعمل كما يعملون ، وقال كما يقولون ، واذا صحا تهيّب ذلك وخافه ، فمرّ يوماً بمطيع بن

---

(١) العقار : الخمر .

(٢) كلواذي : مدينة قرب مدينة السلام .

إياس وهو جالس على باب داره ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : شيّعتُ صديقاً لي حجّ ، ورجعتُ كما ترى ميتاً من ألم الحرّ والجوع والعطش . فدعا مطيع بغلامه وقال له : أي شيء عندك ؟ فقال له : عنـدي من الفاكهة كذا ، ومن البوارد والحارّ كذا ، ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشّ الخيشُ وفُرغ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيش وشبه الجنّة . قال : أنت الشريك فيه على شريطةٍ ان وفَيتَ بها وإلا انصرفت. قال : وما هي ؟ قال : تشتمُ الملائكة وتنزل .

فنفر التاجر وقال : قبح الله عِشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني . ومضى فلم يبعد حتى لقيه حمّاد عجردٍ فقال له : ما لي أراك نافراً جزعاً ؟ فحدّثه حديثه . فقال : أساء مطيعٌ – قبحه الله – وأخطأ ، وعندي والله ضِعف ما وصف لك ؛ فهل لك فيه ؟ فقال : أجل ، بي والله اليه أعظم فاقة . قال : أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنّهم تعبّدونا بكل أمرٍ مُعنتٍ متعبٍ ، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم . فنفر التاجر وقال : أنت أيضاً فقبحك الله ، لا أدخل !

ومضى فاجتاز بيحيى بن زيادٍ الحارثي فقال له : ما لي أراك يا أبا فلان مُرتاعاً ؟ فحدّثه بقصّته . فقال : قبحهما الله لقد كلّفاك شططاً ، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما ، وعندي والله أضعاف ما عندهما ، وأنت الشريك فيه على خصلةٍ تنفعك ولا تضرّك ، وهي خلاف ما كلفاك إيّاه من الكفر . قال : وما هي ؟ قال: تصلي ركعتين تُطيل ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلس ، فنأخذ في شأننا .

فضجر التاجر وتأفف وقال : هـذا شرٌّ من ذاك ، أنا تعِب ميّت ، تكلّفني صلاةً طويلةً في غير برّ ولا لإطاعةٍ يكون ثمنها أكل سُحتٍ[١] وشرب خمرٍ وعِشرة فجرةٍ وسماع مغنياتٍ قحابٍ . وسبّه وسبّهما ومضى مغضباً . فبعث خلفـه

(١) السحت : ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار .

غلاماً وأمره بردّه، فردّه كرهاً، وقال: انزلِ الآن على ألا تصليَ اليوم بتةً. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعدٍ. فنزل عنده.

ودعا يحيي مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قُدّم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر، فلما دبّت الكاس فيه قال له مطيع: أيّما أحبّ اليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب اليك: تشتم الأنبياء او تنصرف؟ فشتمهم. فقال له يحيي: أيما أحب اليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب اليك: تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بَني الزانية ولا أنصرف. فعمل كل ما أرادوه منه.

أخبرني الحسين بن يحيي عن حماد بن اسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

رفع صاحب الخبر الى المنصور أنّ مطيع بن إياسٍ زنديقٌ، وأنّه يعاشر ابنه جعفراً وجماعةً من أهل بيته، ويوشك أن يفسِدوا أديانهم ويُنسبوا الى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أمّا الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيثُ الدين فاسق مستحلّ للمحارم. قال: فأحضِره وانهَهُ عن صحبة جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيث يا فاسق، قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون[1] عليك، ولا يتمّ لهم سرورٌ إلا بك، فقد غرّرتهم وشهّرتهم في الناس، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نُسبتَ اليه بالزندقة، لقد كان أمر بضرب عنقك. وقال للربيع: اضربه مائتي سوطٍ واحبسه.

---

(١) التقادع: التهافت.

قال : ولمَ يا سيدي ؟ قال : لأنك سِكّير خَمّيرٌ[1] قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك . فقال له : إن أذِنتَ وسمعت احتججتُ . قال : قل . قال :

أنا امرؤ شاعر ، وسُوقي إنما تنفق مع الملوك ، وقد كسدت عندكم ، وأنا في أيامكم مُطَّرحٌ ، وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك عَشيرة ، وأصفيته على ذلك شكري وشعري ، فإن كان ذلك عائباً عندك تُبت منه . فأطرق ، ثم قال : قد رفع إليّ صاحب الخبر أنك تتاجن على السؤال وتضحك منهم . قال : لا ، والله ما ذلك من فعلي ولا شأني ، ولا جرى مني قط إلا مرة ؛ فإن سائلاً أعمى اعترضني — وقد عبرتُ الجسر على بغلتي — وظنّني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يُعطيَ الجند أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم ، فتجبَ فيها الزكاة عليهم ، فيصدّقوا عليّ منها . فنفرت بغلتي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء ، فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك ، سلِ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يُحتاج اليها ، فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ، ورُفع عليّ في الخبر قولي له هذا .

فضحك المهدي وقال : خلوه ولا يُضرَب ولا يُحبس . فقال له : أدخل عليك لمَوْجِدة[2] وأخرج عن رضىً وتبرأ ساحتي من عَضيهة[3] وأنصرف بلا جائزة ؟ قال : لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير ، فيتجدّد عنده ذنوبه . قال : وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ، ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهدي . فقال له : اخرج عن بغداد ودَع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غداً . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب لك الى سليمان بن علي فيُوَلّيك عملاً ويحسن

(١) الخمير : الدائم الشرب للخمر .

(٢) الموجدة : الغضب .

(٣) العضيهة : الإفك ، والبهتان ، والنميمة .

اليك . قال : قد رضيت . فوفد الى سليمان بكتاب المهدي، فولّاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هندٍ ، فعزله به .

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياسٍ قدم على سليمان بن علي بالبصرة – وواليها على الصدقة داود بن أبي هند – فعزله وولّى عليها مطيعاً .

مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة :

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال :

كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابرٍ الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حماد عجردٍ ومطيع بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد . فقال حماد عجردٍ يهجوه :

أتوب الى الله من مالكٍ صديقاً ومن صُحبتي مالكا
فإن كنت صاحبته مرةً فقد تبتُ يا ربّ من ذلكا

قال : وأنشدها مطيعاً ، فقال له مطيع : سخنت عينك ! هكذا تهجو الناس ؟ قال : فكيف كنت أقول ؟ قال : كنت تقول :

نظرةً ما نظرتها يوم أبصرت مالكا
في ثيابٍ مُعَصفرا تِ على الوجه باركا
تركتني ألوط من بعد ما كنت ناسكا
نظرة ما نظرتها أوردتني المهالكا

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال :

كان مطيع بن إياس منقطعاً الى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبته له بغير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد عجرد ويحيى بن زياد ، فتذاكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها ، وحسنَ مملكتهم وطيب دارهم بالشأم ، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور ، وشدّة الحرّ ، وخشونة العيش ، وشكوا الفقرَ فأكثروا ، فقال مطيع بن أياس : قد قلت في ذلك شعراً فاسمعوا . قالوا : هات . فأنشدهم :

حبّذا عيشنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك حين لا حبّذا ذا
أين هذا من ذاك سَقياً لهذا ... ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمان عُسراً وشراً ... عندنا إذ أحلّنا بغدادا
بلدة تُمطر التراب على النا ... س كما يمطر السماء الرّذاذا
خربت عاجلاً وأخرب ذو العر ... ش بأعمال أهلها كلواذى

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال :

لما خرج حماد بن العباس الى البصرة ، عاشر جماعةً من أهلها وأدبائها وشعرائها ، فلم يجدهم كما يريد ، ولم يستطب عِشرتهم واستغلظ طبعهم ، وكان هو ومطيع ابن إياسٍ وحماد الراوية ويحيى بن زيادٍ كأنهم نفس واحدة ، وكان أشدّهم أنساً به مطيع بن إياس ، فقال حمادٌ يتشوّقه .

لست والله بناسٍ ... لمطيع بن إياسِ
ذاك إنسانٌ له فضـ ... ـلٌ على كلّ أناس
غرس الله له في ... كبدي أحلى غِراس
فإذا ما الكاس دارت ... واحتساها مَن أحاسي
كان ذِكرانا مُطيعاً ... عندها رَيحان كاسي

حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال :

دعا مطيع بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد الى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صبّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخ مُردٍ وشبان، ومغنّين ومغنيات، فكتب مطيع الى يحيي بن زيادٍ الحارثي يخبره بأمره ويتشوّقه، قال:

كم ليلةٍ بالكرخ قد بتُّها جذلان في بستان صبّاحِ
في مجلسٍ تنفحُ أرواحه يا طيبها مِن ريح أرواح
يُدير كأساً فإذا ما دَنت حُفَّت بأكوابٍ وأقداح
في فتيةٍ بيضٍ بهاليل ما إن لهم في الناس من لاح[1]
لم يَهنني ذاك لفقد امرئ أبيض مثل البدر وضّاح
كأنما يُشرق من وجهه اذا بدا لي ضوء مِصباح

قال: فلما قرأ يحيي هذه الأبيات قام من وقته، فركب اليهم، وحمل اليهم ما يُصلحهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

روايته شعراً لفتى كوفي:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال: قال مطيع بن إياسٍ:

جلست أنا ويحيي بن زياد الى فتى من أهل الكوفة كان ينسب الى الصَّبوة[2] ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك، فقال:

---

(١) بهاليل: جمع بهلول وهو الضحّاك او السيد الجامع لكل خير. لاح: لائم.

(٢) الصبوة: جهلة الفتوّة واللهو من الغزل.

لَأحسنُ من بيدٍ يحارُ بها القطا ومن جَبَليْ طَيٍّ ووصفكما سَلعا[١]
تَلاحظ عَينَيْ عاشقَين كلاهما له مُقلةٌ في وجه صاحبه ترعى

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال :

عاتب المهدي مطيع بن إياسٍ في شيء بلغه عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تغني المعاذير ، وإن كان باطلًا فما تضرّ الأباطيل . فقبِل عذره وقال : فإنّا ندعُك على جملتك ولا نكشفك . والله أعلم .

حدثني عمي الحسن بن محمدٍ قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ قال :

اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكمٌ الواديُّ يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودَعوا جوهر المغنية ، وهي التي يقول فيها مطيع :

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرَه في قياس الدّررِ المشتهرَه

فشربوا تحت كرمٍ معروشٍ حتى سكروا ، فقال مطيع في ذلك :

صوت

خرجنا نمتطي الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشرُبها مُعتّقةً تخالُ بكأسها شررا
وجوهرُ عندنا تحكي بِبدارةٍ وجهها القمرا

---

(١) القطا : جمع قطاة وهي طائر في حجم الحمام ، وقد يطلق الحمام عليه للمشابهة . سلع : موضع بقرب المدينة ، وقيل جبل بالمدينة .

يزيدك وجهها حُسناً اذا ما زدته نظرا
وجوهرٌ قد رأيناها فلم نرَ مثلها بشرا

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد رُوي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصحّ. لحن حكمٍ في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى.

مطيع يهجو أباه:

حدثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني حمادٌ عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه، فأقبل يوماً من بُعد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هذا إياسٌ مُقبلًا جاءت به إحدى الهنات[1]
هو زَ فُوه وأنفه كَلَمُنٌ في إحدى الصفات
وكأنَّ سعفص بطنه والثغر شين قُريشيَّات
لما رأيتك آتياً أيقنت أنك شرُّ آت

حدثني جعفر بن قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدثني حماد ابن اسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أوّلها:

أهلًا وسهلًا بسيّد العربِ ذي الغُرر الواضحات والنجُبِ
فتى نزارٍ وكهلها وأخي الـــجود حوى غايتَيْهِ من كَثَبِ
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طُرّاً في السهل والرَّحَبِ

---

(١) الهنات: الشرور والفساد.

أبو العُفاة الذي يلوذ به   من كان ذا رغبةٍ وذا رهبِ
جاء الذي تُفرّجُ الهمومُ به   حين يُلزّ الوضينُ بالحقب [١]
جاء وجاء المضاءُ يقدُمُه   رأيٌ اذا همّ غيرُ مؤتشب
شهمٌ اذا الحربُ شبَّ دائرها   أعادها عودةً على القطب
يطفئُ نيرانها ويوقدُها   اذا خبت نارُها بلا حطب
إلا بوقعِ المُذكّرات يُشبّهـ   ـنَ اذا ما انتضين بالشُّهب [٢]
لم أرَ قِرنًا له يُبارزه   إلا أراه كالصقر والخَرَب [٣]
ليثٌ بخفّان قد حمى أجماً   فصار منها في منزل أشِب [٤]
شبلاه قد أدّبا به فهما   شِبهاه في جدّه وفي لعب
قد ومقا شكلَه وسيرتَه   وأحكما منه أكرمَ الادب [٥]
نعم الفتى تُقرن الصعابُ به   عند تجاثي الخصوم للرُّكب [٦]
ونعم ما ليلةُ الشتاء اذا اسـ   ـتُنبح كلب القِرى فلم يُجِب
لا ونعم عنده مخالفة   مثل اختلاف الصعود والصبب
يحصر مِن لا فلا يُهمُّ بها   ومنه تُضحى نعم على أرب
ترى له الحلم والنُّهى خُلُقاً   في صولة مثل جاحم اللهب
سيف الإمامين ذاك وذا اذا   قل بناةُ الوفاء والحسب
ذا هودةٍ لا يُخاف نبوتُها   ودينه لا يُشاب بالريب [٧]

(١) يلز : يقرن . الوضين : بطان عريض منسوج من سيور او شعر . الحقب : الحزام الذي يلي حقو البعير .

(٢) المذكرات : جمع مذكّر ، وهو السيف ذو الماء .

(٣) الخرب : ذكر الحبارى ، وهي طائر .

(٤) خفان : موضع معروف قرب الكوفة ، وهو مأسدة فيه غياض وزوز . أشب : كثير الشجر .

(٥) ومقا : أحبا .

(٦) جثا : جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها .

(٧) الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .

فلما سمعها معن قال له : إن شئت مدحناك كما مدحتنا وان شئت أثبناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج الى الثواب ، فأنشأ يقول لمعن :

ثناءٌ من اميرٍ خيرُ كسبٍ   لصاحبِ فاقةٍ وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي   وما مثلُ الدراهم من دواء

فضحك معن حتى استلقى وقال : لقد لطفت[1] حتى تخلصت منها ، صدقت، لعمري ما مثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ ، وخلع عليه وحمله[2].

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلبي عن أبيه عن اسحاق قال : كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه ، فضرط ذات يومٍ وهو عنده ، فاستحيا وغاب عن المجلس ، فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه ، فكتب اليه وقال :

اظهرت منك لنا هجراً ومقليةً[3]   وغبت عنا ثلاثاً لست تغشانا
هوِّن عليك فما في الناس ذو إبلٍ   إلا وأينقُه يشردْن أحيانا

مجون مطيع واصحابه في الصلاة :

اخبرني أبو الحسن الاسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس ، فحدثنا عنه قال :

اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع اصحابهم ، فشربوا أياماً تباعاً ، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكارى : ويْحكم ! ما صلينا منذ ثلاثةِ أيامٍ

---

(١) لطف : رفق .

(٢) حمله : أعطاه دابة تحمله .

(٣) مقلية : بغضاً .

فقوموا بنا حتى نصلي . فقالوا : نعم . فقام مطيع فأذن واقام، ثم قالوا: من يتقدّم؟ فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنية : تقدمي فصلي بنا . فتقدمت تصلي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مطيَّبة بلا سراويل ، فلما سجدت بان فرجهـا ، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبَّله وقطع صلاته ، ثم قال :

ولمَّا بدا فرجها جاثماً كرأس حليقٍ ولم يعتمدْ
سجدتُ اليه وقبّلتُـه كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم ، وضحكوا وعادوا الى شربهم .

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال :

كتب المهدي الى أبي جعفر يسأله أن يُوجه اليه بابنه موسى ، فحمله اليه ، فلما قدم عليه قامت الخطباء بهنئه ، والشعراء تمدحـه ، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه ، فقام مطيع بن إياس فقال :

أحمـدُ الله إله الـــخلق ربِّ العالمينا
الذي جاء بموسى سالماً في سالمينـا
الامير ابن الامير ابـــن أمير المؤمنينا

فقال المهدي : لا حاجة بنا الى قولٍ بعد ما قاله مطيع . فأمسك الناس، وامر ه بصلة .

قال ابو الفرج :

ونسخت من كتاب لابي سعيدٍ السكري بخطه ، قال : حدثني ابن ابي فنن . أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيا أجاز لنا ان نرويه عنـه عن ابي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي ، وخبر السكري أتم واللفظ له ، قال :

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الاصبغ له قيانٌ، وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الاصبغ، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه، وكان يحيي بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجردٍ وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويُطرِفونه[1]، وكلهم كان يعشق ابنه أصبغ، حتى كان يوم نَوروز[2] وعزم ابو الاصبغ على ان يصطبح مع يحيي بن زياد، وكان يحيي قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الاصبغ لجواريه: إن يحيي بن زيادٍ يزورنا اليوم، فأعدِدن له كل ما يصلح لمثله. ووجه بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه، ولم يبقَ بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ الى يحيي يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه استأذن له الغلام، فقال له يحيي: قل له يدخل، وتنح أنت واغلق الباب ولا تدع الاصبغ يخرج إلا بـإذني. ففعل الغلام ودخل الاصبغ، فأدى اليه رسالة أبيـه، فلما فرغ راوده يحيي عن نفسه، فامتنع، فثاوره[3] يحيي وعاركه حتى صرعه، ثم رام حلَّ تِكّته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مُصلّاه اربعين ديناراً، فأعطاه إياهـا، فأخذها، وقال له يحيي: امض فإني بالاثر. فخرج أصبغُ من عنده، فوافاه مطيع ابن إياس، فرآه يتبخّر ويتطيّب ويتزين، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يُجبه، وشَمـخ بأنفه، وقطب حاجبيه، وتفخّم، فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك الوحي؟ كلمتك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ وهو يومئ برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكتَ أصبغ بن أبي الاصبغ قال: إي والله الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فأمرأتُه طالق إن فارقتك او تقبّل متاعك. فأبداه له يحيي حتى قبّله، ثم قال له: كيف قدَرت عليه؟ فقال يحيي ما جرى وحدّثه بالحديث، وقام يمضي الى منزل أبي الاصبغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنع معي والرجل لم يدعُك؟ وإنما يريد الخَلوة. فقال: أشيعُك الى بابـه

---

(١) يطرفونه: يهدون إليه الطريف.

(٢) نوروز: أوّل يوم من السنة الشمسية، وعند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل

(٣) ثاوره: واثبه.

ونتحدث . فضى معه ، فدخل يحيي وردّ الباب في وجه مطيع ، فصبر ساعة ، ثم دق الباب فاستأذن ، فخرج اليـه الرسول ، وقال له : يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرّغ معه لك . فتعذّر[1] . قال : فابعث إلي بـدواة وقرطاس ، فكتب اليه مطيع :

يا أبا الاصبغ لا زلتَ على كل حال ناعماً مُتّبعا
لا تصيّرني في الودّ كمن قطـع التِكة قطعاً شنعا
وأتى ما يشتهي لم يَثْنِه خيفةٌ او حفظُ حق ضَيَّعا
لو ترى الاصبغ مُلقًى تحته مستكيناً خجلاً قد خضعا
وله دفعٌ عليـه عجل يشبقٌ شاءكَ[2] ما قد صنعا
فادعُ بالاصبغ واعلم حالَـه سترى امراً قبيحـاً شنِعا

قال فقال أبو الاصبغ ليحيي : فعلتها يا ابن الزانية ؟ قـال : لا والله : فضرب بيده الى تِكَة ابنه ، فرآها مقطوعة ، وايقن يحيي بالفضيحة، فتلكأ الغلام، فقال له يحيي : قد كان الذي كان ، وسعى بي اليك مطيعٌ ابن الزانية ، وهذا ابـني وهو والله أفره[3] من ابنك ، وأنا عربي ابن عربية وأنتَ نبطي ابن نبطية ، فنِك ابني عشر مرات مكان المرة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحـك وضحك الجواري ، وسكن غضبُ ابي الاصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة . فرمى بها اليه . وقام خجلاً ، وقال يحيي : والله لا أُدخل مطيعٌ الساعي ابن الزانية . فقال أبو الاصبغ وجواريه : والله ليدخلَنّ ، فقـد نصحنا وغششتنا . فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيي يشتمهم بكل لسان ، وهو يضحك ، والله أعلم .

(١) تعذر : اعتذر واحتج لنفسه .

(٢) شاءك : حزنك .

(٣) الفاره من الناس : المليح الحسن .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكُراني عن العُمري عن العتبي قال :

حضر مطيع بن إياس وشُراعةُ بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحباب وعبد الله بن العيّاش المنتوف وحماد عجرد، مجلساً لامير من امراء الكوفة، فتكايدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما :

وخمسة قد أبانوا لي كيدهمُ وقد تلظى لهم مِقْلًى وطنْجيرُ [١]
لو يقدرون على لحمي لمزّقه قردٌ وكلبٌ وجرواهُ وخنزير

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال :

دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تخت [٢]، فقال له : ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

كان حمادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حلقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له : من يقول هذا يا أبا سلمى ؟ قال : الحطيئة. قال حماد : نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقياً. يعرّض حماد بأنه كذّاب، وأنه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا ابن الاعرابي عن الفضل قال:

---

(١) المقلى والمقلاة : ما يقلى فيه الطعام. الطنجير : وعاء تعمل فيه الحلوى المخبوصة، وهو معرب

(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب.

جاء رجل الى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبل فيّ قولَ قائلٍ. ويقال إن الابيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها، فتدحرج تحتها الرمان فينفذ الى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من ابناء الدّهاقين[1] كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الاول غلط.

مطيع يشتاق الى جاريته جودانة

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الاسدي قال حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال:

أخبرني مطيع بن إياس الليثي – وكان أبوه من أهل فلسطين من اصحاب الحجاج بن يوسف – أنه كان مع سلم بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كتب اليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد، قال مطيع: وكانت لي جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها، فأمرني سَلم بالخروج معه، فاضطررت الى بيع الجارية، فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتمنيت ان اكون أقمتُ، وتتبّعتها نفسي، ونزلنا حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنان دابتي في يدي وانا مستند الى نخلة على العقبة والى جانبها نخلة اخرى، فتذكرت الجارية واشتقتُها وقلت:

أسعِداني يا نخلتي حُلوانِ وابكيا لي من ريبِ هذا الزمانِ[2]

---

(١) الدهقان: رئيس الإقليم، فارسي معرب.

(٢) حلوان: حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

واعلما أن ريبة لم يزل يفـــرِّق بين الألاف والجيرانِ
ولعمري لو ذقتما ألمَ الفر قة قد أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروفُ هذي الليالي بفراق الاحباب والخلان
غير أني لم تلق نفسي كما لا قيت من فُرقة ابنة الدهقان
جارة لي بالرّي تُذهبُ همي ويُسلي دنوُّها أحزاني
فجعتني الايام أغبط ما كنـــت بصدعٍ للبين غير مُدان
وبرغمي أن أصبحت لا تراها العـين مني وأصبحت لا تراني
إن تكن ودّعت فقد تركتْ بي لهباً في الضمير ليس بوان
كحريق الضرام في قصب الغا ب زفته ريحان تختلفان [1]
فعليك السلام (مني) ما سا غ سلاماً عقلي وفاض لساني

هكذا ذكر ابو الحسن الاسدي في هذا الخبر وهو غلط .

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد ، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلم بن قتيبة ، فكنتُ أتستر بها ، وكنت أتعشق امرأةً من بنات الدّهاقين كنت نازلا الى جنبها في دار لها ، فلما خرجنا بعتُ الجارية وبقيت في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها ، فلما نزلنا عقبة حُلوان جلست مستنداً الى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت :

أسعداني يا نخلتي حُلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان

وذكر الابيات ، فقال لي سَلم : ويلك فيمن هذه الابيات ؟ أفي جاريتك ؟ فاستحييتُ أن أصدقه فقلت : نعم . فكتب من وقته الى خليفته أن يبتاعها لي ،

(١) زفته : طردته واستخفته

فلم ألبث أن ورد كتابه : إني وجدتُها قد تداولها الرجال ، فقد عزفت نفسي عنها . فأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولا والله ما كان في نفسي منهـا شيء ، ولو كنت أحبها لم أبالِ اذا رجعتْ اليَّ بمن تداولها ، ولم أبالِ لو ناكها أهلُ مِنَى كلُّهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبدالله بن أبي سعد عن محمد ابن الفضل الهاشمي عن سلام الابرش قال :

لما خرج الرشيد الى طوس هاج به الدم بحلوان ، فأشار عليه الطبيب ان يأكل جُمَّاراً[1] ، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمَّاراً ، فاعلمه أن بلده ليس بها نخل ، ولكن على العقبة نخلتان ، فَمُر بقطع إحداهما . فقطعت ، فأُتي الرشيدُ بجمارتهـا ، فأكل منها وراح[2]. فلما انتهى الى العقبة نظر الى احدى النخلتين مقطوعة والاخرى قائمة ، واذا على القائمة مكتوب .

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنـا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقـان

فاغتم الرشيد ، وقال : يعزُّ علي أن أكون نحستُكما ، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبدالله بن أيوب قال :

لما خرج المهدي فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضع فتغدّى ودعا بحسنة فقال لها : أما ترين طيبَ هذا الموضع ؟ غنيني بحياتي حتى اشرب هاهنا أقداحاً ، فأخذت مِحكَّة كانت في يده وأوقعت على مخدّة وغنّته .

---

(١) الجمار : شحم النخل .

(٢) راح : نشط وارتاح .

أيا نخلـتَيْ وادي بُوانة حبّذا　　اذا نام حراسُ النخيل جَناكما

فقال: أحسنت، ولقد هَممت بقطع هاتين النخلتين – يعني نخلتي حلوان – فمنعني منهما هذا الصوتُ. وقالت له حسنة: أعيذك بالله يا أمـير المؤمنين ان تـكون النحس المفرق بينهما، فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه، فلما بلغت الى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً　　سوف يلقاكما فتفترقـان

قال: أحسنتِ والله فيما قلت، اذ نبهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبـداً، ولأُوكلنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ. ثم أمر بأن يُفعل، فلم يزل في حياته على ما رسمه الى أن مات.

نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة

أيا نخلتي وادي بُوانـة حبّذا　　اذا نام حُرّاس النخيل جناكما
فطيبكما أربى على النخل بهجةً　　وزاد على طُول الفتاء فتاكما[1]

يقال إن الشعر لعمر بن ابي ربيعة. والغناء للغريض ثاني ثقيـل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ.

المنصور ونخلتا حلوان:

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تضيّقه وتزحم الاثقال عليـه، فأمر بقطعها، فأنشد قولَ مطيع:

---

(١) الفتاء: الشباب.

واعلما ما بقيتا أن نحساً سوف يلقاكما فتفترقان

قال : ولا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما ، وتركهما .

وذكر أحمد بن ابراهيم عن ابيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال : قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان وهممت أن آمر بقطعها . فبلغ قوله المنصور ، فكتب اليه :

« بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان . ولا فائدة لك في قطعها ، ولا ضرر عليك في بقائها ، فأنا اعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما ، فتفرق بينهما» . يريد قول مطيع .

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد ، وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد :

جعل الله سدرتي قصر شيريـن فداء لنخلتي حلوان [١]
جئت مستسعداً فلم يُسعداني ومطيعٌ بكت له النخلتان [٢]

لشاعر آخر فيها :

وأنشدني جحظة ووكيع عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسمه :

أيها العاذلان لا تعذلاني ودعاني من الملام دعاني
وابكيا لي فإنني مستحقٌ (منكما) بالبكاء أن تسعداني [٣]

---

(١) شيرين : قصر شيرين بين حلوان وهمذان . وفي كل الاصول : « نخلتي قصر شيرين » . وما أثبتناه رواية معجم البلدان .

(٢) في كل الاصول : « مستعديا » ، وهو تحريف .

(٣) منكما : زيادة يستقيم بها الوزن ولا يأباها المعنى

إنني منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتي حلوان
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواه وأنتما تعلمان

وقال فيها أحمد بن ابراهيم الكاتبُ في قصيدة :

وكذاك الزمانُ ليس وإن أَلَّف يبقى عليه مؤتلفان
سلبت كفُّه الغريَّ أخاه ثم ثنى بنخلتي حُلوانِ [١]
فكأن الغريَّ قد كان فرداً وكأن لم تُجاور النخلتان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال:

جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فُرش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: اشتهي ألا أموت. قال: ومات في علته هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

أمرُّ مدامةً صِرْفا كأن صبيبها ودَجُ [٢]
كأن المسك نفحتها إذا بُزلت لها أرَجُ [٣]

---

(١) في: «الغريّ» وهي من غري به غراة فهو غري إذا لزق به ولزمه. والغريّ: واحد الغريّين، وهما بناءان مشهوران كانا بالكوفة.

(٢) الودج: عرق في العنق.

(٣) بزل: يقال بزل الخمر وغيرها إذا ثقب إناءها.

فظـلّ تخاله ملكا يصرّفها ويمـتزج [1]

الغناء لابراهيم ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي . وفيه لحن آخر لابن جامع . وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

صوت

جُدِلت كجدل الخيزرا ن وثُنِّيت فتثنَّتِ
وتيقَّنتْ أن الفـؤا د يحبها فـأدلَّت

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل ، وذكر حبش أنه لمقاته .

صوت

أيها المبتغي بَـلوى رشادي الهُ عني فمـا عليك فسادي [2]
أنتَ خِلو من الذي بي وما يعـلم ما بي إلا القريحُ الفؤاد [3]

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي .

صوت

ألا إن اهل الدارِ قد ودَّعوا الدارا وقد كان أهلُ الدار في الدار أجوارا [4]
يبكي على إثر الجميع فـلا يرى سوى نفسه فيهـا من القوم ديّارا [5]

---

(١) يصرفها : يجعلها صرفاً ، أي خالصة .

(٢) بلوى : اختبار وتجربة .

(٣) القريح : الجريح .

(٤) الأجوار : جمع جار ، كالجيرة والجيران .

(٥) ما بها ديار : أي ما بها أحد .

الغناء لابراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر ابن المكي أن فيه لابن سُريج لحناً من الثقيل الاول بالبنصر .

انقضت اخبار مطيع ولله الحمد .

صوت

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيتها وقلتُ ما قلتُ غير محتشمِ

الشعر لمحمد بن كناسة الاسدي ، والغناء لقلم الصالحية ، ثقيل أوّل بالوسطى. وذكر ابن خرداذبة أن فيه لاسماعيل بن صالح لحناً .

أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الاعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان – واسم صهبان كعب – بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ ويكنى أبا يحيى . شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والمنشأ ، قد حُمل عنه شيء من الحديث ؛ وكان ابراهيم بن أدهم الزاهد خالَه ، وكان امرأً صالحاً لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء ؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ؛ وكان أهل الادب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدثني ابراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزُّبيري قال :

قلت لمحمد بن كناسة الاسدي ونحن بباب أمير المؤمنين : أأنت الذي تقول في ابراهيم بن أدهم العابد :

رأيتك ما يُغنيك ما دونه الغِنى وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها وكان لِحقِ الله فيها معظِّما
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً فإن قال بذّ القائلين وأحكما

فقال محمد بن كناسة : أنا قلتها وقد تركتَ أجودها . فقال :

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدمّ الطالب الدّما

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزُبان قال حدثني عليّ بن مسرور العتكي قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة :

لقد كنتُ أتحدّث بالحديث فلو لم يجد سامعهُ إلا القطنَ الذي على وجه أمه في القبر لتعلّل عليه حتى يستخرجه ويهديه إليّ ، وانا اليوم أتحدثُ بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهيّىء له عذراً .

ابن كناسة يداعب جويرية :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازةً قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيي بن فرقدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول :

كنتُ في طريق الكوفة، فإذا أنا بجويرية تلعب بالكعاب[1] كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها : أنتِ أيضاً لو ضعتِ لقالوا ضاعت جارية ، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق . فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام ؟ فكُسفتُ والله الى بالي ثم تراجعت فقلت :

وإني لحلو مخبري إن خبرتني ولكن يُعطيني ولا ريبَ لي شيخٌ[2]

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت: فما اصنع بك أنا اذاً ؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

أخبرنا ابن المرزُبان قال حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال :

سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر[3] :

اذا الجوزاء أردفت الثريّا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا

فقال : يقول اذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خفت تفرّق

(١) الكعاب : فصوص النرد .

(٢) الشيخ : الشيخوخة .

(٣) هو خزيمة بن مالك بن نهد .

الحيّ من مجمعهم ؛ والثريا تطلعُ بالغداة في الصيف ، والجوزاء تطلعُ بعد ذلك في أوّل القيظ .

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال :

تعريض ابن كناسة بأمرأته التي كان يبغضها

مرّ محمد بن كناسة في طريق بغداد ، فنظر الى مصلوب على جذعٍ ، وكانت عنده امرأة يبغضها ، وقد ثقل عليه مكانُها ، فقال يعنيها :

أيا جذع مصلوبٍ أتى دون صلبه ثلاثون حولاً كاملاً هل تُبادلُ
فما أنت بالحمل الذي قد حملتَه بأضجرَ مني بالذي أنا حامل

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد . وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن عِمران عن عُبيد بن حسن قال :

رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطنَ شاة ، فقال : هاته أحمله عنك : فقال : لا . ثم قال :

لا ينقصُ الكامل من كماله ما جرّ من نفعٍ الى عياله

ابن كناسة ينوّه بذكاء جاريته دنانير

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدّنيا قال حدثني محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال :

كنت يوماً عند ابن كناسة ، فقال لنا : أعرّفُكم شيئاً من فهم دنانير ؟ يعني جاريته . قلنا : نعم . فكتب اليها : « إنك أمةٌ ضعيفة لكعاء، فإذا جاءك كتابي

هذا فعجلي بجوابي . والسلام » . فكتبت اليه : « ساءني تهجينك إياي عند أبي الحسين[١] ، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا جواب له . والسلام » .

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب اليَّ الزبير بن بكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابي قال :

دنانير ترثي صديق أبي الحسين :

جئت يوماً الى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ، ووجدتُ جاريته دنانير جالسة ، فقالت لي: مالك محزوناً يا أبا الحسين؟ فقلت : رجعتُ من دفنِ أخٍ لي من قريش. فسكتتْ ساعة ثم قالت :

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ فأبكانا بكاؤك يا علـيُّ
فماتَ وما خَبرناهُ ولكن طهارةُ صَحبِه الخبرُ الجلـي

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال :

أملقَ محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره ، فقال لهم مجيباً عن ذلك :

تؤنّبني أن صُنتُ عِرضي عِصابةٌ لها بـين أطناب اللئام بَصيصُ[٢]
يقولون لو غَمَّضتَ لازددتَ رِفعةً فقلتُ لهـم إني إذن لحريص[٣]
أتكلِمُ وجهي لا أبا لأبيكُمُ مطامعُ عنهـا للكرام محيص

(١) التهجين : التقبيح . وابو الحسين : كنية علي بن عثمان ، راوي الخبر .

(٢) الأطناب : جمع طنب ، وهو حبل الخباء . بصيص : بريق .

(٣) الحرص : الجشع .

معاشي دُوينَ القوت والعِرض وافرٌ وبطني عن جدوى اللئام خَميصُ [١]
سأقنى المنايا لم أخالط دَنيَّـةً ولم تَسر بي في المخزيات قَلوص [٢]

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني اسحاق الموصلي قال :

أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال :

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فـإذا صادفتُ أهل الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسي عـلى سجيتها وقلتُ ما قلتُ غـيرَ محتشم

قال اسحاق فقلت لابن كناسة : ودِدت أنه نقص من عمري سنتان وأني كنت سبقتك الى هذين البيتين فقلتها .

ابن كناسة يرثي ابراهيم بن أدهم

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمـد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن المقدام العِجلي قال :

كانت أم محمد بن كناسة امرأةً من بني عجل ، وكان ابراهيم بن أدهم خاله او ابن خالِه ، فحدثني ابن كناسة أن ابراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه اليه بهدية معه ، فقبِلها ووهب له ثوباً ، ثم مات ابراهيم ، فرثاه ابن كناسة فقال :

رأيتك ما يـكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفي دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرهـا فكان لأمر الله فيهـا مُعظِّما
أمات الهوى حـتى تجنَّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدّما

---

(١) الجدوى : العطية . خميص : ضامر .

(٢) القلوص من النوق : الشابة .

وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده … فما يستطيعُ الجهلُ أن يترَمرما
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً … وإن قال بَذّ القائلين وأحكما
يُرى مستكيناً خاضعاً متواضعاً … وليثاً اذا لاقى الكتيبةَ ضيغما
على الجدث الغربي من آل وائلٍ … سلامٌ وبرٌّ ما أبَرّ وأكرما

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال: عاتَب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضَعُفْتُ عن الاخوان حتى جفوتُهم … على غير زهدٍ في الوفاء ولا ودِّ
ولكنّ أيامي تخرّمنَ مُنّتي … فما أبلغُ الحاجات الا على جَهد[1]

رأي ابن كناسة في الدنيا:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبّي قال أنشدني ابن كناسة – قال الضَّبّي: وكان يحيي يستحسنها ويعجب بها –:

ومن عجبِ الدنيا تبقّيك للبلى … وأنك فيها للبقاء مريدُ
وأي بني الأيام إلا وعنده … من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتليد
ومن يأمن الايام أما انبياعُها … فخطر وأما فجعها فعتيد[2]
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى … فإن فِطام النفس عنه شديد

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عُبيد بن الحسن:

(١) تخرم: اقتطع. المنة: القوّة.

(٢) الانبياع: الوثوب بعد سكون. والخطر: مصدر خطر الفحل بذنبه يخطر: ضرب به يميناً وشمالا. العتيد: الحاضر المهيأ.

قال لي ابنُ كناسة ذات يوم في زمن الربيع : اخرج بنا ننظر الى الحيرة فانها حسنة في هذا الوقت . فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل ينظر الى البر والى رياض الحيرة وحمرة الشقائق ، فأنشأ يقول :

الآن حين تزين الظَّهر ... مَيثاؤه وبراقُه العُفرُ [١]
بسط الربيع بها الرياضَ كما ... بُسطتْ قُطوع اليمنة الحمر [٢]
برِّية في البحر نابتة ... يُجبى اليها البرّ والبحر
وجرى الفرات على مياسرها ... وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق في مطالعها ... فرداً يلوح كأنه الفجر [٣]
كانت منازلَ للملوك ولم ... يُعلم بها لمملّك قبر

قال : ثم قال يصف تلك البلاد :

سَفُلتْ عن بَرد أرضٍ ... زادها البردُ عذابا
وعلَتْ عن حرِّ أخرى ... تُلهب النارَ التهابا
مُزجت حيناً ببردٍ ... فصفا العيشُ وطابا

ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الاسدي قال حدثني عبد الاعلى بنُ محمد بن كناسة قال :

رآني أبي مع أحداث لم يرضَهم ، فقال لي :

يُنبيكَ عن عيب الفتى ... تركُ الصلاة او الخدينُ

---

(١) الميثاء : الارض السهلة . براقة : جمع برقاء وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل .

(٢) قطوع اليمنة : بسط اليمن .

(٣) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة .

فإذا تهاون بالصلا ة فما له في الناس دينُ
ويُزَنُّ ذو الحدث المريـ ـبِ بما يُزَنُّ به القرين[١]
إن العفيفَ اذا تكنَّـ ـفه المريبُ هو الظنين[٢]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلّاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة – قال: كان محمد ابن كناسة عمّ ابيه – قال:

كان يجيء الى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدباً ونسكاً؛ وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره، فلما جاءه قال له:

ما مَن روى أدباً فلم يعمل به ويكفّ عن دفع الهوى بأديبِ
حتى يكون بما تعلّم عاملاً من صالح فيكون غير معيب
ولقلما يُغني إصابةُ قائل أفعاله أفعالُ غير مُطيب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال:

أتيتُ امرأةً من بني أودٍ تكحلني من رمدٍ كان أصابني، فكحلتني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر:

أمُخترمي ريبُ المنون ولم أزُر طبيبَ بني أوْدٍ على النأي زينبا[٣]

---

(١) يزنّ: يتهم.

(٢) الظنين: المتهم.

(٣) مخترمي: من اخترمته المنية، اذا أخذته. ريب المنون: حوادث الدهر.

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا والله . فقالت : فيَّ والله قِيلَ ، وأنا زينبُ التي عناها ، وأنا طبيب أود ، أفتدري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمك أبو سماك الاسدي .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني علي ابن عثّام الكلابيّ قال :

جارية ابن كناسة تقول شعراً فيمن يعرض لها بأنه يهواها :

كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية ، يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعثاء ، وكان عفيفاً مزاحاً ، فكان يدخل الى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها ، فقالت فيه :

لأبي الشعثاء حبٌّ باطنٌ ليس فيه نهضةٌ للمتهمْ
يا فؤادي فازدجر عنه ويا عبث الحبّ به فاقعد وقم
زارني منه كلامٌ صائبٌ ووسيلاتُ المحبين الكلِمِ
صائدٌ تأمنه غزلانُه مثل ما تأمنُ غزلانُ الحرم
صلْ إن أحببتَ أن تُعطى المنى يا أبا الشعثاء لله وصُم
ثم ميعادُك يوم الحشر في جَنّةِ الخلد ان الله رحم
حيثُ ألقاك غلاماً ناشئاً يافعاً قد كَمُلت فيه النِّعم[1]

ابن كناسة يرثي جاريته :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدبُ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثني احمد بن محمد الاسدي قال حدثني جدي موسى بن صالح قال : ماتت دنانير جارية ابن كناسة ، وكانت أديبةً شاعرة ، فقال يرثيها بقوله :

---

(١) يافعاً : راهق العشرين .

الحمدُ لله لا شريكَ لـه ... ياليتَ ما كان منكِ لم يكنِ
إن يكن القول قلّ فيكِ فما ... أفحمني غيرُ شدة الحزن

قال أبو الفرج : وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً ، وروى عنه الثقاتُ من المحدثين ؛ فمن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مُهران الاعمش ، واسماعيل بن أبي خالد ، وهشام ابن عُروة بن الزبير ، ومسعر بن كِدام ، وعبدُ العزيز بن أبي داود ، وعُمر بن ذر الهَمْداني ، وجعفر بن بُرقان ، وسفيان الثوري ، وفِطر بن خليفة ونظراؤهم .

طائفة مما روي من الاحاديث :

أخبرني الحسنُ بن علي قال حدثنا محمد بن سعد العوفي قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلَمة عن أبي موسى الاشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم . قال : « المرء مع من أحب » .

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نسائها مريم بنتُ عمران ، وخير نسائنا خديجة » . والله اعلم .

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا اسماعيل بن أبي خالد ، عن زرّ بن حُبيش قال :

كانت في أبي بن كعب شراسة ، فقلت له : يا أبا المنذر ، اخفض جناحك يرحمك الله ، وأخبرنا عن ليلة القدر . فقال : هي ليلة سبع وعشرين . وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الاحاديث فقط ، ليعلم صحة ما حكيته عنه ، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ها هنا .

أخبار قلم الصالحية

كانتْ قلمُ الصالحية جاريةً مولّدة صفراء حُلوةً حسنة الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن ابراهيم وابنه إسحاق، ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لابيه. وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً. واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الازهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله، قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام، قال:

كانت قلمُ الصالحية جاريةُ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيّات المحسِنات المتقدمات، فغُنّي بين يدي الواثق لحنٌ لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا صادفتُ أهل الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيّتها وقُلتُ ما قلتُ غير مُحتشمِ

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحيّة جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث الى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره. فقال: ويلك! من صالح بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخصه واشخص معه جاريته. فقدما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنّت، فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر. فغضب الواثق من ذلك، وردّ عليه. ثم غنى بعد ذلك زُرزورٌ الكبيرُ في مجلس الواثق صوتاً، الشعر فيه لاحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقَلَم، وهو:

أبتْ دار الاحبَّة أن تبينا　　أجدَّك ما رأيتَ لها مُعينا[1]
تقطعُ نفسه من حبِّ ليلى　　نفوساً ما أُثِبنَ ولا جُزينا

فسأل : لمن الغناء؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث الى ابن الزيّات : أشخص صالحاً ومعه قلم . فلما أشخصها دخلت على الواثق ، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت ، فغنته ، فقال لها : الصنعة فيه لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بارك الله عليك . وبعث الى صالح فأحضر ، فقال : اما اذا وقعت الرغبةُ فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة ، وقد أهديتها الى امير المؤمنين ، فإن من حقِّها عليَّ اذا تناهيت في قضائه أن أصيِّرها ملكه ، فبارك الله له فيها . فقال له الواثق : قد قبِلتها . وأمر ابن الزيّات ان يدفع اليه خمسة آلاف دينار ، وسماها احتياطاً . فلم يعطه ابن الزيات المال ومطّله به ، فوجه صالح الى قلم من أعلمها ذلك ، فغنَّت الواثق وقد اصطبح صوتاً ، فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعبُ والغرم علي والخروج مني صفراً ؟ قال : أو لم آمر له بخمسة آلاف دينار ؟ قالت : بلى ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً . فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقّع الى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار اليه ، وخمسة آلاف دينار أخرى معها . قال صالح : فصرتُ مع الخادم اليه بالكتاب ، فقربني وقال : أما الخمسة الآلاف الاولى فخذها فقد حضرت ، والخمسة الآلاف الاخرى انا أدفعها اليك بعد جمعة . فقمت ، ثم تناساني كأنه لم يعرفني ، وكتبت أقتضيه ، فبعث الي : اكتب لي قبضاً[2] بها وخذها بعد جمعة . فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء ، فاستترتُ وهو في منزل صديق لي ؛ فلما بلغه استتاري خاف ان اشكوه الى الواثق ، فبعث اليَّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي : أمرني امير المؤمنين أن

(١) أجدك ، أي أجداً منك ، اي أحقاً ما تقول .

(٢) القبض : الملك .

أصيرَ اليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته. قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها.

علي بن الجهم يمدح الواثق:

أخبرني محمد بن يحيي قال أخبرني ابن اسحاق الخراساني. قال: وحدثني محمد ابن مُخارق قال:

لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله:

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواثقِ هارونِ
وعمَّ بالاحسان من فعله فالناسُ في خفضٍ وفي لين
ما أكثر الداعي له بالبقا وأكثر التالي بآمين

وأنشده أيضاً قوله فيه:

وثقت بالملكِ الوا ثق بالله النفوسُ
ملكٌ يشقى به الما لُ ولا يشقى الجليس
أسد تضحك عن شدّاته الحربُ العبوس
أنس السيفُ به واستوحش العِلقُ النفيس[١]
يا بني العباس يأبى الله إلا أن تسوسوا

قال: فوَصله الواثق صلة سنيَّة.

وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع للواثق

(١) العلق: النفيس من كل شيء، والثوب الكريم.

الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها، وامر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها ، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

صوت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى   فأنت على من مات قبلك شاغله
سقى جدثاً أعرافُ غَمرة دونه   ببيشة َ ديماتُ الربيع ووابله[1]
وما بيَ حبُّ الارض إلا جوارها   صداهُ وقولٌ ظنّ أني قائله

الشعر للشمردل بن شريك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورة يرثي بها أخاه ، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد ، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لحزرج.

---

(١) الاعراف : ما ارتفع من الرمل ، الواحدة عرفة . وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الاعراف منها أعراف غمرة . غمرة : جبل . بيشة : من عمل مكة مما يلي اليمن .

أخبار الشمردل ونسبه

الشمردَل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكروم بن ضبارى ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية ، كان في أيام جرير والفرزدق .

خروجه واخوته الى خراسان :

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسّان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال :

كان الشمردل بن شريك شاعراً من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق ، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة الى خراسان مع وكيع بن أبي سود ، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة الى فارس في بعث آخر ، وبعث اخاه حكماً في بعث الى سجستان ، فقال له الشمردل : ان رأيت أيها الامير ان تنفذنا معاً في وجه واحد ، فإنا إذا اجتمعنا تعاوناً وتناصرنا وتناسبنا . فلم يفعل ما سأله ، وأنفذهم الى الوجوه التي أرادها ، فقال الشمردل يهجوه ، وكتب بها الى أخيه حكم مع رجل من بني جشم بن أدّ بن طابخة :

إني اليك اذا كتبتُ قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوعُ
أيُضيعها الجُشمِيّ فيما بيننا ... أم هل اذا وصلت اليك تضيع
ولقد علمتُ وأنت عني نازحٌ ... فيما أتى كبدُ الحمار وكيع
وبنو غُدانة كان معروفاً لهم ... أن يُهضموا ويَضيمهم يربوع
وعُمارة العبد المبيَّن إنه ... واللؤم في بدن القميص جميع

رثاؤه لاخويه قدامة ووائل :

قال أبو عبيدة : ولم ينشب[1] أن جاءه نعيُ اخيه قدامة من فارس ؛ قتله جيش لقومهم بها ، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام ، فقال يرثيهما :

أعاذل كم من روعةٍ قد شهدتها … وغُصَّة حزن في فراق أخ جزلِ [2]
اذا وقعت بين الحيازيم أسدفت … عليّ الضحى حتى تنسّيني أهلي [3]
وما أنا إلا مثلُ من ضُربت له … أُسى الدهر عن ابنَيْ أبٍ فارقا مثلي [4]
أقول اذا عزّيتُ نفسي بإخوة … مضوا لاضعافٍ في الحياة ولا عُزل
أبى الموت إلا فجْعَ كلَّ بني أب … سيمسون شتى غير مجتمعي الشَّمل
سبيل حبيبيَّ اللذين تبرّضا … دموعيَ حتى أسرع الحزن في عقلي [5]
كأن لم نسرْ يوماً ونحن بغبطةٍ … جميعاً وينزل عند رحليهما رحلي
فعينيّ إن أفضلتما بعد وائلٍ … وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل
خليليّ من دون الأخلاء أصبحا … رهينيْ وفاء من وفاةٍ ومن قتل
فلا يبعدا لِلداعيين اليهما … اذا اغبر آفاقُ السماء من المحل [6]
فقد عدِم الاضيافُ بعدهما القِرى … وأخمد نار الليل كلُّ فتى وغل [7]
وكانا اذا أيدي الغضابِ تحطمت … لواغرِ صدر او ضغائن من تبل [8]

---

(١) لم ينشب : لم يلبث .

(٢) الروعة : الفزعة . والجزل : الكريم العطاء ، والعاقل الاصيل الرأي .

(٣) الحيازيم جمع الحيزوم هو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت أظلمت في لغة تميم ، والشمردل تميمي .

(٤) الاسى : بالكسر وتضم جمع أسوة . وهو ما يتأسى به الحزين ويتعزى .

(٥) تبرضا دموعي : استنزفاها قليلاً قليلاً .

(٦) المحل : الجدب ، وانقطاع المطر .

(٧) الوغل : النذل الساقط المقصّر في الاشياء .

(٨) الوغر : التوقد من الغيظ . التبل : العداوة .

تحاجزُ أيـدي جُهَّلِ القوم عنهما اذا أتعب الحلم التترّعُ[1] بالجهـلِ
كمستأسدي عرِيسةٍ لهما بهـا حِمًى هابه من بالحُزُونةِ والسَّهلِ[2]

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره .

رثاؤه أخاه وائلاً أيضاً :

قال أبو عبيدة : وقال يرثي أخاه وائلاً ، وهي من مختار المراثي وجيد شعره :

لعمري لئن غالت أخي دارُ فُرقةٍ وآب الينا سيفه ورواحـلُه
وحلّت به أثقالها الأرضُ وانتهى بمثواه منها وهو عفٌّ مآكله[3]
لقد ضُمِّنت جَلد القوى كان يُتّقى بـه جانب الثغر المخوف زلازلُه
وُصولٌ اذا استغنى وان كان مقتراً من المال لم يُحف الصديق مسائلُه[4]
محلٌّ لاضياف الشتاء كأنما هُمُ عنده أيتامه وأرامـله[5]
رخيصُ نضيجِ اللحم مُغلٍ بنيئـهِ اذا بردت عنـد الصِّلاء أناملُه[6]
أقولُ وقد رَجمتُ عنه فأسرعت إليّ بأخبار اليقـين محاصله[7]
الى الله اشكو لا الى الناس فقدَه ولوعةَ حزن أوجع القلب داخـله
وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رُمحاً ترفّض عامـله[8]

(١) تحاجز : تتحاجز . والترع : التسرع .

(٢) المستأسد : الجريء، عنى به الاسد . العريسة : مأوى الاسد . الحزونة : الارض الغليظة .

(٣) في أمالي اليزيدي : « حلت : زينت به موتاها ، من الحلى » .

(٤) المقتر : القليل المال . أحفاه : برح به في الالحاح عليه ، او سأله فأكثر عليه الطلب .

(٥) اليزيدي : « هضوم لاضياف الشتاء » . والهضوم، والهضام : المنفق لماله .

(٦) الصلاء : اسم للنار أو للوقود .

(٧) الترجيم ، من الرّجم ، وهو القذف بالغيب والظن .

(٨) عامل الرمح : صدره ، وهو ما يلي السنان . ترفض : تكسر وتحطم .

سقى جدثاً أعرافُ غمرة دونه ... ببيشةَ ديماتُ الربيع ووابله
بثوى غريبٍ ليس منا مزارُه ... بـعيدٍ ولا ذو الودّ منّا مواصله
اذا ما اتى يومٌ من الدهر دونه ... فحيّاك عنا شرقُه وأصائله
سنا صبحٍ إشراقٍ أضاء ومغربٌ ... من الشمس وافى جنح ليلٍ أوائله
تحيـة من أدّى الرسالة حُببت ... اليـه ولم ترجع بشيءٍ رسائله
أبى الصبرَ ان العينَ بعدكَ لم يزل ... يخالط جفنيها قذًى لا تزايله [1]
وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله
يـذكّرني هيف الجنوب ومُنتهى ... مسير الصبا رمساً عليـه جنادله [2]
وهتّافـةٌ فوق الغصون تفجعت ... لفقد حمام أفردتها حبائله
من الوُرق بالاصياف نواحة الضحى ... اذا الغرقـد التفت عليه غياطله [3]
وسَورة أيدي القوم اذ حُلّت الحُبا ... حبا الشِيب واستعوى أخا الحلم جاهله [4]
فعيـنيَّ إذا ابكا كما الدهرُ فابكيا ... لمن نصرُه قد بان منا ونائله [5]
اذا استعبرت عُوذُ النساء وشمّرت ... مآزر يوم ما توارى خلاخله [6]
واصبح بيت الهجر قد حال دونه ... وغال امرأ ما كان يُخشى غوائله
وثقن بـه عند الحفيظة فارعوى ... الى صوته جاراته وحلائلـه [7]
الى ذائد في الحرب لم يك خاملاً ... اذا عاذ بالسيف المجرّد حامله

---

(١) القذى : ما يُرى في العين من غمص ورمص .

(٢) الهيف : ريح حارّة تأتي من نحو اليمن . الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش . الرمس : القبر . الجنادل : الحجارة .

(٣) غياطله . ما اجتمع عليه والتف . والغرقد شجر .

(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهو الثوب يحتبى به . وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها .

(٥) بان : بعد وانفصل . والنائل : العطاء .

(٦) استعبرت : جرت عبراتهن . وعوذ النساء : جمع عائذ ، والعائذ : كل أنثى اذا وضعت ، مدة سبعة ايام ؛ لان ولدها يعوذ بها .

(٧) الحلائل : جمع حليلة ، وهي الزوجة .

كما ذاد عن عرِّيسة الغِيل مُخـدِر يخاف الردى ركبانه ورواحلـه [١]
فما كنت ألفي لامرئ عند موطن أخـاً بأخي ، لو كان حياً أبادله
وكنت بـه أغشى القتال فعزَّني عليه من المقدار من لا أقاتـله [٢]
لعمركَ إن الموت منـا لمولع بمن كان يُرجي نفعـه ونوافله
فـا البعد الا أننا بعد صحبة كأن لم نُبايت وائـلاً ونقايله [٣]
سقى الضفرات الغيثُ ما دام ثاوياً بهنّ وجادت أهلَ شُوكٍ مخايله [٤]
وما بي حبُّ الارض إلا جوارهـا صداه وقول ظُنّ إني قاتلـه

رثاؤه لأخيه حكم:

قال أبو عبيدة: ثم قتل أخوه حكم ايضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته الى قاتله فقتله، واتى اخاه الشمردل أيضاً نعيُه فقال يرثيه:

يقولون احتسب حَكماً وراحوا بـأبيضَ لا أراهُ ولا يراني
وقبلَ فراقـه ايقنت أني وكلّ ابـني أبٍ متفارقان
أخٌ لي لو دعوتُ أجابَ صوتي وكنتُ مجيبه أني دعـاني
فقد أفنى البكاء عليه دمعي ولو أنى الفقيدُ اذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعطَ ضَيماً ولم ترهب غوائلـه الأداني
قتلنا عنه قاتلـه وكنّا نصول بـه لدى الحرب العوان [٥]

---

(١) المخدر: الاسد في خدره، أي عرينه.

(٢) عزني: غلبني.

(٣) بايته: بات معه، وكذا قايله: نام معه وقت القائلة، وهي الظهيرة.

(٤) الضفرات: جمع الضفرة، وهي ارض سهلة مستطيلة. وشوك، بالضم: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.

(٥) العوان من الحروب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.

قتيلاً ليس مثل أخي اذا ما بدا الخفرات من هول الجنانِ [1]
وكنتَ سنان رمحي من قناتي وليس الرّمحُ الا بالسنان
وكنت بنانَ كفِّي من يميني وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يهابُكَ الاعداء فينا ولا أخشى وراءك من رماني
فقد أبدوا ضغائنهم وشدّوا اليّ الطَّرفَ واغتمزوا لياني [2]
فِداكَ أخٌ نبا عنه غَناه وموْلى لا تصولُ له يدان

ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده :

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا :

وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت :

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير جز الحلاقم

فقال له الفرزدق : والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت ، أو لتتركن لي عِرضك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها :

تحنُّ بزوراء المدينة ناقتي حنين عجولٍ تبتغي البوّ رائمِ [3]

تأويل رؤيا للشمردل ينعى على إثرها أخوه وائل :

حدثنا هاشم قال حدثنا غسان عن أبي عبيدة قال :

---

(١) الخفرات : جمع خفرة وهي الشديدة الحياء . الجنان : القلب ، وفي الاصول : «منهول» وصححه الشنقيطي بما أثبتناه .

(٢) الطرف : الكريم من الخيل . واغتمزوا لياني : استضعفوا اللين مني .

(٣) زوراء : موضع عند سوق المدينة قرب المسجد . والعجول : الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها . البوّ : ولد الناقة . رائم : عاطفة .

رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط ، فعبره على بعض من يعبر الرؤيا ، فأتاه نعي أخيه وائل ، فذلك قوله :

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترفض عامله [1]

شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله :

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان الشمردل مغرماً بالشراب ، وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان ، أحدهما يقال له ديكل من قومه ، والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة ، فاجتمعوا يوماً على جزور ونحروه وشربوا حتى سكروا ، وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم ، وأنسيها من السكر ، فقال الشمردل:

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد على الكأس ندماناً [2] لها مثل ديكلِ
أقلَّ مِكاساً في جزور وإن غلت وأسرع إنضاجاً وإنزال مرجل [3]
ترى البازل الكوماء فوق خُوانه مفصَّلةً أعضاؤها لم تُفصَّل [4]
سقيناه بعد الرّي حتى كأنما يرى حين أمسى أبرقي ذات مأسل [5]
عشية أنسينا قبيصة نعله فراح الفتى البكريّ غير مُنعَّل

حدثنا هاشم قال : حدثنا دماذُ عن أبي عبيدة قال :

مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوَز المازني واستماحه ، فوعده الرفد ، ثم

---

(١) ترفض : تكسر .

(٢) الندمان ، بالفتح : النديم .

(٣) المكاس : انتقاص الثمن في البيع واستحطاطه .

(٤) البازل : الناقة في تاسع سنيها . الكوماء : العظيمة السنام .

(٥) الابرقان : تثنية أبرق ، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر ، ثم أمر له بعشرين درهماً فدفعهـا اليه وكيله غلّة فردّها ، وقال يهجوه :

يقولُ هلالٌ كلما جئت زائراً ولا خيرَ عنـد المازني أعاودُه
ألا ليتني أمسي وبيني وبينـه بعيدُ مناط المـاء غُبرٌ فدافده [١]
غداً نصفُ حولٍ منه إن قال لي غداً وبعد غد منه كحول أراصده [٢]
ولو أنني خُيّرت بين غداته وبـين بِرازي ديلمياً أجالده
تعوضت من ساقي عشرين درهمـاً أتاني بهـا من غلّة السوق ناقدُه [٣]
ولو قيـل مثلاً كنز قارون عنده وقيـل التمس موعودَه لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددتُـه الى محتدٍ قـد كان حينا يُجاحده

هجاؤه للضبي حين شمت بصرع اخوته :

حدثنا هاشم قال :

حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بنى ضَبَّة كان عدواً للشمردل ، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك ، ثم خرج في البعث الذي بُعث مـع وكيع ، فلمـا قُتل إخوة الشمردل وماتوا ، بلغه عن الضبي سرورٌ بذلك ، وشماتةٌ بمصيبته فقال :

يأيُّهـا المبتغي شتمي لأشتمه إن كان أعمى فإني عنك غير َعمِ [٤]
ما أرضعتْ مرضع سخلا أعقّ بها في النـاس لا عربٍ ولا عجم [٥]

---

(١) المناط : موضع التعليق ، والمراد مكان الماء . الفدفد : الفلاة والمكان الصلب .

(٢) أراصده : أراقبه وانتظره .

(٣) تعوّض : أخذ العوض .

(٤) كذا جاءت الرواية بالالتفات .

(٥) السخل : المولود ، وهو ايضاً الضعيف الرذل .

من ابن حنكلةٍ كانت وإن عربَت ... مُذالــة لقدور الناس والحُرم [1]
عوى ليكسبها شرّاً فقلت لــه ... من يكسب الشر تدلي أمه يُلم
ومن تعرّض شتمي يلق معطسهُ ... من التشوق الذي يشفي من اللَّمم [2]
متى أجئك وتسمع ما عنيتَ به ... تُطرق على قذعٍ او ترضَ بالسَّلَم [3]
أولا فحسبُك رهطاً أن يفيــدهم ... لا يغــدرون ولا يوفون بالذمم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارُهم ... كأنه في ذُرى ثهلان أو خِيم [4]
يُشبَّهون قريشاً من تكلمهــم ... وطول أنضية الاعنــاق والأُمم [5]
اذا غدا المسك يجري في مفارقهم ... راحوا كأنهم مرضى من الكرم
جزُّوا النواصي من عجلٍ وقد وطئوا ... بالخيل رهط أبي الصهباء والُحطم
ويوم أفلتهن الحوفزانُ وقــد ... شالت عليه أكفُّ القوم بالجذَم [6]
إني وإن كنتُ لا أنسى مُصابهم ... لم أدفــع الموت عن زيق ولا حكم [7]
لا يبعدا فتيا جودٍ ومكرمــة ... لدفع ضيمٍ وقتــل الجوع والقَرم [8]
والبعد غالهما عــني بمنزلةٍ ... فيها تفرّقُ أحياء ومُختَرم [9]
وما بناء وان سُدّت دعائمــه ... إلا سيصبح يوماً خاوي الدِّعَم [10]
لئن نجوت من الاحداث أو سلمت ... منهن نفسك لم تسلم من الهرَم

(١) الحنكلة : الدميمة السوداء من النساء . عربت المرأة : تحببت الى زوجها ، أو حرصت على اللهو . المذالة : الامة المهانة .

(٢) المعطس : الانف . اللمم : الجنون .

(٣) القذع : الخنا والفحش . والسلم : الاستسلام والاذعان .

(٤) ثهلان ، وخيم : جبلان .

(٥) الانضية : جمع نضي : وهو عظم العنق . الامم : جمع أمة ، وهي القامة .

(٦) الحوفزان : لقب الحارث بن شريك . شالت . ارتفعت . الجذم : السياط .

(٧) زيق بالزاي هو زيق بن بسطام بن قيس الشيباني .

(٨) القرم : شدة شهوة اللحم .

(٩) مخترم : يقال اخترمته المنية ، اذا أخذته .

(١٠) سدّت : صارت سديدة مستقيمة . الدعم : جمع دعمة ، وهي الدعامة يعتمد عليها البيت .

رثاؤه لعمر بن يزيد الاسيدي :

حدثنا هاشم قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان عمر بن يزيد الاسيدي صديقاً للشمردل بن شريك ، ومحسناً اليه كثير البر به والرفد له ، فأتاه نعيه وهو بخراسان ، فقال يرثيه :

لبس الصباح وأسلمته ليلة ... طالت كأن نجومها لا تبرحُ [١]
من صولة يجتاح أخرى مثلها ... حتى ترى السَّدف القيامُ النُّوح [٢]
عطَّلن أيديهنّ ثم تفجعت ... ليل التِّمام بهن عبرى تصدَح
وحليلةٍ رزئت وأختٌ وابنةٌ ... كالبدر تنظره عيونٌ لُمح
لا يبعدِ ابنُ يزيدَ سيدُ قومه ... عند الحفاظِ وحاجةٍ تُستنجح
حامي الحقيقة لا تزال جيادُهُ ... تغدو مسوَّمة به وتُروِّح [٣]
للحربِ محتسب القتال مشمِّرٌ ... بالدرع مضطمرُ الحوامل سُرَّح [٤]
ساد العراق وكان اول وافد ... تأتي الملوكَ به المهاري الطُّلَّح [٥]
يُعطي الغلاء بكل مجد يشترى ... إن المُغاليَ بالمكارم أربحُ [٦]

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح ، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة ، وأنشدنا له قوله :

---

(١) لبس الصباح : دخل فيه .

(٢) السدف : الضوء قيسية ، والظلام تميمية .

(٣) المسومة : المعلمة . وتروّح من الرواح .

(٤) مضطمر : ضامر . الحوامل : الارجل .

(٥) المهاري : إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان . الطلح : المتعبة .

(٦) الغلاء : المغالاة .

قد اغتدي والصبحُ في حجابه والليل لم يأو الى مآبه
وقد بدا أبلقَ من منجابه بتوّجي صادَ في شبابه [١]
مُعاودٍ قد ذل في إصعابه قد خرّق الضِفار من جذابه
وعرف الصوت الذي يُدعى به ولمعة المُلمع في أثوابه [٢]
فقلتُ للقانص اذا أتى به قبل طلوع الآل أو سرابه
ويحك ما أبصر اذا رأى به من بطن ملحوبٍ الى لبابه [٣]
قشعاً ترى التبت من جنابه فانقضّ كالجلمود اذا علا به [٤]
غضبان يوم قنيةٍ رمى به فهنَّ يلقين من اغتصابه
تحت جديد الأرض او ترابه من كل شحاج الضحى ضَغَّابه [٥]
اذ لا يزال حربه يشق به منترع الفؤاد من حجابه
جاد وقد أنشب في إهابه مخالباً ينشبن في إنشابه
مثل مُدى الجزار او حرابه كأنها بالحلق من خضابه
عصفرة الفؤاد أو قضابه حوى ثمانين على حسابه
من خَرب وخُزز بعلى به لفتية صيدهم يدعى به [٦]
واَعدهم لمنزلٍ بتنا به يطهى به الخربان أو يشوى به [٧]
فقام للطبخ ولاحتطابه أروع يهتاج اذا هجنا به

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

---

(١) الابلق : الذي فيه سواد وبياض . منجابه ، المنجاب : اسم مكان من انجاب بمعنى انكشف . ويقال انجاب عنه الظلام : انشق . التوجي : الصقر المنسوب إلى توّج من قرى فارس .

(٢) الالماع : الاشارة بالثوب .

(٣) ملحوب : موضع .

(٤) القشع ، بالفتح : بيت من أدم .

(٥) الشحاج : ذو الصوت الغليظ . والضغاب : المفزع بصوته .

(٦) الخرب : ذكر الحبارى . والخززة الذكر من الأرانب .

(٧) الخربان : جمع خرب وهو ذكر الحبارى .

أرجوزته في الذئب الذي قتله بعد أن فتك بغنمه :

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل ، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة ، فرصده ليلة حتى جاء لعادته ، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه :

هل خُبّر السّرحان إذ يستخبر   عني وقد نام الصحاب السُّمرُ [١]
لما رأيت الضان منه تنفر   نهضت وسنان وطار المِئزر [٢]
وراع منها مرح مستيهر   كأنه إعصار ريح أغبر [٣]
فلم أزل أطرده ويعكر   حتى اذا استيقنت ألا أعذر [٤]
وإن عَقْرى غنمي ستكثر [٥]   طار بكفي وفؤادي أوجر [٦]
ثُمت أهويتُ له لا أزجر   سهماً فولّى عنه وهو يعثر
وبتُّ ليلي آمناً أُكبّر

أخبرنا ابو الحسن الاسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الاصمعي قال : قال الشمردل بن شريك – وكان يستجيد هذه الابيات ويستحسنها ، ويقول : إنها لمن ظريف الكلام – :

ثم أستقل منّعات كالدُّمى   شُمسُ العتاب قليلة الاحقادِ [٧]

---

(١) السرحان : الذئب .

(٢) المئزر : الملحفة .

(٣) المستيهر : الذاهب العقل . والمستبهر : المتخايل .

(٤) يعكر : يكر وينصرف .

(٥) العقرى : الجرحى .

(٦) الاوجر : الخائف .

(٧) الدمية : الصورة المنقشة . والشمس ، بضمتين : جمع شموس بالفتح ، وهي النافرة .

كُذُبَ المواعدِ ما يزال أخو الهوى   منهنّ بين مودّة وبعادِ
حتى ينال حبالهنّ معلقاً   عقل الشريد وهنّ غيرُ شراد
والحبُّ يصلح بعد هجرٍ بيننا   ويهيجُ معتبةً بغير بعاد

صوت

خليليّ لا تستعجلا ان تَزوّدا   وإن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
وإن تنظراني اليوم أقضِ لبانةً   وتستوجبا منّاً عليّ وتُحمدا

الشعر للحصين بن الحمام المري ، والغناء لبذل الكبري ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي .

فهرس

المجلد الثالث عشر

تراجم المجلد الثالث عشر

بدل الاشتراك بكتاب الاغاني

١٣٥ ل . ل . قيمة اشتراك ٢٣ مجلد بما فيه الفهارس (غلاف)

١٧٥ 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 (مجلد مبصوم بالذهب حسب الطلب)

٦ 〃 〃 ثمن المجلد الواحد (غلاف)

٨ 〃 〃 〃 〃 〃 〃 (تجليد ومبصوم بالذهب)

اجرة البريد للمشتركين بكامل الكتاب على حساب الدار

الأجزاء الاولى أصبحت محدودة جداً ولا تباع إلا مجموعات

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة ومكتبتها** — ص . ب . ٥٤٣ — بيروت

مصر والسودان	: **مؤسسة المطبوعات الحديثة**	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	: **مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الاردن والقدس	: **مكتب التوزيع العربي**	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية	: **مكتبة دار الفكر**	— عبد الرحمن المنيعي	الرياض
الكويت	: **مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	: **المكتبة الوطنية**	— ابراهيم محمد	البحرين
عدن	: **احمد سعيد حداد**		المكلا
تونس	: **دار الكتب الشرقية**	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	: **المكتبة الجزائرية**	— شريفي عمرو	الجزائر
المغرب	: **دار الكتاب**	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	: **المكتبة العصرية**	— نصرالله الحريشي	طنجة
فرنسا	: **المكتبة الشرقية**	— صموليان	باريس

الثمن ٦٠٠ غ . ل . او ما يعادلها